تصدير
للدكتور مهدى علام

من ذاكرتى

حين توفى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥ تكاثر الراغبون فى رثائه بعد الدفن، فاختير ستة ، جاء ترتيبهم فى إلقاء رثائهم كما يأتى :

الشيخ أحمد أبو خطوة ، وحسن باشا عاصم ، وحسن باشا عبد الرازق ، وقاسم بك أمين ، وحفنى بك ناصف ، وحافظ بك إبراهيم .

ومن المصادفات الغريبة ، أنهم تحدثوا فى أن ترتيبهم فى الوفاة : سيكون كترتيبهم فى رثاء الإمام ، وشاء القدر أن الأربعة الأوائل ماتوا بترتيبهم فى الرثاء . ومرض حافظ إبراهيم ، فكتب إليه حفنى ناصف يقول :

أتذكر إذ كنا على القبر ستة ،
نعدد آثار (الإمام) ونندب ؟
وقفنا بترتيب ، وقد دب بيننا
ممات على وَفق الرثاء مرتَّبُ :
« أبو خَطْوة » وَلَّى ، وقفَّاه « عاصم » ،
وجاء لـ « عبد الرازق » الموت يَطْلُبُ ؛
فلبّى ، وغابت بعده شمس « قاسم » ،
وعما قريب نجم مَحْياىَ يَغْرُبُ .

فلا تَخْش هُلْكاً ما حييتُ ، وإن أَمُتْ

فمـا أنت إلا خـائفٌ تترقَّب

فخاطِرْ ، وقَعْ تحت القِطارِ ، ولا تَخَفْ ،

ونَمْ تحت بَيْت الوَقْفِ وهو مخَرَّب ،

وخضْ لُجَجِ الهَيْجاءِ أعْزَلَ آمِناً ،

فإن المنايا منكَ تَجْرِى وتَهْرُبُ .

وتتوالى القصة بفكاهتها الرزينة ، بين الأديبين العظيمين ، فعندما عيِّن حفنى ناصف كبيرا لمفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف ، وأُقيم بهذه المناسبة حفل لتكريمه ، أشار حافظ إبراهيم إلى المصادفة التى تحققت فى وفاة الأربعة السابقين فى رثاء الإمام ، فقال فى قصيدته التى أنشدها فى حفل التكريم هذا ، مخاطباً حفنى ناصف .

أخْشَى عليك المنـايا ، حتى كأنَّك مِنِّى ،

إذا شكوْت صداعاً أطلْتُ تَسْهيدَ جَفْنِى ،

وإن عَـراكَ هـزالٌ هيَّأْتُ لَحْدِى وقطْنِى ،

وإن دَعَـوتُ لِحَىٍّ يوماً ، فإياكَ أَعْنِى .

عُمرِى بِعمْركَ رَهْنٌ فَعِشْ أَعِشْ ألْفَ قَرْنِ .

ولما اكتمل تحقق المصادفة بموت حفنى ناصف (١٩١٩) ، (الخامس فى الترتيب) كان مطلع قصيدة حافظ فى رثائه (وقد سمعتها منه يوم تأبينه لحفنى) .

آذنتْ شَمْسُ حَياتِى بمَغِيبِ .

ودَنَا المَنْهَل ، يا نفس ، فَطِيبِى .

إنَّ مَن سار إليـه سَيْرَنا

وَرَدَ الراحة مِن بَعْد اللُّغوب :

قد مَضَى « حِفْنى » وهذا يومُنا
يَتَـدانَى ، فاسْتَثيبِى وأَنيبى .

* * *

قـد وقفْنا ستّةً نبـكِى عَلَى
عالِمِ المشرقِ فى يـومٍ عَصِيبِ :
وقَفَ الخمسةُ قَبْلِى فَمَضَوْا
هكذا قَبْلِى ، وإنِّى عن قريبِ ،
ورَدوا الحوْضَ تِبَاعاً فَقَضَوْا
باتفـاق فى مَنَاياهمْ عَجيبِ .
أَنَا مذ بانوا وَوَلَّى عَهْدُهمْ
حاضِرُ اللَّوْعَةِ ، مَوْصول النَّحيبِ ؛
هَدَأَتْ نِيران حزنى هَدْأَةً ،
وانْطوَى « حفنى » ، فعادتْ للشُّبوب ؛
فتذكرت به يومَ انطـوَى
صادق العَزْمةِ ، كشّافَ الكُروب [(١)] .

رحمهم الله جميعاً !

مهدى علام
نائب رئيس المجمع
والمشرف على المجلة

---

(١) يقصد الإمام محمد عبده .

ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي

للدكتور تمام حسان

أولا : سيكولوجية الظاهرة :

تتصل ظاهرة الربط بناحيتين من نواحى النشاط العقلى هما التعرف والتذكر . فأما التعرف فيتعمد على إدراك المعالم والقرائن وأما التذكر فيتصل أكثر ما يتصل بالتداعى والترابط . وفى كلا الحقلين : حقل القرائن وحقل التداعى لابد من وجود الدوال والمثيرات وهى بصورتيها داخلة فى نطاق ظاهرة الربط . ولقدرة الإنسان على التعرف حدود كما أن لاستطاعته التذكر حدوداً كذلك . وهذه الحدود تجعل من المستحسن أن نكثر من القرائن الدالة على موضوع التعرف ، ومن المثيرات المؤدية إلى التذكر بحيث يكون بعض ذلك نافلة وزيادة على المطلوب ونستطيع أن نضرب الأمثلة على ذلك :

إذا سألك سائل عن عنوان تعرفه بالوصف دون أن تذكر اسم الشارع ورقم المنزل فإن المعتاد فى هذه الحالة ألا تكتفى بذكر اسم الحى ولا متعرجات الطريق وإنما تذكر له من المعالم ما ينبغى للسائل أن ينحدر عنده إلى اليمين أو إلى الشمال فتقول له مثلا : إذا بلغت ثالث تقاطع فى هذا الشارع فستجد عمارة مبنية على الطراز العربى وتحتها محل لبيع الأدوات المدرسية وإلى يمينها حديقة ، فعندها فانحدر شمالا حتى إذا بلغت كذا وصفاته كذا فانحدر يميناً ، وما تزال تعين له المعالم حتى تصل به إلى المنزل المطلوب ، وعندئذ تكثر من ذكر المعالم الدالة على هذا المنزل أيضاً فهو ذو سور له باب حديدى وإلى جانبه مسجد وفيما يقابله من الشارع محل جزار وإلى جانب الجزار

بقال وخضرى وعلى مقربة من هذه المعالم إشارة مرور وهلم جرا . ولقد كان يكفى بعض ذلك للتعرف على العنوان المطلوب ولكن قصور الانتباه الإنسانى يجعل المرء ينسى بعض ما سبق له من ذكر المعالم فيتبع المسئول حيال السائل سياسة يصدق عليها قوله تعالى : « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » أى أن بعض المعالم قد يضيع من الذاكرة فيكفى المُعْلَم الآخر للدلالة على المطلوب .

والأمر كذلك فى مجال التذكر إذ تجد للذاكرة الإنسانية طاقة محدودة . يعرف ذلك كل من وجد الداعى إلى العودة بفكره إلى الوراء ليخرج من الأحداث الدفينة فى ركام الماضى ما يدعو شىء ما إلى إخراجه والكشف عنه ـ فحين يحاول المرء ذلك قد لا يظفر بعد النبش والتنقيب فى الماضى بما حاول أن يتذكره . والناس فى كل لحظة ينسون ما مر بهم من الوجود والأسماء والعناوين والأرقام وقد يتعذرعليهم أن يذكروا ذلك حتى مع التذكير به . ولكنهم إذا سمعوا لفظاً معيناً أو رأوا شيئاً ما ذا ارتباط بما نسوا أثار ذلك الشىء فى ذاكرتهم مانسوه من قبل فانتعشت ذواكرهم وعادت إليهم صورة الماضى كما كان .

من هنا تشتمل تراكيب اللغة على قرائن تعين على التعرف وتشتمل أساليبها على وسائل تعين على التذكر والأمر فى الحالين يتعلق بظاهرة من ظواهر الاستعمال اللغوى تسمى بالربط سواء فى ذلك أن يكون الربط قرينة من قرائن النحوأووسيلة من وسائل الأسلوب .وسنرى ذلك واضحاً إن شاء الله فى السطور الآتية . والقرائن النحوية التى يعد الربط واحدة منها

هى : البنية ـ الإعراب ـ الربط ـ الرتبة ـ التضام ـ الأداة ـ النغمة ـوفوقها وأعم منها قرينة أخرى هامة يمكن أننسميها قرينة السياق . ولقد درج معلمو اللغة العربية على أن يعلموا تلاميذهم أن الفاعل فى « طلع البدرُ » إنما سمى فاعلا لأنه مرفوع وقد غفلوا عن أن الرفع وحده (وهو علامة من قبيل قرينة الإعراب) لايكفى للدلالة على الفاعل مادام هنالك

مرفوعات أُخرى غير الفاعل منها النائب عن الفاعل والمبتدأ والخبر واسم كان وخبر إن والتابع المرفوع . وإنما عرف أن « البدر » فاعل بعدد من القرائن التى تضافرت وأعان بعضها بعضاً على بيانه كما تضافرت معالم الطريق من قبل على بيان العنوان المطلوب وتيسير التعرف عليه . والقرائن التى تضافرت لبيان الفاعل هى :

البدر :	اسم	وهذه قرينة	البنية
	مرفوع	« «	الإعراب
	تقدمه فعل	« «	الرتبة
	مبنى للمعلوم	« «	البنية مرة أخرى
	دل على من فعل الفعل	« «	الإسناد وهى قرينة معنوية

وفى « أكرم محمد نفسه » عرفنا أن النفس مفعول به بالقرائن الآتية :

النفس	اسم	وتلك قرينة	البنية
	منصوب	« «	الإعراب
	تعدى إليه الفعل	« «	التعدية

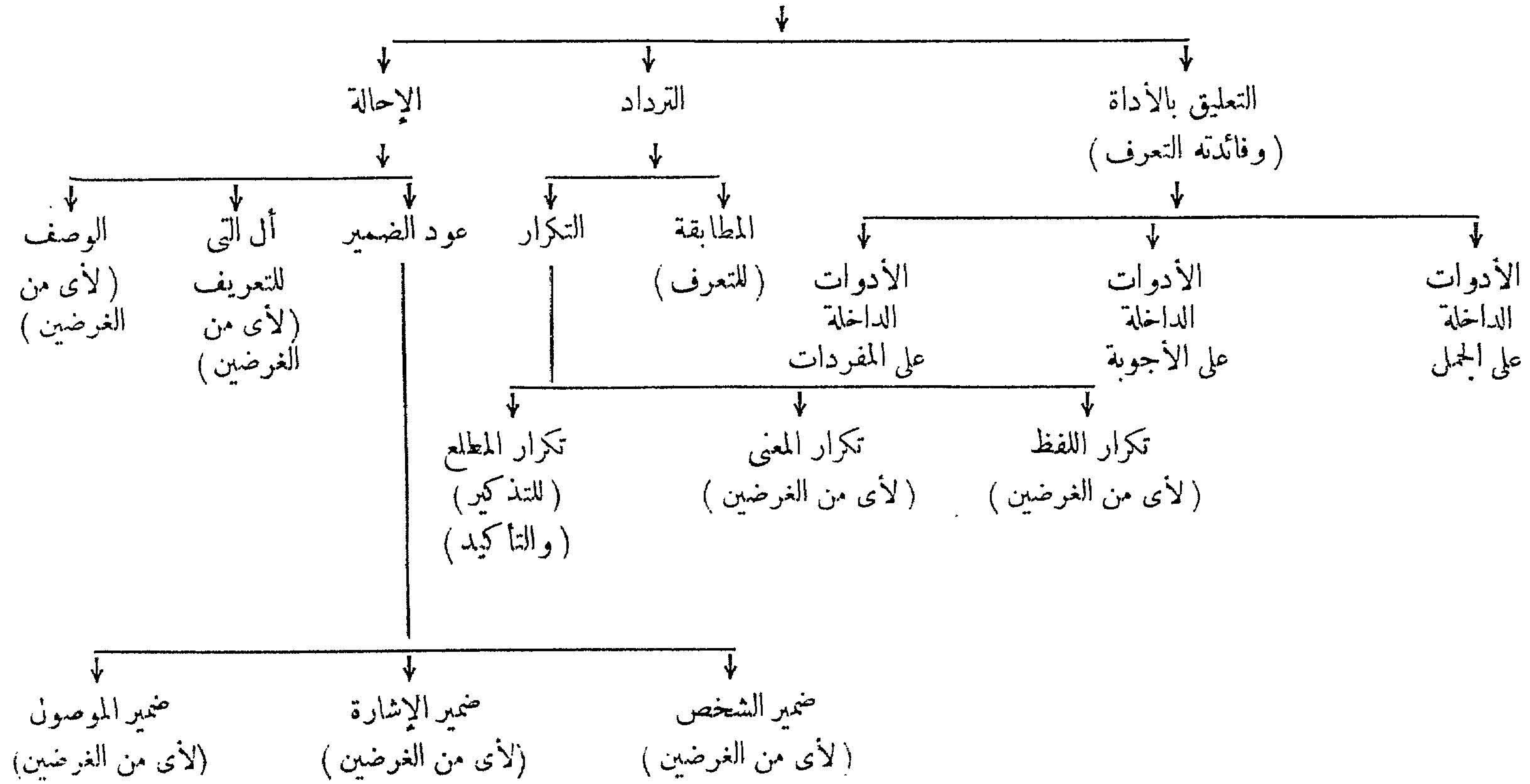
فلولا الاسمية ماكان البدر فاعلاً ولا النفس مفعولا به ولولا تقدم الفعل ماكان البدر فاعلا ، وكذلك الأمر ببناء الفعل للمعلوم وبدلالة البدر على من فعل الفعل ودلالة النفس على من وقع عليه الحدث . أما الرفع والنصب فكلاهما قرينة من القرائن ولا يستقل أحدهما بالدلالة على فاعل ولا على مفعول به . ولكننا مع ذلك بحاجة إلى معرفة النفس لمن تكون (أو بعبارة أُخرى نحن بحاجة إلى التعرف على نسبة النفس إلى أحد عناصر الجملة) لأننا لو كان لدينا « أكرم محمد نفساً » بدون الهاء لرجح احتمال المعنى أن تكون النفس لغير محمد ومن هنا أصبح من حق النفس أن تضاف إلى محمد . وفى هذه الحالة إما أن نقول : « أكرم محمد نفس محمد » على غرار ما قال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والإقداما
وصيرته ملكاً هماما

وعلى نحو ما فى قوله عليه الصلاة والسلام « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع

محمد يدها » أو أن نستبدل بالاسم الظاهر ضمير محمد فنقول : « أكرم محمدنفسه » فنربط النفس بمحمد بواسطة الضمير العائد أو أن نضع (ال) موضع الضمير فنلحقها بأول الكلمة فنقول أكرم محمد النفس إلخ . فهذه الوسائل المذكورة وغيرها تنبئ عن أن النفس نفس محمد وليست نفس غيره . وإذا قلنا تنبئ فإن المقصود أنها تعين على « التعرف » على نسبة النفس إلى من تكون . ونخرج من كل ما تقدم بأن فى تضافر القرائن ما يجعل القدرة على التعرف أكبر وأقوى كما رأينا فى التعرف على الفاعل والمفعول وفى عود الضمير وأن الفرصة سانحة من خلال تعدد القرائن وتضافرها أن تصبح إحداها نافلة زائدة على المطلوب redundant على أنها وهى نافلة لا يتوقف عليها وضوح المعنى تعد توكيدا لضمان التعرف على المعنى ولكنها لكونها نافلة أيضاً تمكن للمتكلم أن يترخص فيها إذا كان ذا سليقة فى اللغة لعدم توقف انكشاف المعنى على وجودها (انظر مبدأ الترخص فى القرائن فى كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لصاحب البحث) .

ثانيا : تخطيط الظاهرة :



ويتضح من هذا التخطيط أن الربط قد يكون تعليقاً بالأداة وقد يكون إعادة أو ترددا لعنصر لفظى ، وقد يكون إحالة إلى مذكور أو مفهوم سابق . فإن كان تعليقاً بالأداة فإن الأداة قد تكون مما يدخل على الجمل كأداة الشرط أو القسم وقد تكون الأدوات الداخلة على الأجوبة كالفاء الداخلة على جواب الشرط واللام الداخلة على جواب القسم وقد تكون مما يدخل على المفردات، كحروف الجر أوواو المعية . وإذا كان الربط ترداداً فقد يكون بإعادة عنصر من عناصر المطابقة كالضمائر وعلامات التثنية والجمع والتأنيث وحروف المضارعة إلخ ،وقد يكون بتكرار اللفظ نحو « واتقو الله ويعلمكم الله » أو تكرار المعنى نحو : « تحيتهم فيها سلام » أو تكرار المطلع نحو : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون » أما إذا كان الربط بالإحالة فقد يكون بعود الضمير وقد يكون بأداة التعريف وقد يكون بالوصف . وإذا ذكرت الضمير فإن فهمى له يشمل ضمائر الأشخاص (أنا وأنت وهو وفروعها) وضمائر الإشارة (ذا وذى فروعهما) والضمائر الموصولة (الذى والتى وفروعهما ومَنْ وما وأىّ) . فالأول نحو قوله تعالى : « لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين » والثانى نحو « ولباس التقوى ذلك خير » والثالث نحو « وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » أى جاء المعذرون وقعدوا . وأما « ال » التى للتعريف فنحو قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » أى هى مأواه . وأما الوصف فنحو « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » أى ويشف صدوركم. هذا وفيما يلى عرض مفصل بعض التفصيل يعين على تصور ظاهرة الربط على وجهها الذى يراه هذا البحث .

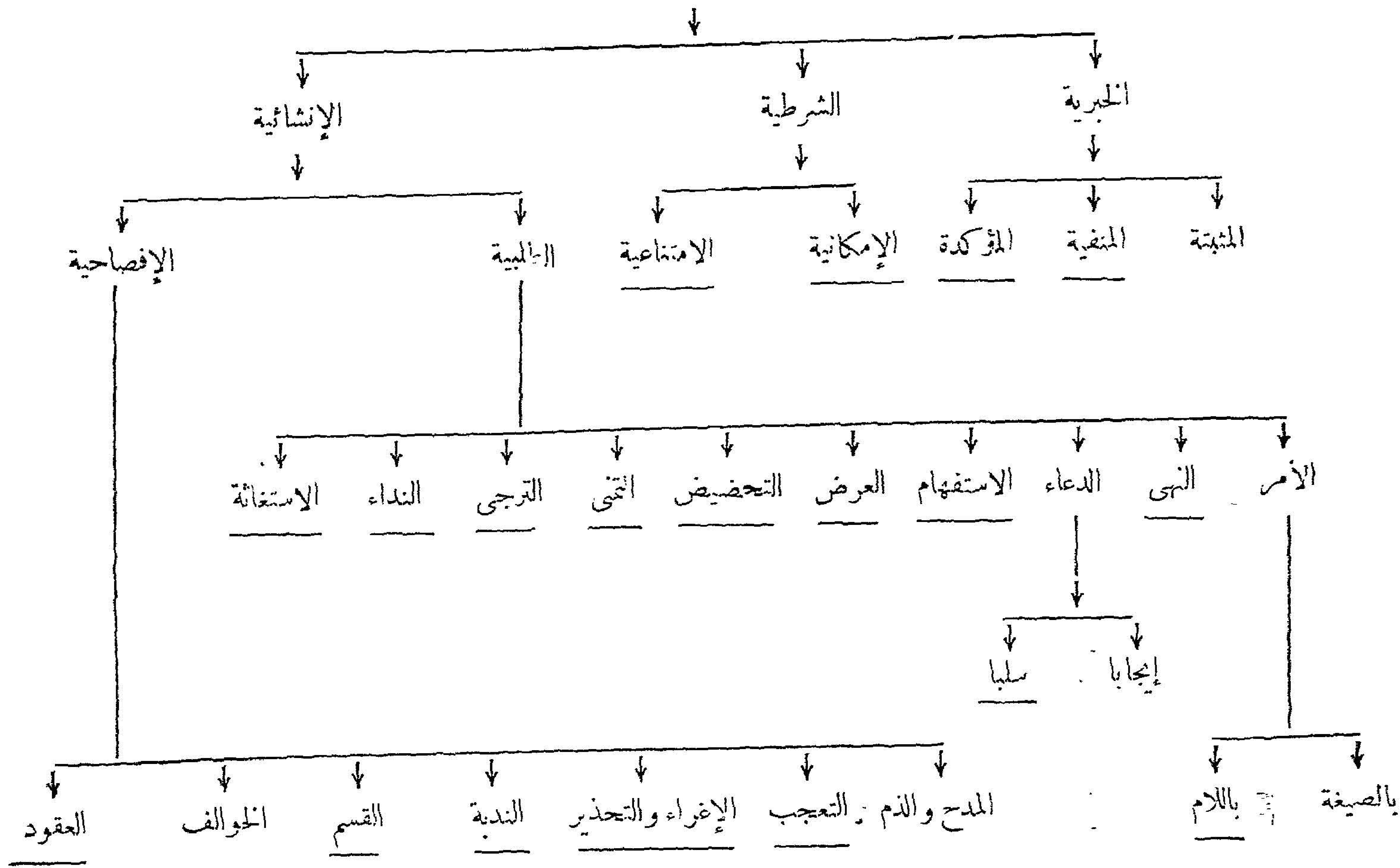
ثالثا : عرض الظاهرة :

قدمنا منذ قليل رؤيتنا للمحمل السيكولوجى للحاجة إلى ظاهرة الربط وإلى فائدتها فى مجالى التعرف والتذكر . دعنا الآن ننظر فى الجانب النظرى اللغوى الذى يتصل بفائدة الربط فى وضوح المعنى ،

وسنرى من خلال هذا النظر فائدة كل نوع من أنواع الروابط على حدة . فنبدأ بأدوات الجمل ثم بأدوات الأجوبة ثم بأدوات المفردات ثم بالمطابقة فتكرار اللفظ الخ حتى نستقصى ماعددناه وأحصيناه من أنواع الربط ووسائله ذاكرين لكل نوع منها ما يعزز القول فيه من الشواهد . ومن الأمثلة (إن عز الشاهد) .

١ - أدوات الجمل :

تعتمد الجملة العربية فى الأغلب الأعم من صورها على الأداة فلا نكاد نجد منها إلا القليل مما يستغنى عن الأداة . ويتضح ذلك من التخطيط التالى :


أنواع الجمل العربية
الخبرية
الشرطية
الإنشائية
المثبتة
المنفية
المؤكدة
الإمكانية
الامتناعية
الطلبية
الإفصاحية
الأمر
النهى
الدعاء
الاستفهام
العرض
التحضيض
التمنى
الترجى
النداء
الاستغاثة
إيجابا
سلبا
بالصيغة
باللام
المدح والذم
التعجب
الإغراء والتحذير
الندبة
القسم
الخوالف
العقود

فهذه أربعة وعشرون نوعاً للجملة العربية منها تسعة عشر نوعاً تتقدمها الأداة كما فى الأمثلة التالية .

١ ـ المنفية : وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

٢ ـ المؤكدة : إن الله على كل شئ قدير .

٣ ـ الإمكانية : إنْ تنصروا الله ينصركم .

٤ ـ الامتناعية : ولولا رهطك لرجمناك .

٥ ـ الأمر باللام : وليستعفف الذين لا تجدون نكاحا .

٦ ـ النهى : لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة .

٧ ـ الدعاء سلبيا : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

٨ ـ الاستفهام : أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً .

٩ ـ العرض : ألا تحبون أن يغفر الله لكم .

١٠ ـ التحضيض : فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها .

١١ ـ التمنى : يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى .

١٢ ـ الترجى : لعل الله يحدث بعد ذلك مرا .

١٣ ـ النداء : يانوح اهبط بسلام .

١٤ ـ التعجب : فما أصبرهم على النار .

١٥ ـ الإغراء : عليك بالصبروالصلاة .

١٦ ـ التحذير : إياك واتباع الهوى .

١٧ ـ الاستغاثة : يالله لعبده المسكين .

١٨ ـ الندبة : واحرَّ قلباه ممن قلبه شبم .

١٩ ـ القسم : فورب السماء والأرض إنه لحق .

لم يبق إذا من الجمل العربية ما يستغنى عن الأداة إلا المثبتة والأمر بالصيغة والمدح والذم والخوالف (أسماء الأفعال وأسماء الأصوات) والعقود . هذا وإن لبعض الجمل التى تعتمد على صدارة الأداة صورا بغير أداة كما فى الإغراء والتحذير نحو : « ناقة الله وسقياها » وفى التعجب نحو « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالاتفعلون ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن المقصود

بجمل العقود تلك الجمل التي تفيد الالتزام ن أى نوع كالتعبير عن الإيجاب والقبول مثلا .

ويتمثل الربط بالأداة فى أن معناها ينسحب على كل ما دخل فى حيزها من عناصر الجملة أى أن كل ما دخل فى حيز النفى مثلا فهو منفى واشتراك عناصر الجملة فى معنى النفى الحادث بسبب تقدم الأداة يجعل الأداة سبباً فى هذا الاشتراك بمعنى أنها ربطت بين عناصر الجملة بتشريكها فى معنى النفى فأحكمت الصلة بين هذه العناصر فلم يعد يخرج عن معنى النفى منها شىء إلا أن يكون ذلك بأداة استثناء أو استدراك أو نحوهما مما يدخلنا فى نقاش نوع آخر من أنواع الأدوات يتجه معناه فى اتجاه الربط النحوى ولكنه يفيد التفريق المنطقى .

والتأكيد ينصب على إسناد المسند إلى المسند إليه فيعطى الإسناد قوة لم تكن له من قبله ومن هنا يربط أواصر الجملة وأداة الشرط فيها إفـادة ترتب الجواب على الشرط وفى إفادة الترتب ربط بين عنصرى الجملة ويصدق ذلك على نوعى الشرط ولولا اللام المكسورة مع المضارع المجزوم ماكان المضارع صالحا لإفادة الأمر وفائدة لا الناهية أنها تجعل المضارع المجزوم يفيد عكس ما أفاده مع اللام فينصب الأمر مع اللام والنهى مع « لا » على إيقاع ما تضمنه المضارع من الحدث من حيث ينتسب هذا الحدث إلى فاعل يوقعه وإلى مفعول يتقبله إلخ فالربط بهما عام فى جملتهما وليس خاصاً بالحدث مبرأً من صلاته بالعناصر الأخرى فى الجملة ،والدليل على ذلك أن المقصود هو « إيقاع » الحدث وليس الحدث من جهة أنه « حدث » .

والإيقاع إنما يكون من فاعل على مفعول فى ظرف معين لسبب معين إلخ .

ويقال ذلك أيضاً لبقية الجمل الطلبية لأن فيها جميعها طلب إيقاع حدث معين فالاستفهام طلب الإجابة والعرض طلب الاستجابة والتحضيض طلب الموافقة والتمنى طلب وقوع مالا يقع والترجى طلب وقوع الممكن والنداء طلب الإقبال والاستغاثة طلب الإغاثة . وفى كل ذلك طلب « وقوع » أحداث معينة وهذه الأحداث أوقعها فاعل

ووقعت على مفعول لسبب ما فى ظرف ما. فالأداة فى جميعها ينصب معناها على نسبة كل عنصر فى الجملة إلى العنصر الآخر وهذا معنى كونها رابطة.

أما الجمل الإنشائية غير الطلبية فهى الجمل الإفصاحية. ومعنى كونها إنشائية أنها تنشىء معنى ليس له وجود خارجى ومن ثم لايحتمل الصدق والكذب وهى بهذا المعنى تشارك الجمل الطلبية فى معناهماوهو الإنشاء ولكنها تنفرد عن أختها الطلبية بأنها لاتفيد طلب إيقاع حدث وإنما تفصح عن حالة أو موقف فى النفس. فالذى يمدح أو يذم أو يتعجب أو يندب أو يقسم أو يقبل ما عرض عليه لايبغى بما يقول أكثر من عرض موقفه النفسى على السامعين والإفصاح عن هذا الموقف. ثم لايفهم من قوله هذا «طلب إيقاع» ولا يترتب عليه «وقوع». ومع هذا تصدرت الأدوات بعض هذه الجمل التى لها طابع الصيحات كالتعجب والإغراء والتحذير والندبة أو طابع التوكيد كالقسم وإنما عددنا الأداة رابطة فى هذه الجمل القصيرة الأنماط لأنها لو لم تكن لما كان المعنى فلو حذفت لوجب التعويض عن حذفها كما «رباه» إذ قامت الألف والهاء دليلا على «يا» المحذوفة.

٢ ـ ادوات الأجوبة :

إذا نظرنا إلى واحد من الأجوبة وليكن جواب الشرط وجدنا القاعدة تنص على اقترانه بحرف الجواب إذا لم يصلح الجواب أن يكون شرطا وذلك بأن يكون جملة اسمية أو طلبية أو مبدوءة بفعل جامد كعسى وليس، أو منفية بما أو لن، أو مصدرة بقد أو بأداة تنفيس وهى السين وسوف؛ ولعل السبب فى اقتران الجواب بالحرف هنا أنه يكون فى بعض حالاته عرضة للبس إذا لم يذكر الحرف فى صدر الجواب، فإذا تأملنا قوله تعالى «من عمل صالحا فلنفسه» ثم تصورنا حذف الفاء من الجواب لوجدنا شبه الجملة (وهو هنا شبه جملة اسمية تقديرها فعمله لنفسه يصلح صفة للمفعول (صالحا) الذى قبله أى أن صورة التركيب من غير حرف الجواب تؤدى إلى اللبس (وهو تعدد احتمالات المعنى دون مرجح). وعلى الرغم من أننا قد نجد صوراً أخرى من الأجوبة لايتطرق إليها اللبس عند حذف الحرف كما فى قوله تعالى: «وإن

أطعتموهم إنكم لمشركون) فاللغة تحرص على الاطراد قدر حرصها على أمن اللبس ومن هنا طردت اقتران الجواب بحرفه فى كل الحالات ما ألبس منها وما لم يلبس .

وقد انعكس ذلك على تراكيب الإخبـــار بالذى والألف واللام نحو : «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما» ونحو «والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» إذ اقترن الخبر فى الحالين بالفاء لوقوعه جملة طلبية ولعل سبب ذلك أن من الموصولات مانقل إلى معنى الشرط نحو «من» و «ما» و «أى» وهذه الموصولات لنقص حروفها عن الثلاثة عوملت معاملة أدوات الشرط وصدق على جوابها مايصدق على جواب «إن» الشرطية من حيث اقتران الجواب بالحرف . ولما كانت «الذى» و «التى» وفروعهما و «ال» من الموصولات أيضا عومل خبرها معاملة جواب «من» و «ما» و «أى» اللاتى للشرط للسببين الآتيين :

(ا) أن بين الذى والألف واللام علاقة من حيث الأصل هى علاقة الموصولية وأن الذى والألف واللام لاتصلح أى منهما للنقل إلى الشرطية لزيادة الذى على الثلاثة ولاقتران الألف واللام بصفـة صريحة لاتصلح أن تكون جملة شرط .

(ب) أن لجملة الشرط ولجملة الإخبار بالذى والألف واللام كلتيهما معنى سلبيا يفهم منهما باللزوم العقلى يشبه مايسميه الأصوليون «مفهوم المخالفة» ففى قولنا :

من تأنى نال ماتمنى

الذى يتأنى ينال مايتمنى

المتأنى ينال مايتمنى .

مفهوم سلبى مشترك بين هذه الجمل هو أن الذى لايتأنى لاينال مايتمنى . فلما قام الشبه من جهتين بين الشرط والإخبار بالذى والألف واللام سلكت اللغة بخبر الذى وأخواتها مسلكها بأجوبة الشرط فلزم اقتران خبر الذى والألف واللام بالفاء فى المواضع التى يقترن فيها جواب الشرط بالفاء أيضا . والمراد فى الحالين أن يتم الربط بين صدر الجملة وعجزها .

وقد يقال شيء قريب من ذلك فى جواب « لو » و « لولا » من حيث اقتران جوابهما باللام فى مواضع معينة ففى قولنا « لولا زيد لهلك أخوه » يؤدى حذف اللام من الجواب إلى لبس شبيه بما كان فى قوله تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه » إذ لو حذفت اللام فأصبحت الجملة « لولا زيد هلك أخوه » لظل السامع ينتظر الجواب ، أى « لحدث كذا » . كأن يقال مثلا : « لولا زيد هلك أخوه ماجزع أو لما جزع » وهكذا اطردت اللام فى كل جواب موجب (أى غير مقترن بحرف النفى) . والأمر كذلك بالنسبة إلى اقتران جواب القسم عند الإيجاب باللام أو بإنَّ أو بقد ، وعند السلب بما أو بلا أو بإنْ .

ومن الأدوات الداخلة على الجمل لتربطها بما سبقها واو الحال ، وهى تلزم إذا خلت جملة الحال من وسيلة أخرى للربط كالضمير العائد إلى صاحب الحال وذلك كقولك : « ولد محمد وقد انتهت الحرب العالمية الثانية » أو « جاء خالد والشمس تغرب » . وبذلك تصبح واو الحال هى الرابط الوحيد الذى يربط جملة الحال بما عداها . ورتبة الواو دائما قبل جملة الحال كما أن رتبتهما معا (الواو والجملة) التأخر عما وقعا فى حيزه. ومن الحالات النادرة التى تقدمت فيها جملة الحال المقترنة بالواو عن الحدث الملابس لها ما نجده فى قوله تعالى فى سورة هود (٣٨) : « ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » ، لأن سخريتهم نشأت عن اشتغاله بصناعة الفلك مع جهلهم بسبب اشتغاله بذلك وليس بقربه ماء تسير فيه الفلك .

ومن الروابط ما نعرفه باسم الموصول الحرفى وهى الأدوات ذات الاختصاص بالدخول على الجمل لربطها بمحيطها من النص[٦] كالحروف المصدرية وهى أنْ وأنَّ وما ولو واللام نحو :

عزم التلميذ على أنْ يجدّ فى المذاكرة .

وقد علم أنَّ الجد سبيله إلى النجاح .

« ودّوا ما عنتم » .

« ودوا لو تدهن فيدهنون » .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » .

وقد تلحق بهذه الأدوات أدوات أخرى مثل كى التى للتعليل وإذًا ونحوهما مما لايليه إلا الجمل . وتبدو قيمة هذه الأدوات فى الربط إذا تصورنا الكلام الذى وردت فيه بدونها . فلو حذفناها من الكلام لأصبح الكلام مهلهلا رث المظهر غير مقبول ولادال على المعنى المقصود : إذ لا يأذن الاستعمال العربى بدخول الفعل على الفعل إلا فى حالات خاصة مثل دخول كان وأخواتها وأفعال المقاربة على الخبر عند استتار الاسم أو عند عدم الضمير المستتر كما فى حالة ليس إذ يمكن أن نقول : « ليس يقوم زيد » . فليس فى « ليس » ضمير مستتر كالذى فى قولنا :

إن أباك كان يفعل الخير .

إن صديقك مازال يكن لك الود .

إن قيساً ظل يحب ليلى حتى مات .

إن زيدا أصبح يخشى الفقر حتى صار إلى البخل .

قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف .

بهذا يتضح لنا أن هذه الروابط ذات أهمية تركيبية خاصة فى السياق العربى وأن السياق لايمكن أن يستغنى عنها .

٣ ـ أدوات المفردات :

حين عرّف النحـاة الحرف قالوا : « الحرف ما دل على معنى فى غيره » فإذا علمنا أن غير الحرف فى عرفهم إما أن يكون اسما أو فعلًا أصبح تعريفهم للحرف كأنه ينص على أن الحرف ما أفاد معنى فى الاسم أو فى الفعل أو فيهما معا . وإذا تأملنا الاحتمال الثالث وهو أنه يفيـد معنى فيهما معا وجدنا خير تعريف للحرف أنه يدل على علاقة بين الاسم والاسم نحو « النظافة من الإيمان » أو بين الاسم والفعل نحو « قاتلوا فى سبيل الله » ، أو بين الفعل والفعل نحو « قام فخرج زيد » . والحروف الداخلة على المفردات منها حروف الجر والاستثناء والمعية ، والعطف ... إلخ . فأمّا حرف الجر فهو يفيد علاقة بين مجروره ومتعلقه . فإذا قلنا : « صدق محمد فيما قال » فقـد جعلنا الحدث الذى فى « صدق » وهو الصدق مظروفا فى المصدر المؤول من « ما » و « قال » وهو القول وهكذا تتحمل « فى » معنى العلاقة الرابطة بين الصدق والقول وفى قوله تعالى : « واسألوا الله من فضله » كانت وظيفة « من » أن تجعل السؤال

يبدأ غايته من الفصل أو على الأصح ينطبق على بعض الفصل فتكون « من » بالمعنى الأول لابتداء الغاية وبالمعنى الثانى للتبعيض . وإذا قلنا : « إن رأى فلان يصدر عن تجربة » فقد جعلنا لحرف الجر « عن » معنى العلاقة بين المصدر الذى فى « يصدر » وبين التجربة وهذه العلاقة هى علاقة المجاوزة . وهكذا نرى أن الربط بحرف الجر بين المجرور والفعل هو فى الواقع ربط بين المجرور ومعنى الحدث الذى فى الفعل ومن هنا قد يرى البعض أن العلاقة هنا قد تنحل إلى أن تكون علاقة بين اسمين أحدهما المجرور وثانيهما المصدر المفهوم من الفعل . وتتضح ضرورة الربط بحرف الجر بصفة خاصة حينما يكون الفعل الذى يتعلق به الجار والمجرور لازما . فلو وازنا بين قولنا :

« قرأ التلميذ الدرس فى الفصل » وقولنا : « جلس التلميذ فى الفصل » لوجدنا الجار والمجرور فى الحالة الأولى أقل خطرًا فى تركيب الجملة منه فى الحالة الثانية لأنه فى الحالة الأولى بيان للظرفية ولكنه فى الحالة الثانية بيان ظرفية ووسيلة تعدية . ومن ثم نجده يلخص علاقتين فى وقت معًا .

وحرف الاستثناء يدل على علاقة بين اسمين أحدهما مخرج منه والثانى مخرج : أى أن العلاقة التى يعبر عنها حرف الاستثناء هى علاقة الإخراج . فإذا دخل حرف الاستثناء على ما ظاهره الجملة فإن المراد بها هو المفرد لأنها إمّا أن يتقدمها موصول حرفى يصيرها إلى التأويل بالمصدرية وإما أن تكون فى الأصل جملة حالية ووصفية مستثناة من حال أعم . فالأول نحو قولنا : « ماقصَّر زيد إلا أن يكلف بما لا يطيق » فالتقدير « إلّا تقصيرا ملابسًا لعدم الطاقة » والثانى نحو « دخلت المسجد الحرام فما وجدت رجلًا إلّا يصلى أو يطوف » والتقدير « ما وجدت رجلًا إلّا رجلًا مصليًا أو طائفًا » .

وحرف المعية أو واو المعية تربط بين متلازمين أحدهما مدخولها والثانى معنى المصدر الذى فى الفعل . فإذا قلت : « سر ويمين الطريق » كان المعنى : « ينبغى أن يكون السير ملازمًا ليمين الطريق

ولكن هذه الواو تحت تسمية أخرى قد تربط بين حدثين فى نحو « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » . فالنهى هنا منصبّ على مصاحبة أحد الحدثين للآخر وإذا صح أن يكون النهى منصبًّا على المصاحبة صح أيضًا أن وظيفة «لا الناهية» منصبة على وظيفة « واو المصاحبة » أى أن النهى متجه إلى إلى فكرة « الربط أو الجمع » بين الحدثين مع تعبير الوار عن هذا الربط .

ويربط حرف العطف بين المتعاطفين مع اختلاف فى المعنى بين حرف وحرف من حيث مطلق المشاركة أو الترتيب أو التراخى والتعقيب ... إلخ . وإذا نظرنا إلى هذا الاختلاف فى المعنى بين حروف العطف وبخاصة عندما يكون معنى الحرف نفى المشاركة كما فى « لا » ؛ و « بل » و « لكن » أدركنا أن فكرة الربط فى السياق تتجاوز فكرة المشاركة ومايتفرع عنها من ترتيب أو تعقيب أو غيرهما . فالربط علاقة أعم من علاقتى الإيجاب والسلب لأنها وسيلة لإحكام الصلة بين عناصر السياق فحسب ومن هنا يصبح معناه تركيبيًّا لا دلاليًّا (سيانتيكيًّا)

أما الإيجاب والسلب فأدنى درجات معناهما أن يكونا من أضرب أساليب الجملة العربية (المثبتة والمنفية) والمعروف أنه لابد من الربط أيًّا كان الأسلوب النحوى أما أعلى درجات الإيجاب والسلب فتدخل فى الدلالة المعجمية كالذى لاحظه النحاة فى تحليل قول الشاعر : « عافٍ تغيّر إلَّا النؤىُ والوتدُ » إذ برروا النؤى والوتد بأن الاستثناء فى قوة المنفى الناقص لأن الفعل « تغيَّر » معناه : « لم يبق على حاله » .

ولا يفوتنا هنا أن بعض ما يدخل على المفردات يدخل على الجمل كذلك كشأن حروف الاستثناء والعطف ، وكواو المعية التى تسمى عند الدخول على الجملة « واو المصاحبة » . فالفرق بين الواوين فرق فى التسمية والاختصاص أما المعنى وأما إعراب مدخولهما فواحد لأن ما بعدهما منصوب سواءٌ أكان اسمًا أو فعلًا .

الترداد :

ومن الربط ما يكون بالترداد . والمقصود بالترداد إما المطابقة وإما التكرار . وسنحاول فيما يلى أن نلقى بعض الضوء على كل منهما .

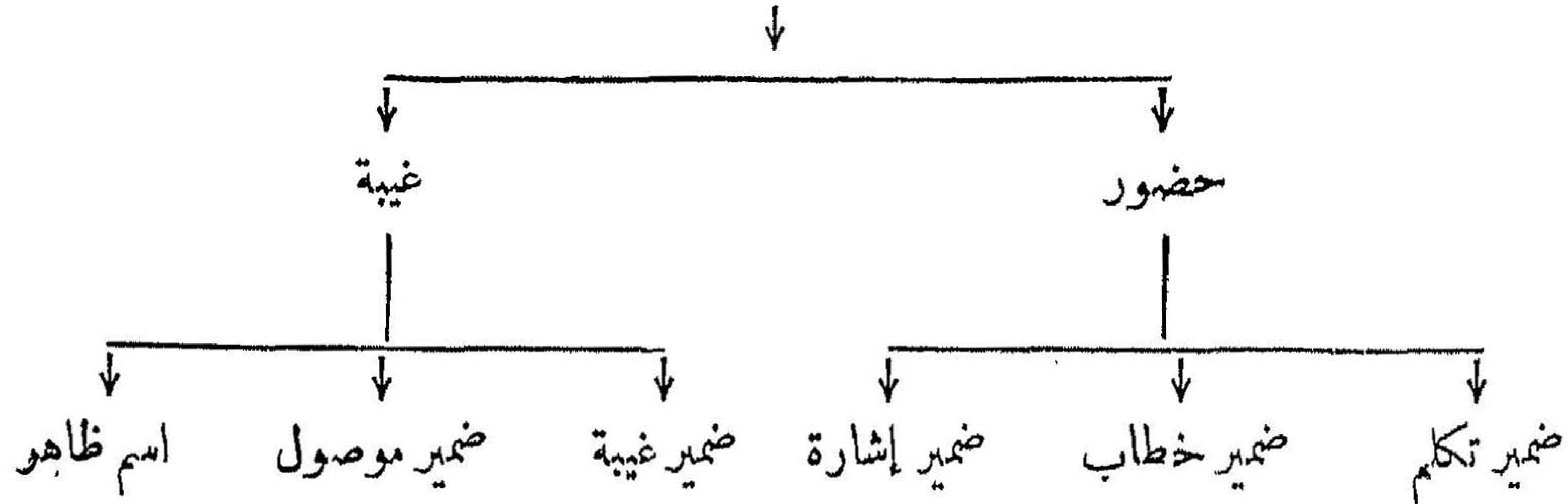
٤ ــ المطابقة :

للمطابقة محاور من المعانى العامة تدرك من خلالها يمكن أن نتبينها من الجدول الآتى :

الشخص	العدد / النوع	مفرد		مثنى		جمع	
		معرفة	نكرة	معرفة	نكرة	معرفة	نكرة
متكلم	مذكر						
	مؤنث						
مخاطب ...	مذكر						
	مؤنث						
غائب	مذكر						
	مؤنت						

وقد يكون الشخص صاحب ضمير تكلم أو خطاب أو غيبة وقد يكون صاحب اسم ظاهر كما قد يكون الحاضر مشاراً إليه ، والغائب موصولاً . وإذا أحصينا المربعات التى حدثت فى الجدول السابق من تقاطع المحاور وجدناها ستة وثلاثين مربعاً فإذا ضربناها فى إمكانات الحضور والغيبة التالية :

الإمكانات



لازداد العدد أضعاف ذلك . على أن ذلك ليس مناط القول فى المطابقة وإنما أردنا بالكلام فيها أن نبين كيف كانت بين ظواهر الربط .

إذا قلنا : « الأخوان التوأمان يتشابهان » لاحظنا فى تركيب العبارة ما يلى :

١ ـ فى الاسم والوصف ألف تثنية وفى الفعل ألف اثنين ،

٢ ـ فى الاسم والوصف تذكير وللفعل إسناد إلى مذكر (لاحظ ياء المضارعة) .

٣ ـ لام التعريف التى فى الاسم تقابل « أل » الموصولة التى فى الوصف .

٤ ـ الاسم الظاهر والوصف ناسبهما ابتداء المضارع بياء الغائب .

٥ ـ لمّا كان الاسم مرفوعًا رفع الوصف كذلك .

معنى هذا أن التثنية والتذكير والغيبة قد امتدت على الكلمات الثلاث التى تكونت منها الجملة وأن التعريف والرفع شركة بين الاسم وصفته . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الموصوف وصفته قد تشاركا فى جميع ألقاب المطابقة المعبرة عن محاورها وأنهما فوق ذلك تشاركا فى الإعراب .

ما مغزى هذه الشركة ؟ مغزاها أن أحدهما ينتمى إلى الآخر أى أن بينهما ربطًا يجعل أحدهما لا ينفك فى الفهم عن الاخر والدليل على ذلك ما نراه عندما نهدر أى محور من محاور المطابقة التى سبقت منذ قليل . وإليك هذا الإهدار بالترتيب التى أوردنا به هذه المطابقات :

١ ـ الأخ التوأمان يتشابهان

= إهدار التثنية .

٢ ـ الأخوان التوأمان تتشابهان

= إهدار التذكير .

٣ ـ الأخوان توأمان يتشابهان

= تحولت الجملة إلى جملة أخرى غير مرادة .

٤ ـ الأخوان التوأمان تتشابه

= إهدار الغيبة والتثنية .

٥ ـ الأخوان التوأمين يتشابهان

= إهدار الإعراب .

ففى ١ ، ٢ ، ٤ تحولت الجملة إلى لغو كما تحولت فى ٣ إلى معنى آخر وفى ٥ إلى صورة مرفوضة ربما قبلها النحاة تحت

عنوان « قطع النعت » . وإذا أردت أن ترى إهدار كل المطابقات فى وقت معًا فإليك ذلك فى الجملة الآتية (ونأسف لتسميتها جملة) .

الأختان توأمين تتشابه .

هذا هو المقصود باتخاذ المطابقة وسيلة من وسائل الربط .

٥ ـ التكرار :

للتكرار أكثر من صورة واحدة فقد يكون تكرارًا للفظ وقد يكون تكرارًا للمعنى كما قد يكون تكرارًا لمطلع الجملة لأداء غرض أسلوبى ما . والتكرار إنما يكون للتذكر أو للتعرف الذى كان غرض الأدوات .

(أ) تكرار اللفظ :

إن تكرار اللفظ فيما يبدو هو الأصل فى الربط (من حيث كان التكرار خير وسيلة للتذكير بما سبق) وأنه إذا عدل عنه فإنما يعدل لأحد سببين :

الأول : كراهية الرتابة والإملال الذى يترتب على التكرار بصفة عامة وربما دخل هذا فى قبيل كراهية توالى المثلين أو المتقاربين فى اللغة العربية وتبدو هذه الكراهية فى التحول إلى إدغام المثلين وإدغام المتقاربين والتخلص من التقاء الساكنين وكراهية توالى الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون وكراهية توالى النونات فى نحو لتبلوُنَّ وتوالى التاءات فى نحو « ولا تنابزوا بالألقاب » ، وكما فى بناء الماضى على السكون نحو ضربْت لكراهية توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة .

ومعنى ذلك أن الذوق العربى يكره الرتابة والتكرار .

الثانى : استعمال مبدأ « الاختصار » وهو فرع على القاعدة العامة التى عنوانها « طلب الخفة » فكما أن اللغة استعملت علامة التثنية والجمع تجنبًا لتكرار المتعاطفات فقالت : « قائمون » بدلًا من « قائم وقائم وقائم ... إلخ » وقالت : « عربى » فجعلت ياء النسب اختصارًا لعبارة « منسوب إلى ... » وجعل ياء التصغير فى « رجيل » اختصاراً لكلمة « صغير » وهلم جرًّا . كما فعلت العربية ذلك اختصرت التكرار فى الربط فدلت

على المكرر بضمير أو بأل أو إشارة ، أو نحو ذلك .

ولكن قد يدعو داع تركيبي أو أسلوبي إلى تكرار الاسم للوصول إلى الربط . انظر إلى قوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » (البقرة ٢٨٢) وتصور إحداث الربط في الآية بواسطة غير التكرار نحو : واتقوا الله وهو يعلمكم فإن ما بعد الواو سيكون أقرب إلى معنى جملة الحال وذلك غير مراد لأن المراد معنى يقرب من معنى الشرط. وانظر إلى قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء » (آل عمران ٢٦) ، فلو تصورنا أن الذى آتاه الله الملك هو « ا » وأن الذى نزع منه الملك هو « ب » وتصورنا الربط بالضمير فقلنا : تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك منه ما كان ذلك هو المقصود . ولأن الملك الثانى غير الأول ، فلا يجوز أن يكون النص : تؤتى الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وليس مطابقًا للمقصود أيضًا أن يقال : وتعز من تشاء وتذله : ومن هنا كان الربط بالتكرار (أى تكرار اللفظ) أمرا لا عوض عنه .

انظر أيضًا إلى قوله تعالى : « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد » (الفجر ٢٥ ، ٢٦) . فالمعروف أن لفظ « أحد » في الحالتين نكرة واقعة فى سياق النفى وأن وضع النكرة هذا الموضع يجعلها مفيدة للعموم . فلو تصورنا فى مكان « أحد » الثانية ضميرًا لما أجزأ فى الإفادة بالدلالة على معنى العموم وهو المقصود . وفى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم » (الحجرات ١٢) لو تصورنا الضمير فى موضع « الظن » الثانى لاحتمل الضمير العود إلى « كثير » كما احتمل العود إلى « الظن » وهذا لبس يتنزه عنه القرآن .

(ب) تكرار المعنى :

إنما يكون تكرار المعنى مع إجمال الأول وتفصيل الثانى فإذا قلت مثلاً : « عقيدتى لَا إِلَهَ إِلَّا الله » فإن العقيدة مجملة تشمل مدلول هذه العبارة كما تشمل أن محمدًا رسول الله ، وأن هناك بعثا وحسابًا وجنة أو نارًا ... إلخ . وأما جملة « لَا إِلَهَ إِلَّا الله »

فهى من تفصيل الأول ومن ثم كان المعنى مكررًا .

وليس يطعن فى كون الثانى عين الأول أنه أخص منه لأن الغرض الأسلوبى انتقاد من بين سائر مايصدق عليه أنه عقيدة وأعطاه من الاهتمام ماجعله مساويًا للأول فى القصد . وكذلك قولك : فلسفتى فى لحياة أطرق الحديد وهوساخن أو شعارى :

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم .

ومن ذلك قوله تعالى : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » (يونس ١٠) ففى هذه الآية الكريمة ثلاث جمل يقوم الربط فى كل واحدة على تكرار المعنى وهذه الجمل هى :

١ ـ « دعواهم فيها
سبحانك اللهم » .

٢ ـ « وتحيتهم فيها
سلام » .

٣ ـ « وآخر دعواهم
أن الحمد لله رب العالمين » .

ولايضر مع ذلك أن بدىء الخبر فى الجملة الأخيرة بأن المخففة من الثقيلة التى لايذكر اسمها معها لكونه ضمير مستترا والتى تحل مع مابعدها محل المصدر (أى تؤول مع مابعدها بالمصدر) .

ج) تكرار المطلع :

وتكرار المطلع وسيلة أسلوبية إما للتأكيد وإما للتذكير (راجع الكلام عن التعرف والتذكر فى أول هذا البحث) وهو إما أن يكون بتكرار اللفظ كما هو أو مع تعديل طفيف أو يكون إشارة إلى المطلع أو وصفا له كما يبدو من الشواهد الآتية :

١ ـ من التكرار للتأكيد قوله تعالى :

* « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون » (الروم ١٤) .

* « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون » (الجاثية ٢٧) .

* « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » (النور ٢٤ ، ٢٥) .

* « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلًا . الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا » .
(الفرقان ٢٥ ، ٢٦)

٢ — ومن التكرار للتذكير بعد طول المطالع قوله تعالى :

* « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

(البقرة ٨٩)

* « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » (البقرة ٢٥٣) .

* « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » (آل عمران ١٨٨)

* « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » (النحل ١١٠).

* « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » .

(النحل ١١٩)

٣ — ومن الإشارة إلى المطالع دون تكرار قوله تعالى :

* « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

(يونس ٥٨)

وهو من قبيل التوكيد لا التذكير .

٤ — ومن التكرار مع تعديل طفيف قوله تعالى :

* « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » (النحل ١٠٦) .

* « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ... (النور ٣٦ ، ٣٧) .

وهذا الشاهد الأخير أولى أن يكون من قبيل التأكيد .

٥ — ومن التكرار بواسطة وصف المطالع قوله تعالى :

* « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق

وقولهم قلوبنا غلف (بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلًا) وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلّا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا وإنْ من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا) فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ... » (النساء ١٥٥ ـ ١٦٠).

فقد وصف النقض والكفر والقتل ، وما تكرر من القول فجعل كل أُولئك ظلمًا وجعل الظلم تلخيصًا لما تقدم وتكرارًا له للتذكير به . هذا وقد اشتملت الآية على جمل معترضة وضعناها بين الأقواس وكان الاعتراض بهذه الجمل ردًّا على دعويين من دعاوى اليهود :

الأولى : أن قلوبهم غلف فكان الرد بالجملة المعترضة شرحًا لسوء حالة قلوبهم.

الثانية : أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فكان الرد تكذيبًا لهم وبيانًا لما حدث ولشكوكهم حتى فى دعاوى أنفسهم وتأكيدًا أنهم لم يقتلوه أبدًا ويقينًا أن ذلك لم يحدث منهم . جاء كل ذلك فى صورة اعتراض جعل المسافة بين الجار والمجرور (بما نقضهم) وما عطف عليه وبين المتعلق مسافة طويلة تدعو إلى التذكير بالمطلع بواسطة تكراره بالوصف .

الاحالة :

الفرق بين الإحالة وتكرار المعنى أن تكرار المعنى يكون من خلال جملة ملفوظة كلها أو مقدر بعضها وقد اجتمعت الصورتان فى قوله تعالى : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » لأن خبر الدعوى جملة ملفوظة وخبر التحية جملة حذف أحد ركنيها .

أما الإحالة فمعظم صورها من قبيل مبدأ « الاختصار » حيث هى عود للضمير إلى مرجع أو إشارة إلى ذلك المرجع أو وصف له

تعود على السائلين كما تصلح أن تعود على الإخوة ولو لم يكن هناك ما يرجح عودها على أحد المرجعين لقيل « إذ قال إخوته . . . » ولكن فى الآية عنصرا آخر يدل على أن القائلين هم الإخوة لأنهم قالوا « ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا » فهذا الأب ليس أبا للسائلين الذى سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا بحكم المنطق معاصرين للنبى محمد عليه الصلاة والسلام فلا يمكن أن يكون الأب أباهم لأن بينه وبينهم عشرات القرون على الأقل . وبذلك أمن اللبس وعرف أن الأب أبو الإخوة فرجع الضمير إليهم وهم الأبعدون .

٢ ـ الاشارة الى المرجع :

حين قسمت الكلم تقسيما جديدا فى كتاب « اللغة العربية معناها ومبناها » ضممت ضمائر الأشخاص والإشارات والموصولات تحت قسم واحد اسمه « الضمير » اعتمادا على قول ابن مالك فى تعريف الضمير :

وما لذى غيبة أو حضور
كأنت وهو سم بالضمير

فجعلت الدلالة على الغيبة دلالة « هو » و « الذى » وفروعهما وجعلت الدلالة على الحضور معنى « أنا » و « أنت » و « هذا » وفروعها .

ولو أن النحاة الأقدمين رأوا رأيى فى هذه الضمائر لكشفوا عن ظواهر ندت عنهم كظاهرة الربط بالموصول مثلا وهى التى سنوردها بعد قليل تحت رقم ٣ ولأدركوا سر اتخاذ الإشارة رابطا وقد اعترفوا له بوظيفة الربط فليس القول بالربط باسم الإشارة جديدا وقد مثلوا له بقوله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير » (الأعراف ٢٦) وذلك فى قوة قولك : « هو خير » إذ تحكم للضمير « هو » بأنه ضمير فصل إن كان لا محل له من الإعراب فلا سبيل إلى إنكار قيمته فى الربط ولا فى التأكيد.

ويغرينى هذا الموضع بشىء من الاستطراد أعتذر له مقدما ؛ ذلك أن المفسرين فيما أعلمه قد فسروا لفظ « لباس التقوى » بملابس التقوى ولست أدرى إن كان للتقوى ملابس خاصة بها والأمر فى رأيى يمكن أن يخضع للقواعد الصرفية

إذ من المعلوم أن صيغة الماضى « فاعل » لها مصدران كما يقول ابن مالك :

لفاعل الفِعال والمفاعلة

وغير مامر السماع عاد له

فالفعل « لابس » له مصدران أحدهما « اللباس » والثانى « الملابسة » وبذلك يكون تفسير الآية والله أعلم « وملابسة التقوى خير » .

أما استعمال لفظ « لباس » دون كلمة « ملابسة » فإذا نظرنا إليه من الناحية البلاغية والأسلوبية فإن ذهبنا به مذهب المفسرين فإنه يصبح من قبيل المشاكلة ومثل ذلك ما فى قوله تعالى :

« وجزاءُ سيئة سيئة مثلها »(الشورى ٤٠) إذ أطلق لفظ « سيئة » وقصد «العقاب» للمشاكلة اللفظية .

أما إذا ذهبنا به المذهب الآخر الذى يجعل اللباس مصدرا فإنه يصبح من قبيل الجناس وهو أوضح المعنيين . وفى القرآن الكريم شواهد أخرى على الربط بالإشارة نذكر منها :

* « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » (الشورى ٤٣) .

* « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار » (البقرة ٣٩) .

* « والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة » (البقرة ٨٢) .

* « والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار »(الأعراف ٣٦) .

* « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم » (الحج ٥١)

* « وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » (ص ١٣) .

* « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة » (البلد ١٧ ــ ١٨) .

٣ ــ الربط بالموصول :

لم يشر أحد من قبل إلى هذا النوع من الربط وإن سبقت الإشارة إليه بفهم آخر تحت عنوان « الإظهار فى مكان الإضمار » فالملحظ الذى لحظه البلاغيون

وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » (البقرة ٢٤ – ٢٦)فالمعنى فأزلهما هو أى إبليس الذى سبق ذكره .

ومن هذا القبيل أيضاً :

* « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » (النساء ٧٦) أى فقاتلوهم .

* « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » (التوبة ١٢) أى فقاتلوهم .

* « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » (التوبة ١٤) أى ويشف صدوركم .

رابعا : خاتمة :

يمكن أن نلخص نتائج هذا البحث أى النقط المبتكرة فيه على النحو التالى :

١ – أن للربط جانباً سيكولوجيا يوثق صلته بنوعين من أنواع النشاط العقلى هما التعرف والتذكر .

٢ – أن للربط اتجاهى تطبيق أحدهما تركيبى نحوى والآخر أسلوبى بلاغى .

٣ – أنه يبدو أن الأصل فى الربط أن يكون بتكرار اللفظ وأن العدول عن ذلك إلى الربط بالإحالة جاء نتيجة تطبيق مبدأ الاختصار الذى هو فرع على مبدأ طلب الخفة .

٤ – أن النحاة عرفوا الربط بالأداة والربط بالمطابقة والربط بتكرار اللفظ والمعنى والربط بالإشارة وأل ولكنهم غفلوا عن الربط بالوسائل الآتية :

(أ) الربط بتكرار المطلع لأن طول المطلع قد يشتمل على أكثر من جملة واحدة والبحث النحوى لايتعدى الجملة الواحدة إلا فى حالات محدودة كعطف الجمل مثلا .

(ب) الربط بالموصول وإن اعترف البلاغيون بهذه الظاهرة تحت عنوان آخر هو « الإظهار فى موضوع الإضمار » .

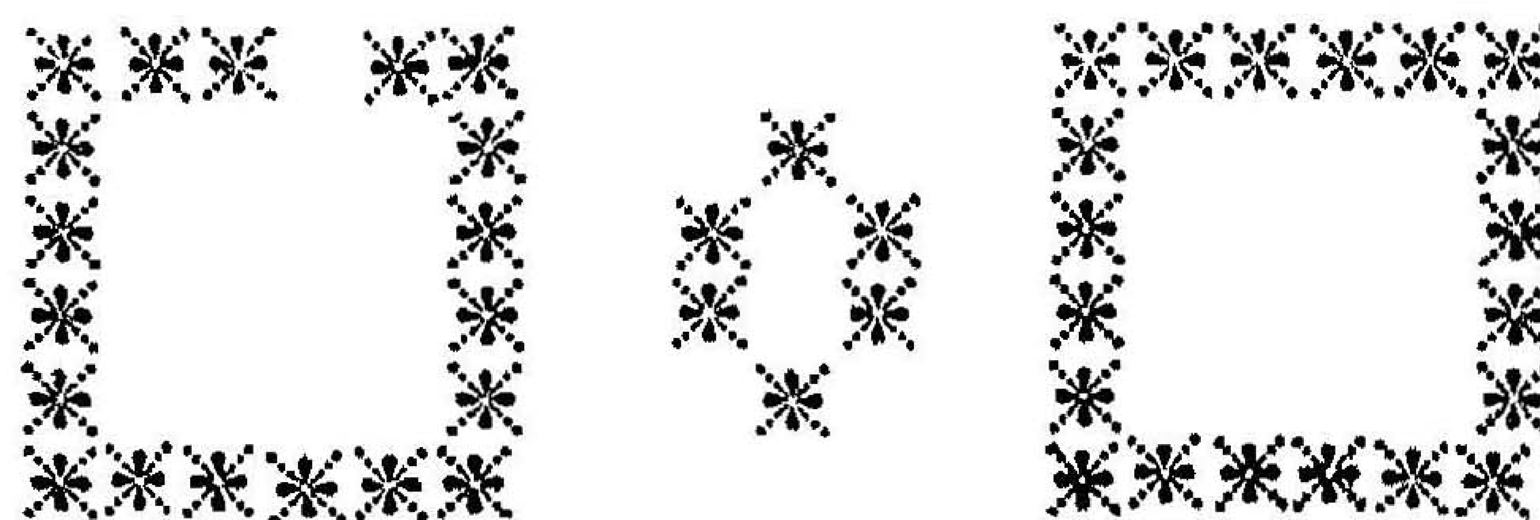
(ج) الربط بالوصف وقد غفل عنه الفريقان النحوى والبلاغى .

٥ ـ أن الإضمار لايتم إلا مع المطابقة فى اللفظ والقصد وأن هذه الفكرة مأخوذة عن التوليديين فلا تعتبر من ابتكار هذا البحث وإن كان للبحث فضل تطبيقها على اللغة العربية لأول مرة .

أرجو أن يكون هذا البحث قد ألقى بعض الضوء على هذه الظاهرة الهامة من ظواهر التركيب والأسلوب العربى .

والله سبحانه ولى التوفيق ومنه العون .

تمام حسـان
عضو المجمع



وانخلاع الفك واشتباكه ، كما تحدث فى السابع عن الصَرَع والكابوس وام الصبيان ، والتفزع من النوم . وخص الباب الثامن بالتشنج والتمدد والكزاز وتعقد العصب والمفاصل ، كما عالج فى بقية أبواب الكتاب عددًا من أمراض الرأس . وقد قسم كل باب إلى عدد من المالاقت ، فتكلم فى المقالة الأُولى عن الأَعضاء الآلية وقال ينبغى أن تكون عالماً بالعصب الذى يأْتى إلى كل واحد من الأعضاء ، وما منها عصب الحس ، وما منها عصب الحركة ، فالعصب الذى ينبت فى الجلد يحس ، والذى يكون منه الوتر يحركه ، وفعل العصب يبطله ، إما بتره البتة فى المرض أو رفضه أى سده أو لورم يحدث فيه ، أو لبرد شديد يصيبه .

ولا شك أن الرازى قد مارس التشريح فيقول رجل سقط عن دابته فذهب حس الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه . فلما علمت أنه سقط على آخر فقار فى الرقبة علمت أنه مخرج العصب الذى بعده الفقارة السابعة أصابها فى أول مخرجها ، لأنى كنت أعلم من التشريح أن الجزء الأَسفل من أَجزاء العصبة الأَخيرة النابت من العنق ، يصير إلى الأَصبعين الَخنصر ولبنصر ، ويتفرق فى الجلد المحيط بهما وفى النصف جلد الوسطى .

وقد تناول الرازى فى الجزء الثانى من كتابه طب العيون . وفى الجزء الثالث طب الأَنف والأُذن والأَسنان ، وهكذا خص الرازى كل جزء من أَجزاء كتابه الحادى العشرة بطب عضو أَو أَكثر من أَعضاء جسم الإنسان ، وهو يذكر فى كل حال ما يسميه علامات كل حالة ، ويصف لها ما يراه من أَنواع العلاج ، ويستشهد بأَمثلة كثيرة أَو حالات عرضت له .

وكذلك مؤلفه الشهير كتاب الجدرى والحصبة ، وهو يحوى أقدم وصف للجدرى ويعد ذروة مؤلفات الطب الإِسلامى .

وكتابه « منافع الأَغْذية » ينم عنوانه عن مضمونه ، ويتكون من خمسة عشر باباً يبدأ ببيان سبب تأْليف الكتاب ، وتبين الأَبواب الأُخرى منافع الحنطة والخبز والماء البارد والماء الساخن والثلج والشراب المسكر والأَغذية غير المسكرة واللحوم الطازجة واللحوم المجففة والأَسماك

وأنواع البطيخ والجبن واللبن والبيض والبقول والتوابل والفاكهة الرطبة واليابسة والحلوى . ويبين الكتاب مضار هذه الأغذية إلى جانب منافعها والأحوال التى ينبغى فيها تناولها أو تجنبها .

وللرازى كتاب « من لايحضره الطبيب » ويعرف بطب الفقراء ، هو عبارة عن الإسعافات الأولية ، التى ينبغى المبادرة إليها إلى أن يحضر الطبيب .

وله كتاب « محنة الطبيب » ، أى ما ينبغى أن يمتحن فيه الطبيب ، قبل أن يرخص له بمزاولة المهنة ، بل وتحديد الأمراض التى يتصدى لعلاجها .

ومن كتبه المشهورة « المنصورى فى التشريح » . وكتاب قصص المرضى وحكاياتهم يروى فيه مشاهداته الأكلينيكية .

يقول القفطى : أبو بكر هو طبيب المسلمين غير مدافع وأحد المشهورين فى علم المنطق والفلسفة . ويقول ابن النديم . كان أوحد دهره ، وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم عصره وسيما الطب . ويقول ابن خلكان . كان الرازى إمام وقته فى علم الطب والمشار إليه فى ذلك العصر . وكان متقناً لهذه الصناعة حاذقاً بها . عارفاً بأوضاعها وقوانينها . تشد إليه الرحال لأخذها عنه .

ويعتبر الرازى أول من استعمل خيوطاً من الحيوان فى خياطة الأنسجة فى الجراحة . وأول من أنشأ مقالات خاصة فى طب الأطفال . واخترع الخزم الذى كانت تستعمله الأطباء وما زالت الأعراب تستعمله ، وأول من قال بوراثة الأمراض ، وكان يقول ينبغى للطبيب ألا يدع مساءلة المريض . ويقول ينبغى للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء . فخطأ فى جنب صوابه يسير جدًا . وقال : من تطبب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع فى خطأ كل واحد منهم .

ومن عظيم اكتشافاته . معرفة لأثر الضوء على حدقة العين واتساعها ليلا وانكماشها نهارًا . وهو أول من عرف أثر الحساسية فى إحداث بعض الحالات المرضية ، وذلك فى مقالته « فى العلة التى من أجلها يعرض الزكام لأبى زيد البلخى فى فصل الربيع عندما يشم الورد .

الأثر العربى
فى قصص الهوسا
"رواية القصة"
للدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى

أثر الثقافة العربية فى قصص الهوسا كبير ومتعدد الجوانب ســواء فى الشكل أو المضمون ، ودراسة هذا الأثر يحتاج إلى سلسلة من الأبحاث .وقد اتخذت جزئية من هذه التأثير وتناولتها بالحديث وهى رواية القصص . فى كتاب Magana Iari ce أى الكلام رأسمال ، للحاج أبى بكر إمام يقوم الببغاء بدور الراوى حيث كان يروى القصص لابن الأمير عبد الرحمن ، وفى بعض القصص الآخر كان يقوم بدور الراوى بطل القصة ، أو أحد الأشخاص .

ونظرا للدور الكبير الذى لعبه الحاج أبو بكر إمام فى نهضة الأدب الهوساوى فى العصر الحديث رأيت أن اكتب ترجمة موجزه لحياته .

ولد الحاج أبو بكر إمام فى سنة ١٩١١ بمدينة « كاجر » Kagara فى جمهورية النيجر حاليا — وكان والده من كبار العلماء والقضاة ، وأجداده من أتباع الشيخ عثمان بن فوديو ، انتقل والده إلى « كاجرا » كداعية إسلامى ومعلم ، فاكتسب محبة أهل المدينة ، حتى صار قاضيا لها .

وخلال إقامته بمدينة « كاجرا » أنجب ولديه محمد بللو فى سنة ١٨٩٠ وهو الفائز بالجائزة الأولى عن قصته Gandoki أى المغامرو التى اشترك بها فى المسابقة التى أقامها «إيست» فى سنة ١٩٣٠ والذى صار واليا فيما بعد لمدينة « كتسميتا » .

والابن الثانى هو أبو بكر إمام ، وهو أحد أعضاء الدفعة الأولى التى التحقت بكلية المعلمين بمدينة كتسينا ، والتى أنشأها الأمير «محمد دكو» الذى تولى الإماره من سنة ١٩٠٧ – ١٩٤٥ ، وبعد أن تخرج أبو بكر إمام من الكلية عمل مدرساً ، ثم تولى عدة مناصب ، ففى سنة ١٩٣٠ تأسس مكتب الترجمة فى مدينة «زاريا» فلما تولاه روبرت إيست اختار الحاج أبا بكر إمام ليعمل معه ، فاشترك فى وضع أسس كتابة لغة الهوسا بالحرف اللاتينى بعد تقويم قواعد كتابتها ، متخذا لهجة «كانو[1]» أساسا بعد إدخال بعض التعديلات عليها .

وفى شهر يناير سنة ١٩٣٩ أختير رئيسا لتحرير صحيفة جاسكيا Gaskiya أى الحقيقة ، وهى صحيفة مازالت تصدر أسبوعيا حتى الآن بلغة الهوسا ، وفى سنة ١٩٤٥ ساهم فى إنشاء دار للنشر وهى Gaskiya Corporation والتى حلت محل مكتب «زاريا للأدب» وإلى جانب هذا النشاط الإدارى ، كان له نشاط سياسى كبير ، فهو من رواد الحركة الوطنية فى شمال نيجيريا ، وقد ساعده على ذلك إجادته للغة الإنجليزية ، فاختير ضمن كبار الكتاب فى دول الكومنولث لزيارة المملكة المتحدة ضمن الوفود الصحفية سنة ١٩٤٣ ، وكان هو العضو الوحيد الذى تم اختياره من نيجيريا ، فقد كان صحفيا بارعاً ، وكانت مقالاته السياسية وتعليقاته تحتل الصدارة فى صحيفة جاسكيا .

أما ثقافته فكانت شرقية ، وكان يعتز بها . ففى اجتماع لاتحاد طلاب غرب افريقيا فى لندن ، وجه حديثه إلى الجنوبيين الذين كانوا ينافسون الشماليين بثقافتهم الغربية قائلا : إن كلاً منا يحتقر الآخر ، ويصفه بالجهل . فالجنوبى فخور بثقافته الغربية ، ونحن فخورون بثقافتنا الشرقية[4] .

---

(١) تكتب بالألف وتنطق بدونها .

وإلى جانب ذلك كان من أبرز كتاب الأدب الهوساوى . وكان أول عمل أدبى له هو قصة Ruwan Bagaja أى «الماء الشافى» وهى القصة التى اشترك فيها فى المسابقة التى أقامها روبرت إيست فى سنة ١٩٣٤ وفازت بالجائزة الثانية . . وكان يعمل مدرسًا فى مدينة كتسينا . وفى سنة ١٩٣٥ انتدبه روبرت إيست ليعمل معه فى المكتب بعد أن أخذ يهتم بالكتابة الأدبية ، فوضع بين يديه المراجع الشرقية والغربية ليكتب أدبًا للهوسا ، فكتب كتاب Magana jari ce أى «الكلام رأسمال» وهو يتكون من ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول وضعه فى سنة ١٩٣٧ فى ١٣٤ صفحة من الحجم المتوسط — والثانى فى سنة ١٩٣٩ فى ٢٣٤ صفحة والثالث فى سنة ١٩٣٩ فى ٢٧٥ صفحة ، وقد ذاع هذا الكتاب وانتشر بين الهوسا كذيوع ألف ليلة وليلة «وكليلة ودمنة» بين العرب ، وقد طبع الكتاب حتى سنة ١٩٧٢ عشر مرات . ويتجلى فيه وفى غيره من مؤلفات أبى بكر إمام الأثر العربى فى القصة .

وتعتبر مسرحية Six Hausa plays التى كتبها سنة ١٩٣٠[٥] أول نموذج للدراما فى بلاد الهوسا ، ويبدو من اسمها أنها كتبت باللغة الإنجليزية .

وقد استمر أبو بكر إمام فى تأليف القصص لطلاب المدارس ، كما قدّم عدداً من الأعمال التعليمية التى تتناول الموضوعات المختلفة . فكتب عن تاريخ الإسلام كتاب Tarihin Musulunci وعن تاريخ النبى Tarihin Annabi واشترك مع روبرت إيست فى تأليف كتاب Ikon Allah أى «قدرة الله» وهو يقع فى خمسة أجزاء يتناول فيها المعارف العامة . مما يتصل بما فى الأرض والسماء من نبات وحيوان وطير وإنسان ، كما كتب كتاب Matafiya Mabudin Ilmi أى «السفر مفتاح العلم» ويتحدث فيه عن رحلاته الكثيرة . ولم يتوقف قلمه عن الكتابة حتى توفى فى ١٩ يونيو سنة ١٩٨١ فى مدينة «زاريا» .

ويمكن اعتبار أبي بكر إمام رائداً للأدب الهوساوى ، وممن تأثروا بالثقافة العربية .

ويبدو هذا الأثر واضحا فى كتاباتهم ، لذلك رأيت أن اتخذ من بعض كتاباته نموذجاً لهذا التأثر ، ويبدو هذا فى جعله الراوى فى كتابه «الكلام رأسمال» . وهو الببغاء – مثقفا ثقافة عربية فتدور أحداث القصص فى إطار عربى . فنلاحظ أنها تدور فى الجزء الأول حول الأمير عبد الرحمن ، وهو رجل ثرى عاش فى بلاد الشرق ، – والمقصود ببلاد الشرق هنا هى البلاد العربية – ولم يُسمع فى هذه البلاد عن رجل أكثر منه ثراءً ، منذ عهد قارون ، إلا أن ماكان يكدر عليه حياته هو حرمانه من الأبناء والإخوة ، إلا بنتا واحدة لاترث الملك من بعده .

وذات يوم أنجبت ابنته طفلا أسمته «محمداً» ففرح لأنه رزق حفيدا ، إلا أن فرحته لم تكتمل لأن الحفيد لايرث الملك ، وبينما هو فى هذه الحالة من الحزن يجيئه أحد العلماء ويخبره أنه رأى فيما يرى النائم أن الأمير لو جمع أربعين عالما ، وظلوا يدعون له أربعين يوما ، فإن الله سيرزقه الولد .

استبشر الأمير بالرؤيا وأجزل العطاء للشيخ ، ولم يمض أسبوع حتى جمع الأمير أربعين رجلا من علماء المدينة ، وأخبرهم بما يريد ، فبدأوا على الفور مهمتهم ، ولم يمض أربعون يوما حتى حملت زوجة الأمير ، وبعد تسعة أشهر انجبت له ولدا أسماه «موسى» .

ومرت الأيام ، وفُطم الطفل بعد عامين ، فأرسل الأمير لإحضار حفيده «محمد» ليتربى مع ابنه «موسى» فعاشا ، كأنهما توأم .

وبقدر سرور الأمير بمولد ابنة ، كان حقد وزيره وغضبه ، الذى كان يطمع فى أن يرث الملك ، إذا لم ينجب الأمير الولد ، لذلك كان يتمنى موت الأمير عبد الرحمن قبل أن ينجب ، ومنذ ولادة موسى والوزير يدبر له المكائد ليقتله ، أو يجعلة يهيم على وجهه فى الأرض ، ولكن الحراس كانوا متيقظين ، فلم يفلح فيما أراد .

أخذ الوزير يفكر فى حيلة ليبعد محمداً عن موسى ، حتى تثور ثائرة موسى فيخرج متسللا ليتبع محمداً ، وهنا يستطيع الوزير اتّباعه واقتناصه والقضاء عليه . فيخلو له الجو ، وينال المُلك فيما بعد .

وفى أحد الأيام وصلت رسالة من الأمير «سينارى» صديق الأمير عبد الرحمن، يخطب فيها موسى لابنته ، وعندما علم الأمير عبد الرحمن بمضمون الرسالة ثار غاضبا ومزقها ، وأخذ بلحية الرسول وألقاه جانبا ، ويتوعده بالحرب والدمار. فأخذ الحاضرون يهدئون من ثورته .

عاد الوزير إلى منزله . وقضى الليل يفكر ، كيف يغتنم هذه الفرصة ، فهداه تفكيره إلى أن يبعث برسالة إلى الأمير سينارى ، يهوّن له من شأن الأمير عبد الرحمن ، ويرسم له خطة لغزو إمارته ، ويعده بالمساعدة إذا وافق أن يولّيه أميرا على البلاد ، بعد هزيمة أميرها عبد الرحمن .

ويخرج الأمير عبد الرحمن مع ابنه موسى وأفراد الحاشية إلى مستنقع للصيد والاستجمام ، وإذ برجل عربى يمسك قفصا به ببغاء ، فيراه موسى ويتعلق به ، ويسأل الأميرُ الرجلَ العربى عن ثمن الببغاء ، فيقول له : «لاأبيعه بأقل من مائة جنيه»

سمع الخدم ذلك فظنوا أنه يسخر من أميرهم ، فهجموا عليه وكادوا يفتكون بهما ، فلما رأى الببغاء ذلك هز جناحيه قائلا : نصر الله الأمير ، لاتغضب من الثمن الذى طلبه صاحبى ، فإن مثلى لايباع بأقل من مائة جنيه ، بل إن المائة تنقص من قدرى .

طلب الأمير من خدمه اطلاق صراح الببغاء وصاحبه ، وقال مخاطبا الببغاء : أنت طائر صغير ، فما الذى دفعك إلى أن تقول ذلك (؟! طأطأ الببغاء رأسه وقال : أطال الله عمر الأمير ، مادفعنى إلى ذلك ليس جمال جسمى فحسب ، ولا فصاحة لسانى التى وهبنيها الله ، ولكن لما علمنيه صاحبى من مهارة فى علم التنجيم ، حتى صرت أعرف ماسيقع فى المستقبل ، علاوة على ماوقع فى الماضى ، إلى جانب ماوهبنى من معرفة لانهاية لها بعلم الطب ، وإذا كنت تريد سماع القصص أسمعتك ، سواء كانت

عن الجن ، أو اللصوص ، أو الحكام ، فإذا اشتريتني لن يضيع مالك عبثا ، فكأنك اشتريت كتاب «ألف ليلة وليلة» أو الكتب الأوربية التي تتحدث عن الرحلات والتاريخ والحساب والرعاية الصحية ، وإن كنت تريد سعة في الرزق قضيت حاجتك .

قال الأمير : هل أشتريك من أجل هذه الثرثرة التي لافائدة منها ؟ ! !

قال الببغاء : لاتحتقرن هذه الثرثرة فالكلام رأسمال .

ولما سمع الغلام أن الببغاء يستطيع رواية القصص ، أخذ يلح على والده لشرائه ، بينما وقف الأمير عبد الرحمن مندهشا ، لما سمع من هذا الطائر الصغير فقال له : إن كنت صادقا فيما تدعى ، فقل لى كم عمر موسى الآن ؟

فنظر الببغاء إلى موسى وقال : عمره اليوم أربعة عشر عاما وخمسة أشهر وثلاثة أيام .

قال الأمير : لقد سمعت هذا من الناس ، فإن أخبار موسى انتشرت فى كل مكان ، ثم سأله مرة أخرى قائلا .

فى أى يوم ولد ؟

قال الببغاء : فى يوم الجمعة عصراً . فتعجب الأمير وقال له :

إذا كان الله قد وهبك هذا العلم . فقل لى : ماذا سيقع فى المستقبل ؟

قال الببغاء : لا أحب أن تسمع هذا . لأنه سيثير حزنك وغضبك .

أصر الأمير على طلبه وهدد الببغاء بالإحراق إذا لم يقل مايرى : وعندما رأى الببغاء إصرار الأمير قال :

اعذرنى فيما سأقول ، فسيكون موسى سببا فى هلاك وإصابة حوالى ألف رجل من رجالك ، وهذا الامر سيحدث قريباً ، لذلك يجب أن تستعد له من الآن .

غضب الأمير مما سمع ، وأخذ القفص وألقاه بعيداً ، ثم هجم عليه وهمّ بقتله ، وفجأة سمعوا صيحة تنطلق من بعيد ، فالتفتوا وراءهم ، إذ بفارس يمتطى صهوة جواده ، يقبل من بعيد ، وجسمه ملطخ بالدماء فلما وصل ، ركع بين يدى الأمير وقال :

إن الأمير سينارى هجم على الإمارة ،

وتوغل فيها ، وقضى على جميع الفرسان ولم ينج أحد غيرى .

سكت الأمير ورجاله ، وأخذ كل واحد منهم ينظر إلى الآخر فى دهشة واستغراب ، وفجأة سمعوا ضحكة عالية . تنبعث من خلفهم . من قفص الببغاء . فلما التفتوا إليه قال لهم : هاهو قد حدث . لقد قلت لك ذلك فغضبت وهجمت على لتفتك بى ألا تعلم أن مثلى لايُستهان بكلامه ؟ !

ولم يجد الأمير مايقوله ، فاستطرد الببغاء قائلا :

والآن اتبع مشورتى ، لعل الله ينجيك ، ولايضرك أحد .

قال الأمير : قل وإن لم تخرجنا مشورتك مما نحن فيه سأدق عنقك ليرتاح الجميع .

وأخذ الببغاء يرسم الخطة للأمير لصد هجوم العدو ، شأن من عركته المعارك والحروب ، والأمير يستمع إليه حتى أتم خطته ، فقام الأمير بتنفيذها ، حتى كتب الله له النصر ، وهكذا أخفقت محاولة الوزير الأولى للقضاء على الأمير عبد الرحمن ليتولى الإمارة من بعده .

وبعد ثلاثة أيام نادى منادى الحرب ، فتجمع الجنود من كل أنحاء الإمارة وقام الأمير واستدعى خمسة عشر خادما ممن يثق فيهم ، وجعلهم فى حراسة قصره ، وطلب منهم رعاية موسى ، وألا يدعوه يخرج من القصر حتى يعود من حربه منتصراً . وقبل أن يغادر القصر نادى موسى والخدم وتوجه بهم إلى الببغاء وقال لهم : لا أوافق على أن تفعلوا شيئا قبل أن تأتوا إلى هذا الببغاء ، وتطلبوا مشورته ، ومايقوله لكم عليكم اتباعه ، مهما بدى لكم أنه خطأ . والتفت إلى الببغاء وقال له : هذه أمانة ، أودعتها لديك ، فإذا خنتها حسبى الله .

وهم الأمير بمغادرة المكان ، ولكنه التفت إلى الببغاء وقال له : بالأمس رأيت رجلا يحمل ببغاء أنثى ، فاشتريتها لتكون زوجةً لك . وبعث خادمه فجاء بها ، فشكره الببغاءُ .

وفى ضحى اليوم التالى . دُقّت طبول الحرب ، وتجمع الجنود وبدأوا المسير تاركين خلفهم « موسى » يتلهف شوقًا للحاق بهم . ولكن الحراس حالوا بينه وبين ذلك ، بعد أن أمرهم الأمير بألّا يدعوه يغادر القصر .

رأى الوزير أن الأمير عبد الرحمن خرج إلى القتال ، وترك موسى فى القصر : فامتلأ قلبه غبطة وسرورًا ، وأخذ يفكر فى وسيلة يتخلص بها من موسى قبل أن يعود الأمير ، فإذا قُتل ابنه كان الموقف فى صالحه مهما كانت نتيجة المعركة .

وعندما رأى غبار الخيل قد انقشع وصار الأمير وجيشه خارج حدود البلاد ، استدعى أربعة من عبيده الأشداء ، وطلب منهم أن يقتلوا موسى . على أن يحرر رقابهم ، مكافأة لهم على ذلك . وأخذ يرسم لهم الخطة لخطفه وقتله .

وبعد خروج الجيش قضى موسى يومه واجمًا ، يظن من يراه أنه يفكر فى والده الذى خرج للحرب ، ولكنه كان فى الواقع يفكر فى حيلة يفر بها من الحراس ليتبع أباه إلى ميدان القتال .

وعندما أقبل الليل غلّق الحراس الأبواب كلها ، وسلّموا المفتاح لموسى من النافذة – كما أمر الأمير – وعاد موسى إلى الدهليز حيث جلس الخدم يسمرون حتى غلبهم النوم قبيل الفجر .

ولمّا أحس موسى أن الخدم استغرقوا فى النوم ، تسلل وأخذ المفتاح ولبس لباس الحرب . وأخذ الدرع والسهام ، وتوجه إلى الببغاء ليستأذنه فى الخروج ليلحق بوالده .

دخل موسى على زوجة الببغاء ، وأخبرها برغبته . فلم توافق على ذلك ، فأمسكها من عنقها وألقاها على الأرض ، فلما رأى الببغاء ذلك أدرك أنه إذا منعه سيحدث له ماحدث لزوجته ، وإذا تركه يذهب يكون قد خان الأمانة التى عُهد إليه برعايتها ، فأخذ يفكر : فنهره موسى فقال له الببغاء : لاشك أنك ولد طيب ، لأنك لم تعص ما أمرك به والدك وجئت لتأخذ مشورتى ، مع أنك تعرف أننى طائر صغير ، لا حول لى ولا قوة . ولكن لأنك ولد طيب وفّيت بعهدك لوالدك ، ولم تكن كالشبل الذى فعل

ما يفعله أبناء هذا الزمان ، وأبى أن يسمع كلام والده فحدث له ما حدث .

قال موسى : الشبل ؟؟!! وأى كلام لم يسمعه ، إنه حيوان . هل يتكلم كما نتكلم ؟

قال الببغاء : إنهم يتكلمون كما نتكلم ولكن لا نفهم كلامهم .

وهنا أخذ يقص عليه الببغاء سلسلة من القصص على لسان الحيوان والطير ، على غرار ما يرد فى كتاب « كليلة ودمنة » ولا ينتهى من قصة حتى يبدأ فى قصة أخرى فيصيح الديك مؤذنًا فيؤجل إكمالها إلى الليلة التالية ، بعد أن يكون قد طلع الصبح . واستيقظ الخدم والحراس ، فينتظر الغلام حتى الليلة التالية فى شوق شديد لسماع بقية القصة على غرار ما كان يحدث بين « شهر زاد » والأمير « شهريار » فى قصة « ألف ليلة وليلة » .

وهكذا ظل موسى ينتظر كل ليلة حتى ينام الحراس . فيلهيه الببغاء بما يقص عليه من القصص الجذاب ، الذى يبدو فيه الأثر والأفكار العربية ، حتى يطلع الصباح ويستيقظ الحراس ، كل هذا والوزير يتربص به ، ويعمل كل ما وسعه من الحيل حتى يجعل الغلام يغادر القصر أو يخطفه من داخله ، ولكنه لا يستطيع إلى ذلك سبيلًا .

ظل الأمر على هذه الحال ، الوزير وأعوانه يتربصون بالغلام ، والببغاء يلهيه عن الفرار كل ليلة بحديثه الساحر حتى عاد الأمير من ميدان القتال وقص عليه الببغاء كل ما فعله الوزير من حيل لقتل موسى ، فلمّا سمع ذلك فاضت عيناه من الدمع ، إشفاقًا على الببغاء ، لما كابده خلال غيابه عن القصر .

و أصدر الأمير أمره بالقبض على الوزير فقبض عليه الجنود بعد ثلاثة أيام ، وهو يجتاز الحدود إلى إمارة الأمير « سينارى » فلمّا حضر بين يديه وواجهه بالشهود أمام الناس أسقط فى يده ، واعترف بما جنت يداه . فهجم عليه الناس وكادوا أن يفتكوا به ، وهنا وقف الأمير يخاطب الناس قائلًا :

لقد رأينا ما فعل الوزير وأعوانه وما فعل الببغاء لحماية الغلام ، وتنفيذ

ما أمرته به ، والآن أسألكم لماذا يُعيّن الوزير ؟

قال المستمعون : ليساعد أمير المدينة ، ويدفع الضر عن الرعية ، وليس كما فعل هذا الوزير الظالم .

قال الأمير : إذا كان الأمر كذلك ، فقد عيّنت هذا الببغاء وزيرًا لى ، سأشاوره فى كل أمر ، أم أنكم ترونه لا يستحق ذلك لأنه طائر صغير ؟

فرد الجميع قائلين . إن من يفعل فعله يستحق أن يكون وزيرًا .

حمل الناس الببغاء إلى منزل الوزير ، وأقيمت الأفراح والزينات لمدة سبعة أيام احتفالًا بتنصيب الوزير الجديد ، وقتل الوزير الخائن .

وبعد مدة أحضر الأمير للوزير ثلاث زوجات ، فصار عدد زوجاته أربعًا ويقوم على خدمتهن عدد كبير من الجوارى ، ودارت الأيام ، ووضعت إحداهن ذكرًا فأسماه « فصيح » .

ويذاع أمر هذا الببغاء « وزيرى » فى كل الأنحاء ، ويصل الخبر إلى الأمير « جمعان » أمير « سيركا » وهو صديق للأمير عبد الرحمن ، فيبعث إليه يلومه لتوليته الوزارة طائرًا دون الناس ، لمجرد أنه فصيح اللسان ، ويجيد رواية القصص ، ويخبره أنه سيأتى ببغائه « حاذق » ليباريه فى رواية القصص ، وأنه إذا فاز « حاذق » فإنه سيسلب الوزارة من الببغاء « وزيرى » .

ويأتى أمير « سيركا » ببغائه «حاذق» فى جمع غفير من رجال حاشيته وينعقد الجمع فى ساحة واسعة ، ويجلس الأميران وبجوارهما قاضيان وقد أمسك كلٌّ منهما قلمًا وقرطاسًا ، ويأخذ كل ببغاء يروى قصة ، يستمع إليها الجميع ، وبعد الانتهاء منها يتشاور القاضيان ، ويعطيان الراوى الدرجة التى يستحقها ، وفى نهاية الأمر يتغلب الببغاء « وزيرى » على منافسه ، ويشهد الجميع له بالفصاحة والحكمة .

ويتدرج أبو بكر إمام فى قصصه الذى يدور على لسان الحيوان والطير فى الجزء الأول من كتابه ، وهى تناسب الأطفال والبالغين ، ويجمع فيه بين القصص العربى الأصل والمحلى الذى نُسج على منوال

عربى ، وفى كلتا الحالتين ، يقوم الغلام بدور « شهريار » فى سماعها ، ويقوم بدور « شهرزاد » فى رواية القصص ذلك الببغاء « وزيرى » الذى تعلم الفصاحة والبلاغة وحسن الخطاب ورواية القصص والطب والتاريخ وعلم التنجيم على يد رجل عربى ، حتى صار يُغنى صاحبه عن قراءة كتاب « ألف ليلة وليلة » .

وهكذا نلاحظ أن القصص فى الجزء الأول يدور فى إطار عربى ، فلا يختلف عما كان يحدث داخل كتاب « ألف ليلة وليلة » و « كليلة ودمنة » ومجالس الأدب فى عهد الخلفاء العباسيين .

وقد ألفنا فى مصر صورة الشاعر الذى يجلس وحوله المستمعون ، يقص لهم قصة أبى زيد الهلالى والزناتى خليفة ، أو على بابا والأربعين حرامى ، ونفس هذه الصورة نلاحظها فى أدب الهوسا ، ولاسيما القصص الذى كُتب فى بداية النهضة الأدبية الحديثة فى سنة ١٩٣٤ كما سبق القول — وضع الدكتور إيست مسابقة للقصة القصيرة وتقدم لهذه المسابقة أربعة كتّاب نهجوا فى رواية قصصهم نهجًا واحدًا ، وهو نهج الشاعر الراوى فى مصر .

ففى قصة «Gandoki» أى « المغامر » لمحمد بالو يجلس الراوى وحوله المستمعون يقص عليهم مغامراته ، ومقاومة أهل البلاد للإحتلال البريطانى ، وكيف عجز عن المقاومة فخرج إلى المستنقع فاختطفه أحد الجن وذهب به إلى عالم آخر ، أخذ يحارب فيه الجن ، وينتصر عليهم ، ويدعوهم إلى الإسلام ، وبعد أن ينتهى من مهمته الخيالية ، يعود إلى بلاده فيشاهد التقدم العلمى الذى طرأ على البلاد فى ظل الاحتلال البريطانى — كما تروى القصة — وقد نالت هذه القصة الجائزة الأولى .

أما القصة الثانية فهى قصة «Ruwan Bagaja» أى « الماء الشافى » لأبى بكر إمام وهو الشقيق الأصغر للمؤلف السابق وبطلها هو الحاج إمام الذى يحب رواية القصص الغريب ويكافئ كل من يقص عليه قصة طريفة ، حتى جاءه رجل يدّعى أنه يجيد القصص .. ولكن الحاج إمام لا يقبل دعواه ، ويجلس بين مستمعية على كرسى ويروى لهم مغامراته .

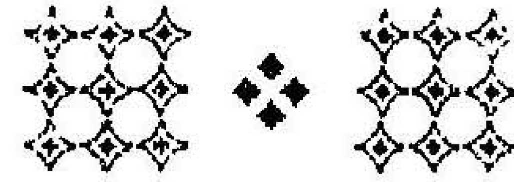
وقد نالت قصته الجائزة الثانية .

والقصة الثالثة هى قصة « الشيخ عمر » لأبى بكر تفاوا ، وبطل هذه القصة هو الشيخ عمر ، وهو عالم تعود أن يجلس بين تلاميذه يدرس لهم علوم الدين ، فيسأله أحدهم عن أصله وكيف أجاد اللغة العربية كأنه أحد أبنائها ، فيقص عليهم قصته ، وكيف سُرِق وهو طفل ، ثم بيع لرجل عربى من صعيد مصر ، فتبناه وعلمه حتى صار عالماً ... وقد فازت هذه القصة بالجائزة الثالثة .

أما القصة الرابعة فهى قصة "Jiki Magayi" أى « الجسم المتكلم » ؛ وقد اشترك فى تأليفها دكتور « إيست » و « تفيدا وساسا » وتدور أحداث هذه القصة حول أبى بكر ؛ وهو شاب أحب فتاة تسمى « زينب » وتعاهدا على الزواج فيأتى رجل ثرى عجوز يُسمى « شيخو » فيسلبها منه متوسلًا بالسحر والشعوذة . فيقوم الشاب بعدة مغامرات حتى يصل إلى الساحر الأكبر الذى يفسد حياة غريمه بسحره ، وتدور أحداث هذه القصة أيضًا على لسان الراوى .

وهكذا نلاحظ أن هذه القصص الأربع التى أُلِّفت فى وقت واحد ، يقوم برواية الأحداث فيها الراوى الذى يجلس بين المستمعين يقص عليهم ما لديه من قصص وهى نفس الصورة العربية المنتشرة فى هذه الفترة وحتى عهد قريب .

مصطفى حجازى السيد
أستاذ لغة الهوسا وآدابها
بمعهد البحوث والدراسات الافريقية
بجامعة القاهرة



أهمية الارتباط بين قواعد اللغة والنصوص الأدبية في مناهج الدراسة

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

(١)

كان تدوين اللغة واستنباط قواعدها . عملاً ضخماً ، قام به العقل العربي في قوة واقتدار ، وعبقرية معاً . منذ القرن الأول الهجري . وما تلاه من قرون . على أيدي علماء البصرة والكوفة ثم علماء بغداد . ونهض الرواة بالنصيب الكبير من هذا العبء ، وكان في مقدمتهم ، ومن أئمتهم : أبو عمرو بن العلاء وأبو زيد القرشي . وأبو عبيدة ، والأصمعي وحماد وخلف ويونس بن حبيب الضبي وسواهم .

وكان ذلك كله يعتمد كل الاعتماد على النصوص المختلفة ، الموثوق بها ، التي أخذت عن الرواة الثقات .

اعتمدوا أولاً على القرآن الكريم . وكان مصدراً جليلاً لسيبويه حين وضع القواعد ، ودوّن الأصول ، إذ اعتبره الأساس الأول في الاستشهاد ، والنبع الغزير الذي يركن إليه وهو يقعد القواعد ويضع المناهج لعلم النحو العربي ، وضعه في المنزلة الأولى من الكلام العربي ، وجعله المقدم في الاستشهاد في كل مسألة ، وكل مشكلة ، وكذلك فعل غير سيبويه من أئمة النحاة وعلمائهم .

ثم التفتوا بعد ذلك إلى الحديث النبوي الشريف . فجعلوه الأصل الثاني من أصول الاستشهاد ، بعد كتاب الله الحكيم . ولمّا كان الحديث النبوي قد أجاز العلماء روايته بالمعنى دون اللفظ الذي نطق به الرسول الأكرم — صلى الله عليه وسلم — فقد أخذ النحويون البصريون والكوفيون والكثير ممن جاءوا بعدهم من المؤيدين

للمذهب البصرى أو الكوفى يتخففون من الاعتماد كل الاعتماد عليه ، حتى صاروا ينظرون إلى شواهده تابعة لغيرها من الأصول الأخرى ، فى الاستشهاد، وتقعيد القواعد ، وتقرير الأحكام . فهم يذكرون الحديث النبوى لتأكيد ما يذكرونه من شاهد قرآنى أو نص أدبى نثرى أو شعرى مما ورد عن القبائل العربية ، التى يحتجون بلغاتها .. ومن أجل ذلك انقسم النحاة فى موقفهم من الاستشهاد بالحديث النبوى إلى ثلاث طوائف :

١ ــ طائفة أجازت الاستشهاد بالحديث كله ، وعلى رأسهم ابن مالك الأندلسى ، وابن هشام المصرى .

٢ ــ وطائفة منعت الاحتجاج به مطلقًا وعلى رأسهم أبو حيان النحوى .

٣ ــ وطائفة وقفت موقفًا وسطًا ، وعلى رأسهم الشاطبى والسيوطى وكثير من المحدثين .

وفى حين استشهد سيبويه بكتاب الله وقاس عليه ، وجعله حجته فى القواعد التى وضعها ، فإنه سوى بين الحديث النبوى وكلام العرب ، إذ أن كلام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسواء ورد بلغته الأصلية ، أم بلغات القبائل العربية الأخرى ــ لا يخرج عن الأساليب الواردة فى هذه اللغات .

وجعل النحاة كلام العرب هو المصدر الثالث من مصادر الحكم النحوى فى اللغة العربية . متنا وصرفًا ونحوًا . أى كلام القبائل العربية . الموثوق بفصاحتها ، وصفاء لغتها . سواء كان ذلك الكلام نثرًا أم شعرًا . وسواء كان من أدب العصر الجاهلى ، أم عصر المخضرمين ، أم عصر الإسلاميين ، إلى زمن فساد الألسنة وبلبلة اللغة ، منذ منتصف القرن الثانى الهجرى . وعلى المسموع عن العرب الفصحاء ، الموثوق بعربيتهم . يتوقف استعمالنا الصحيح لأساليب الكلام العربى من جانب متن اللغة أو نحوها أو صرفها .. فالسماع أصل من أصول النحو واللغة ودليل من أدلتها . وحسبك بالروايات الكثيرة عن سكان البوادى . الموثوق بفصاحتهم وصحة لغتهم ؛ وهى روايات كان الرواة يقاسون من أجل جمعها عناء الرحلة إلى البادية ، ومشافهة الأعراب فيها ؛ دون أن يلتفتوا إلى سكان الحواضر

الذين فسدت لغة أكثرهم ، أما من بقى منهم على نصيبه القديم من سلامة اللغة فقد أجازوا الأخذ عنهم ، والرواية لهم ، والاستشهاد بكلامهم ، كما ذهب إليه ابن جنى . وسأل الكسائى الخليل ذات يوم : من أين أخذت علمك ؟ فقال : من بوادى نجد والحجاز وتهامة .

استشهدوا بلغة قريش وكلامها ، لأنهم أفصح العرب لغة ،وأصحهم لهجة وأبلغهم لسانًا ، وأرفعهم مكانًا فى البلاغة والبيان وسلامة اللسان . كما استشهدوا بلغة قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وطئ . دون أن يأخذوا من غير هؤلاء من القبائل العربية ، حتى ولا من حاضرة الحجاز ، لأن سكانها كانوا قد خالطوا غيرهم من شتى العناصر الأجنبية ، ففسدت ألسنتهم .

وتابع الكوفيون البصريين فى الأخذ عن القبائل التى أخذوا منها ، كما أخذوا عن غيرهم أيضًا ، وأجمعوا جميعا على عدم الاحتجاج بكلام أعجمى ، من مثل زياد الأعجم وغيره ، ويقول زياد فى ألم شديد لصديقه ابن سليم :

أعوزتنى الرواة يابن سليم
وأبى أن يقيم شعرى لسانى
وغلا بالذى أجمجم صدرى
وشكانى لعجمتى شيطانى

بينما أخذوا من اللغات المفردة ، كما أخذوا من بنى الحارث بن كعب جواز إلحاق علامات التثنية والجمع بالفعل المسند ، إلى مثنى أو جمع ، مستدلين بقول شاعرهم :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى
فأعرضن عنى بالخدود النواضر

حيث ألحق الشاعر علامة جمع الإناث (النون) بالفعل (رأى) مع إسناده إلى الجمع الظاهر وهو (الغوانى) .

وتركوا الاحتجاج بكلام المولدين ، والمحدثين[1] ، فاستشهد البصريون بشعر

---

(١) المولدون من آباؤهم عرب وأمهاتهم أعجميات كبشار وأبى نواس ، والمحدثون هم الذين جاءوا بعد هذه الطبقة من مثل أبى تمام والبحترى وغيرهم من أصولهم عربية .

الجاهليين والمخضرمين ، وبشعر الإسلاميين كجرير والفرزدق ، وأكد البغدادى فى خزانة الأدب صحة التعويل على شعر الإسلاميين ، وإن كان أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) يعدهما وأمثالهما من المولدين لأنهم كانوا فى عصرهم ، وكان يقول فى كليهما : لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته ، فجعلهما مولدين بالنسبة للجاهليين والمخضرمين . وكان أبو عمرو لا يعد الشعر إلا للمتقدمين وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه وما كان من قبيح فهو من عندهم[1] .

وقد استشهد الزمخشرى (–٥٣٨ هـ) بشعر أبى تمام فى الكشاف ، ورأى أن أئمة اللغة ورواتها من المحدثين يجوز الاستشهاد بكلامهم ، فقال عن أبى تمام : هو وإن كان محدثًا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه : ألا ترى إلى قول العلماء : «الدليل عليه بيت الحماسة : فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه[2] واستشهد الزمخشرى أيضًا بشعر للبحترى[3] .. وأيد الزمخشرى فى رأيه بعض اللغويين : محتجين بأن إتقان الرواية يستلزم إتقان الدراية[4] .

وكان أحمد بن حنبل (– ٢٤٠ هـ) يقول : كلام الشافعى (– ٢٠٤ هـ) ، حجة فى اللغة ، ولكن مدرسة المحافظين لم تر سلامة شعر المحدثين فعاب أبو حاتم شعر أبى تمام[5] ، وقال ابن الأعرابى فى شعره : إن كان هذا شعرًا فكلام العرب باطل ، وكان المأمون يقول : انقضى الشعر مع ملك بنى أمية[6] ، وكان ينقد أبا تمام ، وينكر معانيه لأنها معانى الحضريين[7] . ولم يستشهد سيبويه

(١) ٧٣–١ العمدة .
(٢) ١–٦٥ ، ٦٦ الكشاف فى تفسير قوله تعالى : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » الخ
(٣) ١–٦٣ الكشاف . كما استشهد بشعر لبعض الحمدانيين أيضاً .
(٤) ٢–٤ خزانة الأدب للبغدادى .
(٥) ٣٠٤ الموشح .
(٦) ١–٣٦٢ ديوان المعانى لأبى هلال .
(٧) المرجع نفسه .

بشعر المولدين والمحدثين ، وهو وإن كان قد استشهد ببعضه نادرًا إلّا أنه لم يبن عليه قاعدة ، أو يجعله أساسًا لقياس فى لغة أو نحو أو صرف ، إنما كان يذكره لمجرد التمثيل بعد أن يبنى القاعدة على أساس من نص، قرآنى أو كلام صحت نسبته إلى العرب الموثوق بفصاحتهم . ولكن الكوفيين توسعوا فى الاستشهاد بشعر المولدين والمحدثين.. وكان ثعلب (–٢٩١ هـ) يقول: ختم الشعر بابن هرمة (– ١٥٠ هـ) ، وكان الأصمعى (–٢١٦هـ) يقول : ختم الشعر بالرماح [١] ،وورد عنه : بشار خاتمة الشعراء [٢] ، وكان أبو عمرو ابن العلاء (– ١٥٤ هـ) يقول : ختم الشعر بذى الرمة [٣] . ويقول الأصمعى فى رواية أخرى : ختم الشعر بابن هرمة وابن ميادة [٤] وعاب ابن الأعرابى شعر أبى نواس [٥] ، وأزرى بشعر المحدثين جملة [٦] . وكان أبو عمرو الشيبانى يقول فى أبى نواس : لولا أنه أفسد شعره لاحتججنا به [٧] .

ولكن غير المحافظين يرون أن المحدثين أكثر ابتداعًا للمعانى ، وألطف مأخذًا وأدق نظرًا ، لأنهم عظم الملك الإسلامى فى زمنهم ، ورأوا ما لم يره المتقدمون [٨] واستشهد بهم ابن جنى فى المعانى [٩] ، ويقول ابن طباطبا : وستعثر فى أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم [١٠] وجعل أبو عبيدة أبا نواس فى المحدثين مثل امرئ القيس فى القدماء (٧ : ٢٠٩ مهذب الأغانى) . وقال ابن رشيق فى بشار وأصحابه : زادوا معانى ما مرت بخاطر جاهلى ولا مخضرم ولا إسلامى . (٢ : ٢٢٦ العمدة) .

---

(١) ٣– ١٩٧ البيان .
(٢) ٢٣–٣ الإغانى .
(٣) ٤–٨٤ البيان والتبيين .
(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة – فى ترجمة ابن هرمة .
(٥) ١–٢٨٩ زهر الآداب .
(٦) ٨ – الموازنة .
(٧) ١–٢٢٨ البداية والنهاية لابن كثير .
(٨) ١٣٦ المثل السائر لابن الأثير .
(٩) ٢٢٤ – ٢ العمدة .
(١٠) ٨ عيار الشعر لابن طباطبا تحقيق الحاجرى ومحمد زغلول سلام .

وقد استشهد النحاة ببيت المعرى :

يذيب الرعب منه كل عضب

فلولا الغمد يمسكه لسالا

على إثبات الخبر بعد لولا لدلالة المبتدأ عليه ، لأن من شأن الغمد إمساكه ، والجمهور يعدون ذلك لحنًا من المعرى لأنه مولد لا يحتج بكلامه ... وأجيب بأنه ورد فى الشعر الموثوق به مثل ذلك ، نحو قول الشاعر الجاهلى :

لولا زهير جفانى كنت معتذرًا

ولم أكن جانحا للسلم لو جنحوا

والمسموع عند ابن جنى أربعة أنواع :

١ ـ مطرد فى القياس والاستعمال جميعا وهذا لا خلاف فيه .

٢ ـ مطرد فى القياس شاذ فى الاستعمال نحو الماضى من يدع ويذر .

٣ ـ مطرد فى الاستعمال شاذ فى القياس نحو استحوذ .

٤ ـ شاذ فى القياس والاستعمال معًا مثل ثوب مصوون

وذهب ابن جنى إلى أن الأمثلة الشاذة لا تؤخذ مثالًا يقاس عليه . فالبيت الشاذ يطرح ولا يؤخذ به . ولا يبنى إلّا على الكثير المعروف من كلام العرب . لا النادر الشاذ الذى لم يأت إلّا فى شعر ، ولا ينبغى أن تبنى عليه القواعد .

والسيوطى يعرف المطرد بأنه المستمر الذى لا يتخلف ، والشاذ هو ما فارق ما عليه بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره[(١)] .

ومناط الشذوذ مخالفة ما عليه الباب من العربية ، كما ذكر أمين الخولى فى بحث له[(٢)] .

ويرى الدكتور حسن عون[(٣)] ، أن الشاذ هو أثر قديم بقى فى اللغة بمثابة الرواسب التى تبقى فى بعض فروع النهر ، وينبغى إسقاط هذه الأمثلة من حسابنا إذا أردنا أن نضع النحو وضعًا جديدًا[(٤)] .

---

(١) ٢١ ـ الإقتراح للسيوطى .

(٢) ١٠٢ ـ البحوث والمحاضرات ـ عام ١٩٦٥ .

(٣) ١٠٠ و ١٠١ اللغة والنحو .

(٤) من الشاذ مثلا لغة من يلزم المثنى والألف فى جميع حالات الإعراب ، ومنه قول رؤبة أو أبى النجم : أن أباها وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها .

وإذا كان الشاذ هو ما خالف القياس والغالب فى كلام العرب . فلا ضير أن نعتبره بقايا لغات دارسة أو آثار لهجات مختلفة قديمة .

وقد وجد منهج لغوى آخر لايعتمد على المسموع بل على القياس ، وتوسع بعض العلماء فى القياس وبخاصة مدرسة الكوفة ، وكان عبد الله بن أبى إسحاق (ـ ١١٧ هـ) شديد التجريد للقياس ، وكان الكسائى (ـ ١٨٩ هـ) أكثر الكوفيين توسعاً فى القياس واعتماداً عليه وكان المازنى يقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، وكذلك كان أبو على الفارسى (ـ ٣٧٧ هـ) الذى كان يقول : لأن أخطئ فى خمسين مسألة مما به الرواية أحب إلى من أن أخطئ فى مسألة واحدة قياسية . وكان ابن جنى (ـ ٣٩٢ هـ) يقول : مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس [١] ، ويقول [٢] إذا بطل أن يكون النحو رواية وجب أن يكون قياساً وعقلا .

وأنكر السيوطى القياس وقال : أن اللغة منحصرة فى المروى والمسموع [٣] .

ومهما يكن من أمر فان السماع والقياس لهما أثر كبير فى استنباط القواعد ، ووضع الأحكام .

وقد وضع النحاة علل النحو منذ عبد الله بن أبى إسحاق ثم الخليل وتلاميذه . وألف المازنى كتاب « علل النحو » ، كما ألف الزجاجى كتاب « الإيضاح فى علل النحو » .. وبنهاية القرن الثالث استقرت علل النحو . واتسع البحث فيها .

وفى القرن الرابع ساد التيار المنطقى جميع العلوم العربية ومنها علم النحو الذى اعتمد على القياس والتعليل اعتماداً كبيراً .. وذهب د . شوقى ضيف إلى أن أكثر العلل تخرج عن الغاية من النحو ، وهى صحة النطق عند المتكلم ، إلى ما يمكن أن نسميه فلسفة العلل النحوية ، وهى فلسفة غير عملية ، وليس وراءها أى

(١) ٨٦ ـ أصول النحو للافغانى .
(٢) ١ ـ ٣٦١ الخصائص .
(٣) ١٨٦ ـ الاقتراح .

طائل نحوى[1] ، كما ذهب إلى ضرورة تيسير النحو للناشئة وأن تخرج منه هذه العلل المعقدة ، على أن يعنى المتخصصون بدراسته على صورته القديمة وكل ما داخلها من فلسفة العلة حتى يتبينوا تطوره[2] .

ويرى عباس حسن متابعاً لابن سنان الخفاجى (– ٤٦٦ هـ) وجوب اطراح التعليل ، لأنه لايثبت مما يعلل به النحويون إلا الفذ الفرد ، ولذلك كان المصيب منهم من يقول : هكذا قالت العرب من غير زيادة على ذلك[3] .

(٢)

ومما لاشك فيه أن شيوع الأسلوب المنطقى فى تعليل النحو واستنباط أحكامه أدى إلى ضعف ملكات الناشئة ، وأفسد الذوق الأدبى فى ألسنتهم ، وأدى بعدد كبير من المثقفين إلى الوقوع فى الخطأ واللحن وفساد اللسان ، مما ظهر عند كثير من خواص العلماء وكبار المثقفين . مما كان السبب فى جهل الشباب بأحكام النحو وأصوله ، وفى نطقهم المنحرف البعيد عن الصواب .

لذلك كان لابد من تربية الأذواق تربية ناجحة ولا مناص من أخذ الشباب بمنهج جديد فى تعليم اللغة بربطها ربطاً قوياً بالنصوص الأدبية .

إن الظاهرة الواضحة والماثلة والخطرة أمامنا هى استصعاب الشباب للقواعد . وجهلهم بها ، وخطؤهم فى النطق ، وبعدهم عن السلامة اللغوية بعداً تاماً . ولا مفر لنا من الرجوع إلى دراسة القواعد على أساس قوى من حكم النصوص الأدبية ، واتخاذ هذه النصوص وسيلة لاستنباط الأحكام المتصلة بقواعد اللغة .

والارتباط بين قواعد اللغة والنصوص الأدبية أمر له أهميته ، وهو بالغ الحيوية . وذو أثر كبير فعال ، فى صحة الألسنة ، وصفاء اللغة ، وسلامة النطق .

فقراءة الشباب للنص الأدبى البليغ ، وفهمه له ووقوفه على خصائصه يعطيه

(١) مقدمة الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ص (د) .

(٢) المرجع السابق ص (٨) .

(٣) ص ٦٠ رأى فى بعض الأصول اللغوية النحوية لعباس حسن. د وص ٣٣ من كتاب سر الفصاحة لابن سنان .

الملكة القادرة على البيان ، والموهبة المبدعة للأدب ، ويقوى الحاسة الأدبية فى وجدانه وأعماق شعوره ، ويجسد أمامه النماذج الحية البليغة التى يجب أن يقول على نمطها ، وأن ينشىء الأدب على منوالها ، وأن يقتبس من فصاحتها ، ويأخذ من بلاغتها ، ما يطبع لسانه على البيان الجيد ، والتعبير البليغ .

ثم هذا النص الأدبى الذى نقدمه للشباب ، يظل مرتسماً فى وجدانه وأعماق مشاعره ، نموذجاً حيًّا للقاعدة التى يؤتى به من أجلها ، وعندئذ تنصهر القاعدة فى نفسه ، وتظل مرتسمة فى عقله الباطن وتصبح سهلة عنده ، قريبة التناول ، واضحة كل الوضوح ، لا لبس فيها ولا غموض ولا خفاء ولا التواء .

ثم هذا النص كذلك بقراءته وحفظه يحرك لسان الشباب نحو سلامة النطق ، وصحة الأداء وسلامة الإعراب ، فلا يخطىء فى فاعل فينصبه ، ولا فى مفعول فيرفعه ، ولا فى مخفوض فيغيره من الخفض إلى حكم إعرابى آخر ، ويترتب على ذلك تلافى اللحن والخطأ فى ألسنة الشباب .

ومن ثم فلا مناص لنا من الربط القوى بين قواعد اللغة والنصوص الأدبية فى مناهج الدراسة ، فإن أهمية ذلك وفائدته وأثره واضحة للعيان كل الوضوح ، فالنصوص الأدبية يجب أن تكون أساساً قويًّا لدراسة قواعد اللغة

ومن البدهى الذى لا اختلاف عليه أن النصوص المختارة يجب أن تكون من البلاغة والجمال والتأثير ومن الوضوح والبعد عن الغرابة ، بمكان كبير ، فتخير النصوص تخيراً سليماً هو أهم ما فى الأمر لأنه الأساس الذى ستنبنى عليه الخروج إلى منهج جديد فى دراسة قواعد اللغة .

على أن النصوص الأدبية التى تقدم إلى الشباب قسمان :

قسم يستخدم لاستنباط قواعد اللغة وأحكامها . وفى رأيى أنه يجب أن يمتد الاستشهاد والاحتجاج على ذلك إلى عصر المتنبى — القرن الرابع — أو إلى عصر المعرى — القرن الخامس — .

وقسم يستخدم لإضاءة القاعدة وتقريبها إلى أذهان الشباب ، وفى رأيى أن كل النصوص الأدبية فى مختلف العصور ،

حتى نصوص العصر الحديث صالحة لذلك .

وكبار الشعراء فى الأدب العربى ، وفى العصر الحديث بالذات ، لم يصلوا إلى هذه المكانة الأدبية ، إلا بعد ثقافات عربية واسعة ، وبعد تضلعهم فى اللغة العربية تضلعاً كبيراً .. مما يجعل لكلامهم قيمة بلاغية وأدبية وعربية . ومما يسوغ لنا أن نجعل هذا الكلام حجة بين أيدينا فيما نقرره من أحكام .. وإذا جاز الخطأ على شاعر معاصر مثلا ، فإن الخطأ يندر فى آثار كبار الشعراء وأعلامهم ممن يجب التخير من أدبهم ، والاستشهاد والتمثل ببلاغاتهم .

إن استخدام المنهج الأدبى فى دراسة القواعد العربية ضرورة ملحة وذلك باللجوء إلى النص وإضاءته وتفسيره وتحليله واستنباط القاعدة منه ، ثم تقرير هذه القاعدة وشرحها ، واجمال الأحكام القريبة التى تدور حولها .

وفى هذا المجال أطالب .

١ ـ بأن تحذف من كتب الدراسة لقواعد اللغة العربية ، فى مختلف المراحل الأحكام التى تخالف رأى جمهور النحاة ، وأن تحذف كذلك كل النصوص التى يؤتى بها شاهداً لحكم شاذ أو لهجة متوحدة وما ماثل ذلك .

٢ ـ أن تدرس القواعد وحدها الدراسة العلمية العميقة فى مرحلة التخصص العلمى . وأن يختار لذلك الكتاب الملائم ، وأن تختار نصوص مؤلفة من مختلف العصور ومختلف المصادر والمراجع للدراسة أيضاً ، بحيث تكون مصورة لمختلف مناهج التأليف فى قواعد اللغة العربية عند مختلف المدارس والأقاليم والعصور .

٣ ـ وقد عجبت من اتخاذ ابن عقيل مثلا كتاباً دراسياً فى حين أن الجمل للزجاجى قد شرحه ابن هشام المصرى شرحاً يعد من أروع ما يكتب فى قواعد اللغة أحكاماً وتطبيقات ، مع سلامة الذوق وسهولة الأسلوب ووضوح الفكرة والبعد عن غرابة الأسلوب التأليفى .

ولا بد لنا من استعراض المؤلفات فى النحو مطبوعة أو مخطوطة ، لتخير الكتب الدراسية منها .. بمعرفة لجان متخصصة .

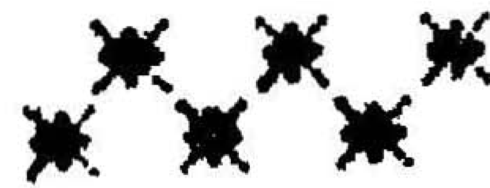
٤ ـ ويجب أن يوكل اختيار النصوص إلى لجنة من كبار العلماء والأدباء حرصاً على سلامة التخير ، وهذا يقودنا بالدور إلى ضرورة قيام لجان متخصصة لإخراج كتاب ضخم من أجزاء عدة ، بحيث يشتمل على أروع المختارات من الشعر العربي فى مختلف العصور ، وكتاب مماثل يشتمل على مختارات من النثر الأدبي .. بجميع ألوانه . ومن كل عصور الأدب .

٥ ـ وفى هذا المقام يجب أن يقرر على كل سنة دراسية كتاب أدبي ممتاز لدراسته وفهمه ومعرفة أهميته الأدبية والفكرية .. ليكون قراءة الطالب للأساليب الرفيعة خير معين له على سلامة الأسلوب وصحة اللغة والتمكن من القواعد .

٦ ـ ودرس المطالعة ضرورى أيضاً فى مناهج الدراسة لأنه يضع نموذجاً أدبياً كذلك بين يدى الطالب وأمام فكره .. وهذا مما يجعله يتعود الأسلوب الرفيع ، والنطق السليم .

وبالله التوفيق .

محمد عبد المنعم خفاجي
العميد السابق لكلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر



بعض ألفاظ القرآن الكريم
بين العربية والتعريب

للدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم

لقد كان للعرب لهجات شتى اقتضتها طبيعة فطرهم ، انعكست فى الجرس والأصوات والحروف ، فكثيرا ما نجد لحنا عند قبيلة لا نجده عند غيرها ، وقد نرى ظاهرة الاختلاف هذه واضحة ملموسة على امتداد الوطن العربى بل فى القطر الواحد ، على الرغم من سهولة الاحتكاك وسرعته بين هذه الأقطار .

وإذا رجعنا باللغة العربية إلى الوراء ، وجدنا أن قريشا كانت ، بين القبائل العربية ، ذات وضع خاص ، ومكانة متميزة هيأت للغتها أسباب الصدارة ، تبعا للموقع ، وجوار البيت ، وسقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، فنزل القرآن بلغتها التى هى أفصح اللغات ، يؤيد ذلك قوله عليه السلام : (أنا أفْصَحُ العَرَب بَيْدَ أنى مِنْ قُرَيْش ، وأنّى نَشَأْتُ فى بَنى سَعْد بن بَكْر)[1] . فلا غرو أن يتحدى فصاحتها ، وبالتالى يُسقط فى يدها .

لقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش كما نزل على سبعة أحرف ، على خلاف بين العلماء فى المراد بها على نحو أربعين قولاً ، فقد رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أقْرأَنِى جِبْرِيل عَلَى حَرْف فَراجَعْتُهُ ، فَلَم أزَلْ أسْتَزِيدُهُ ويزيد حَتّى انْتَهى إلى سَبْعَةِ أحْرُف)[2]

---

(١) روى أيضا : ميدانى » ـــ اللسان (بيد) ـــ الصاحبى / ٥٧ ، وهى بمعنى : « من أجل أنى » .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وانظر تفسير الطبرى ١ / ٩ .

والسؤال : هل ألفاظ القرآن كلها عربية أو أن فيه ألفاظاً معربة وألفاظا باقية على أصولها الأعجمية ؟

هذا ما سوف نعرض له ونعالجه فى بحثنا ، موجزين بعض الخلافات حول هذا الموضوع ، مثبتين ما انتهى إليه اجتهادنا وجهدنا ، مسلطين بعض الضوء على المقصود بالتعريب ، مدرجين ثبتا ببعض الألفاظ التى يظن أنها من أصول غير عربية .

* * *

بعض آراء العلماء

الرأى الأول :

وهو رأى القائلين بعدم وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، وهم الأكثرون . وقد استند هذا الفريق إلى قوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربيا)[1] ، وقوله : (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته . أأعجمى وعربى)[2] فقالوا : إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول . ثم قال قائلهم : وقد يوافق اللفظ اللفظ ويفارقه ومعناهما واحد ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها . وضربوا لذلك الأمثلة كالاستبرق بالعربية ، والاستبره بالفارسية. ثم زعموا أنه لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها .

الرأى الثانى :

ذهب أصحاب هذا الرأى إلى أن الألفاظ التى وردت فى القرآن من الفارسية والحبشية والنبطية وغيرها ، إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

الرأى الثالث :

قال أتباعه : إن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كانوا قد خالطوا كثيرا من الألسنة فى أسفارهم ، فاقتبسوا منها ألفاظا غيروا بعضها بالنقص أو الزيادة من حروفها ، واستعملوها فى أشعارهم وكلامهم حتى جرت مجرى العربى الفصيح ، فكان أن نزل القرآن بها .

الرأى الرابع :

يقول : إن هذه الألفاظ عربية صرفة ، ولكن لغة العرب متسعة جدا ، وهى أكثر اللغات ألفاظا ، لذا لم يكن مستغربا أن يخفى بعضها حتى

(١) الزخرف ــ ٣ .

(٢) الشعراء ــ ١٩٥

على الأكابر الجلة . ولا يبعد أن يكون العرب قد سبقوا إلى هذه الألفاظ.

الرأى الخامس :

أن المعرب قد وقع فى القرآن .

وأجاب أتباع هذا الرأى عن قوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربيا) بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا ، كما أن القصيدة الفارسية لا تخرج عن كونها فارسية لوجود لفظة عربية فيها .

ثم أجابوا عن قوله تعالى : (أأعجمى وعربى) بأن المقصود : أكلام أعجمى ومخاطب عربى ؟

وأيدوا رأيهم - أيضا - باتفاق النحاة على أن منع صرف : نحو «إبراهيم» للعلمية والعجمة .

الرأى السادس :

أن فى القرآن من كل لسان ، والحكمة من وقوع هذه الألفاظ فى القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبأ كل شىء ، فلابد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ، لتتم إحاطته بكل شىء ، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا عند العرب .

الرأى السابع :

هناك من حاول أن يوفق بين قول الفقهاء ، بوقوع المعرب فى القرآن الكريم ، وبين القائلين بالمنع فيه من أهل العربية ، فقال : إن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال إنها عجمية فهو صادق .

هذه هى خلاصة بعض الأقوال والآراء الواردة بهذا الصدد . وأما نحن فنقول وبالله التوفيق :

إن كلمة « قرآن » تطلق على الكل وتطلق على السورة الواحدة ، كما تطلق

---

(١) انظر الإتقان فى علوم القرآن ١- ١٣٥ -١٣٧ .

على الآية الواحدة ، وحتى على الكلمة الواحدة منه . فالقرآن يطلق على مجموعة وعلى جزء منه ، فلو اشتمل القرآن على غير العربية لكان مخالفاً لقوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربيا) وقوله جل من قائل : (بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) ، لأنه يكون بعضه عربيا وبعضه غير عربى ، فلا يكون — بالتالى عربيا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكان مخالفا لقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) لأن الرسول يكون حينئذ قد أرسل بغير لسان قومه ما دام قد بلغهم بغير لغة قومه ، وكلا الأمرين ممتنع ، فيمتنع أن يكون فى القرآن لفظة غير عربية ولو وجدت لكانت من غير القرآن ، لأن الله تعالى وصفه بأنه عربى .

أما قوله تعالى : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) فنفى أن يكون أعجميا . ونفى أن يكون أعجميا وعربيا فى قوله : (أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) بصيغة الاستفهام الإنكارى : فدل ذلك على أنه ليس فيه أعجمى ، أى : لبس فيه لفظ غير عربى ، على أحد الأقوال .

أما اشتمال القرآن الكريم على ألفاظ مستقاة من لغات أخرى كالمشكاة والقسطاس والاستبرق وسجيل وطه وغيرها[1] ، فإن ورود مثل هذه الألفاظ فى القرآن الكريم لا يعنى أنه مشتمل على ألفاظ غير عربية . لأن هذه الألفاظ قد عربت فصارت معربة ، فهو إذاً مشتمل على ألفاظ معربة ، لا على ألفاظ غير عربية . واللفظ المعرب عربى كاللفظ الذى وضعته العرب سواء بسواء ؛

ولا ريب فى ذلك ، فقد اشتمل الشعر الجاهلى وكلام العرب على ألفاظ معربة قبل نزول القرآن الكريم ؛ فهذا امرؤ القيس يوظف كلمة «السجنجل» بمعنى المرآة فى الرومية فى معلقته :

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ
تَرَائِبُها مَصْقُولَةٌ كَا لسَّجَنْجَلِ[2]

(١) انظر معانى هذه الألفاظ وأصولها آخر البحث .

(٢) شرح المعلقات السبع / ٢١

واستخدم ، هو وغيره ، الدمقس مشبها شحم الناقة به فى طراوته وبياضه . فى قوله

فظلّ العذارى يرتمين بلحمها
وشحم كهدّاب الدّمقس المُفتّل(١)

ولم يقف الأمر عند امرىء القيس وحده ، فكثير من الشعراء قد استخدموا ألفاظا أعجمية بحكم الاحتكاك بالفرس والروم ، فهذا طرفة يقول فى معلقته :

كقنطرة الرومىّ أقسم ربّها
لتُكتنفن حتى تُشاد بقرمد(٢)

ويقول لبيد من معلقته :

وتُضىء فى وجه الظّلام منيرةً
كجُمانة(٣) البحرىّ سُلّ نظامُها

ويقول حسان بن ثابت :

من خمر بيسان تخيّرتُها
دِرياقة(٤) تُوشِك فتر العِظام

ويقول أيضاً :

وإنّ ثواب الله كُلّ مُوحّد
جنانٌ من الفِردوس(٥) فيها يُخلّدُ

ويقول بشر بن أبى حازم

يُفلّجْن الشّفاهَ عن أقحوان(٦)
جلاهُ غِبّ سارية قطارُ

ويقول أيضاً :

رَبُدّلت الأباطح من نُمير
سنابك(٧) يُستثار بها الغُبارُ

ويقول عبد الرحمن بن حسان :

وهى زهراء مثل لؤلؤة(٨) الغوّا
صِ ، مِيزت من جوهر مكنُونِ

ويقول كعب بن مالك الأنصارى :

فلنأتين مأسدة تُسنّ سيوفُها
بين المذاد وبين جزع الخندق(٩)

(١) شرح المعلقات السبع — ١٠ .

(٢) الآجر — أنظر فقه اللغة — ٣١٨ .

(٣) الجمانة : الدرة فى الفارسية .

(٤) الدرياقة : الخمر بالرومية . أنظر المعرب — ١٩٠

(٥) المعرب —٢٨٩ — فقه اللغة —٣١٨ — الفردوس : البستان بالرومية .

(٦) بقت له نور أبيض . أنظر المفضليات —٣٣٩ .

(٧) جمع سنبك : طرف مقدم الحافر — المفضليات —٤٣٢ .

(٨) فارسية . المعرب —١٣٦

(٩) —المعرب —١٨٠ .

والخندق فارسية ، وأصلها : كندد . أى : محفور . وقد سمى الأنصار غزوة الأحزاب بغزوة الخندق .

وإن نظرة إنعام فى شعر الأعشى ترينا مدى تأثره بالفارسية وغيرها[1] ، كقوله :

قَدْ عَلِمَتْ فارِسٌ وَحِمْيرٌ والـ
أعْرَابُ بالدَّشْتِ[2] أَيُّكمْ نَزَلَا

وقوله :

حِرْصاً عَلَيْها لوَانَّ النَّفْسَ طاوَعَهَا
مِنْهُ الضَّمِيرُ لَبَالَى اليَمِّ[3] أوْ غَرِقا

ومثل هذا فى أشعارهم كثير . فالعرب كانت تعتبر اللفظة المعربة عربية كاللفظة التى وضعوها سواء بسواء .

وقد يظن ظان أن التعريب يعنى أخذ الكلمات من لغات أخرى ووضعها على ما هى عليه فى اللغة العربية ؛ ليس هذا هو المقصود بالتعريب ، بل التعريب أن تصاغ اللفظة الأعجمية بالوزن العربى ، فتصبح عربية بعد وضعها على وزن الألفاظ العربية ، أو على حد قولهم ، على تفعيلة من تفعيلات اللغة العربية أو أوزانها . فقد كان العرب يعمدون إلى اللفظة الأعجمية ، ثم يزنونها على تفعيلة من التفعيلات المعروفة لديهم . مثل : أفعل ، وفعّل ، وفاعل ، وافتعل ، واستفعل ، وانفعل . وغيرها ؛ فإن وافقتها ووافقت حروفها حروف اللغة العربية أخذوها ، وإن لم تأت على وزن من أوزانهم غيروها وحوّروها بزيادة حرف أو أكثر أو نقصانه ، حتى توافق إحدى تفعيلاتهم ، ثم أخذوها .

فمفهوم التعريب ، على هذا ، هو صوغ كلمة أعجمية صياغة جديدة وزناً وحروفاً ، حتى تصبح لفظة عربية فى وزنها وحروفها ، وحينئذ تكون عربية كألفاظهم التى وضعوها على حد سواء .

نخلص إلى أن اشتمال القرآن على ألفاظ معربة لا يعنى أنه اشتمل على ألفاظ غير عربية . لأن المعرب -- كما قدمنا - أصبح لفظاً عربياً ، لا أعجمياً ، عربه العرب أنفسهم الذين وضعوا اللغة العربية . لهذا ، فإن القرآن لم يشتمل على غير

(١) السمات الحضارية فى شعر الأعشى — ٣٣٧ — ٣٤٣ .
(٢) الصحراء (٣) البحر بالنبطية .

العربية مطلقاً ، وليس فيه لفظة واحدة يمكن أن يقال بأنها غير عربية . والله أعلم.

وفيما يلي جدول ببعض الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم من أصول غير عربية ، مرتبة على حرف المعجم (١)

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الهمزة)			
أباريق	طريق الماء أو صبه على هيئة	فارسية	الواقعة	١٨	١
أبّ	الحشيش	لغة أهل المغرب	عبس	٣١	١
أبلعي	اشربي — ازدردي	هندية أو حبشية	هود	٤٤	١
أخلد	ركن	عبرية	الأعراف	١٧٦	١
الأرائك	السرر	حبشية أو فارسية	الكهف وغيرها	٣١	٥
آزر	أعوج — يامخطئ — الضال	من المعرب	الأنعام	٧٤	١
أسباط	كالقبائل بلغة العرب	عبرية	البقرة وغيرها	٢٣٦	٥
استبرق	الديباج الغليظ	عجمية	الكهف وغيرها	٣١	٤

(١) لمزيد من المعلومات عن معاني هذه الألفاظ يمكن النظر في المراجع التالية : المعرب للجواليقي — تفسير غريب القرآن لابن قتيبة — المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي — الإتقان في علوم القرآن للسيوطي — لسان العرب لابن منظور — فقه اللغة للثعالبي — ولم نشأ أن نشير إلى صفحات مصدر كل كلمة ومعناها حتى لا تزدحم الهوامش بالأرقام .

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
أسفار	كتب	السريانية أو النبطية	الجمعة	٥	١
إصرى	عهدى	النبطية	البقرة وآل عمران	٢٨٦، ٨١	٢
أكواب	أكواز ـ جرار	النبطية	الزخرف وغيرها	٧١	٤
إل	اسم الله تعالى	النبطية	التوبة	٨، ١٠	٢
أليم	موجع	زنجية أو عبرانية	البقرة وغيرها	١٠	٧٢
إناه	نضجه	لسان أهل المغرب أو البربر	الأحزاب	٥٣	١
آن	الذى انتهى حره	البربر	الرحمن	٤٤	١
آنية	حارة	البربر	الغاشية	٥	١
الأواه	الموقن ـ الدعاء	الحبشية ـ العبرية	التوبة ـ هود	١١٤ ـ ٧٥	٢
الأواب	المسبح	الحبشية	ص ، ق	١٧ ـ ٣٣	٥
أوبي	سبحى	الحبشية	سبأ	١٠	١
الآخرة	الأولى	القبطية	البقرة وغيرها	٤	١١٥
الأولى	الآخرة	القبطية	طه وغيرها	٢١	١٧
		(الباء)			
بطائنها	ظواهرها	القبطية	الرحمن	٥٤	١
بعير	حمار أو ما يحمل عليه	العبرانية	يوسف	٦٥، ٧٢	٢
بيع	البيعة كالكنيسة	فارستيان	الحج	٤٠	١

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الاية	عدد المرات
		(التاء)			
تتبير	تدمير – إهلاك	النبطية	الإسراء وغيرها	٧	٤
تحتها	بطنها	النبطية	مريم	٢٤	١
تنور	وجه الأرض – كل مفجر ماء	فارسى	هود . المؤمنون	٤٠ . ٢٧	٢
		(الجيم)			
الجبت	الشيطان أو الساحر	الحبشية	النساء	٥١	١
جهنم	اسم لنار الله تعالى	أعجمية أو فارسية	البقرة وغيرها	٢٠٦	٧٧
		(الحاء)			
حرم	وجب	الحبشية	الأنبياء	٩٥	١
حصب	حطب	زنجية	الأنبياء	٩٨	١
حطة	صواب	لغة المخاطبين	البقرة – الأعراف	٥٨–١٦١	٢
الحواريون	الغسالون	النبطية	آل عمران وغيرها	٥٢	٤
حوب	إثم	الحبشية	النساء	٢	١
		(الدال)			
درست	قرأت	العبرانية	الأنعام	١٠٦	١
درى	مضيء	الحبشية	النور	٣٥	١
دينار	عملة ذهبية قديمة	فارسية	آل عمران	٧٥	١

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الراء)			
راعنا	سب	بلسان اليهود	البقرة – النساء	١٠٤–٤٦	٢
ربانيون	علماء–حكماء–مثاليون	عبرانية أو سريانية	آل عمران وغيرها	٧٩	٣
ربيون	كالرباني – كثيرون	سريانية	آل عمران	١٤٦	١
الرحمن	الرقيق	عبرانية	الفاتحة وغيرها	١ ، ٣	٥٧
الرس	البئر	أعجمى	الفرقان – ق	٣٨–١٢	٢
الرقيم	اللوح أو الكتاب أو الدواة	الرومية	الكهف	٩	١
رمزاً	تحريك الشفتين	العبرية	آل عمران	٤١	١
رهوا	سهلا دمثا – ساكنا	النبطية – السريانية	الدخان	٢٤	١
الروم	اسم جيل من الناس	أعجمى	الروم	٢	١
		(الزاى)			
زنجبيل	خمر الجنة أو عينها	فارسية	الإنسان	١٧	١
		(السين)			
سجداً	مقنعى الرءوس	السريانية	البقرة وغيرها	٥٨	٣
السجل	الرجل أو الكتاب	الحبشة – أو الفارسية	الأنبياء	١٠٤	١
سجيل	أولها حجارة وآخرها طين	فارسية	هود وغيرها	٨٢	٣

اللفظة	المعنى	الاصل	السورة	الآية	عدد المرات
سجين	واد فى جهنم أو الصلب من كل شيء	غير عربى	المطففين	٧، ٨	٢
سرادق	الدهليز	فارسى	الكهف	٢٩	١
سريا	نهراً	سريانية أو يونانية	مريم	٢٤	١
سفرة	القراء	النبطية	عبس	١٥	١
سقر	علم لنار الآخرة	أعجمية	المدثر	٢٦، ٢٧، ٤٢	٣
سكرا	الخل	الحبشية	النحل	٦٧	١
سلسبيل	سهل المدخل فى الحلق	أعجمى	الإنسان	١٧	١
سنا	ضوء النار والبرق	الحبشية	النور	٤٣	١
سندس	رقيق الديباج	الفارسية أو الهندية	الكهف	٣١	١
سيدها	زوجها	القبطية	يوسف	٢٥	١
سيناء	الحسن	النبطية	المؤمنون	٢٠	١
سينين	الحسن	الحبشية	التين	٢	١
		(الشين)			
شطر المسجد	تلقاءه	الحبشية	البقرة	١٤٤، ١٤٩، ١٥٠	٣
شهر	القمر لشهرته وظهوره	السريانية	البقرة وغيرها	١٨٥	٢٠

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الصـــاد)			
الصراط	الطريق	الرومية	الفاتحة وغيرها	٦	٤٥
صرهن	شققهن ـ قطعهن	النبطية ـ الرومية	البقرة	٢٦	١
صلوات	كنائس اليهود	العبرانية	الحج	٤٠	١
		(الطـــاء)			
طه	يارجل	الحبشية أو النبطية	طه	١	١
الطاغوت	الكاهن	الحبشية	النساء	٥١	١
طفقا	قصداً	الرومية	الأعراف ـ طه	٢٢، ١٢١	٢
طوبى	اسم الجنة	الحبشية أو الهندية	الرعد	٢٩	١
طور	الجبل	السريانية أو النبطية	الطور وغيرها	١	١٠
طوى	ليلا أو رجل	العبرانية	طه ـ النازعات	١٢ـ١٦	٢
		(العين)			
عبدت	قتلت	النبطية	الشعراء	٢٢	١
عدن	كروم وأعناب	السريانية أو الرومية	التوبة وغيرها	٧٢	١١
العرم	المسقاة التى يجمع فيها الماء	الحبشية	سبأ	١٦	١
		(الغين)			
غساق	البارد المنتن	التركية	ص ـ النبأ	٥٧ـ٢٥	٢
غيض	نقص	الحبشية	هود ـ الرعد	٤٤ـ٨	٢

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الفـاء)			
الفردوس	البستان	الرومية أو النبطية	الكهف ـ المؤمنون	١٠٧ـ١١	٢
فوم	الحنطة	العبرية	البقرة	٦١	١
		(القـاف)			
قراطيس	ورق	اليونانية	الأنعام	٧ ، ٩١	٢
القسط (١)	العدل	الرومية	آل عمران وغيرها	١٨	١٥
قسطاس	العدل أو الميزان	الرومية	الاسراء	٣٥	١
قسورة	الأسد	الحبشية	المدثر	٥١	١
قسيس	الصديق	أعجمى	المائدة	٨٢	١
قسية	رديئة	أعجمية	المائدة وغيرها	١٣	٣
قطنا	كتابنا	النبطية	ص	١٦	١
قفل	ما يغلق به	فارسى	محمد	٢	١
قمل	الدبا	العبرية أو السريانية	الأعراف	١٣٣	١
قنطار	ألف مثقال	الرومية أو السريانية	آل عمران وغيرها	١٤ ، ٧٥	٣
القيوم	الذى لاينام	السريانية	البقرة وغيرها	٢٥٥	٣
		(الكاف)			
كافور	عين فى الجنة أو مزاجها	فارسية	الإنسان	٥	١
كفرعنا	امح عنا	النبطية أو العبرانية	آل عمران	١٩٣	١
كفلين	ضعفين	الحبشية	الحديد	٢٨	١
كنز	المال ـ خزانة	فارسية	الكهف وغيرها	٨٢	٦
كورت	غورت	الفارسية	الزمر ـ التكوير	٥ـ١	٢

(١) ربما وردت كلمة فى السورة أكثر من مرة ولكنا أكتفينا أحيانا بذكرها مرة واحدة .

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(اللام)			
لينة	النخلة	بلسان يهود يثرب	الحشر	٥	١
		(الميم)			
مرجان	صغار اللؤلؤ	أعجمي	الرحمن	٢٢ ، ٥٨	٢
مرقوم	مكتوب	العبرية	المطففين	٩، ١٥	٢
مزجاة	قليلة	العجم أو القبط	يوسف	٨٨	١
مسك	ضرب من الطيب	فارسية	المطففين	٢٦	١
المشكاة	الكوة	الحبشية	النور	٣٥	١
مقاليد	مفاتيح	فارسية	الزمر ـ الشورى	٦٣ـ١٢	٢
ملكوت	الملك	النبطية	الأنعام وغيرها	٧٥	٤
مناص	فرار	الحبشية	ص	٣	١
منسأته	العصا	الحبشية	سبأ	١٤	١
منفطر به	ممتلئة به	الحبشية	المزمل	١٨	١
مهل	عكر الزيت	لسان المغرب والبربر	الكهف وغيرها	٢٩	٣
		(النون)			
ناشئة الليل	قيام الليل	الحبشية	المزمل	٦	١
ن	اصنع ما شئت	فارسي	القلم	١	١

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الهاء)			
هدنا	تبنا	العبرانية	الأعراف	١٠٦	١
هود	اليهود	أعجمي	البقرة	١١١، ١٣٥، ١٤٠	٣
هونا	حلماء	السريانية أو العبرانية	الفرقان	٦٣	١
هيت لك	هلم	النبطية أو العبرانية	يوسف	٢٣	١
		(الواو)			
وراء	أمام	النبطية	الكهف	٢٩	١
وردة	كلون الورد	أعجمية	الرحمن	٣٧	١
وزر	حبل ، ملجأ	النبطية	الأنعام وغيرها	١٦٤	١١
		(الياء)			
ياقوت	جمع ياقوتة	فارسية	الرحمن	٤٨	١
يحور	يرجع	الحبشية	الانشقاق	١٧	١
يس	يا إنسان أو يا رجل	الحبشية	يس	١	١
يصدون	يضجون	الحبشية	الزخرف	٥٧	١
يصهر	ينضج	القبطية	الحج	٢٠	١
اليم	البحر	السريانية أو القبطية	الأعراف وغيرها	١٣٦	٥
اليهود	أصحاب نحلة	أعجمي	البقرة وغيرها	١١٣، ١٢٠	٧

مراجع البحث

- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى – المكتبة الثقافية – بيروت ١٩٧٣
- تفسير غريب القرآن لإبن قتيبة – تحقيق السيد أحمد صقر – بيروت .
- جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى – دار المعرفة – بيروت .
- السمات الحضارية فى شعر الأعشى – دراسة لغوية وحضارية– زينب عبد العزيز العمرى – مطبوعات دارة الملك عبد العزيز – الرياض ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
- شرح المعلقات السبع للزوزنى– مطبعة محمد على صبيح – القاهرة ١٣٩٨ هـ –١٩٧٨ م
- الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس – تحقيق مصطفى الشويمى – مؤسسة بدران – بيروت ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م .
- فقه اللغة للثعالبى – الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ١٩٨١ ،
- لسان العرب لابن منظور .
- معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقى – مطابع الشعب – القاهرة .
- المعرب من الكلام الأعجمى للجواليقى– الطبعة الثانية– دار الكتب ١٣٩٨ هـ –١٩٦٩م ومطبعة الإمام – دار صادر – بيروت .
- المفضليات للمفضل الضبى – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون– الطبعة السابعة – دار المعارف – مصر ١٩٦٤ م .
- المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب للسيوطى– تحقيق إبراهيم محمد أبو سكين – مطبعة الأمانة – مصر ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

زيان أحمد الحاج ابراهيم
أستاذ النحو بجامعة البحرين

فى الممنوع من الصرف

حدّه ، وإعرابه

للدكتـــور محمد عبد الله جبر سلومه

تناول النحويون العرب موضوع «مالاينصرف من الأسماء» منذ تنبهوا إلى ما يميز هذا النوع من الكلمات من خصائص صرفية فى الصيغ وخصائص إعرابية فى التراكيب .

نجد فى «كتاب» سيبويه حوارا بينه وبين أستاذه الخليل حول صيغة «أفْعَل» إذا كانت علما أو وصفا وتعليل منع صرفهما ، وما يلحقهما من التصغير فتصرفان لأجله[1]

ويثبت ليونس البصرى قولا فى صرف «نَهْشَل» و «تَوْلَب»[2]

وينقل رواية للأخفش الأكبر أبى الخطاب فى تذكير كلمة مختومة بألف التأنيث المقصورة .

ويذكر توضيحا للخليل لمعنى «مَثْنَى» و «ثُلَاث» وإعرابها مأخوذا من قول لأبى لأبى عمرو بن العلاء[4] .

ويروى عن يونس قول ابن أبى اسحاق وأبى عمرو فى منع صرف العلم المؤنث المنقول من مذكر[5] .

وينقل رأى عيسى بن عمر فى صرفه أيضا[5] .

ولابد أن ذلك كان امتدادا لبحث اللغويين من الأجيال السابقة وملاحظاتهم ، وأنه كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنص القرآنى الذى كان هو الباعث على النشاط اللغوى . فقد اهتم سيبويه كذلك بأن يسجل

---

(١) سيبوية : الكتاب ج ٢ ص ٢ ط بولاق ١٣١٧ هـ وانظر سائر الباب .

(٢) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١١ ، ١٢

(٣) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١٧

(٤) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١١ ، ٢٨

(٥) السابق : ج ٢ ص ٢٣ .

قول بعض المفسرين إن قوله عز وجل : « اهبطوا مصر » (البقرة — ٦١) بغير تنوين أنما أراد « مصر » بعينها[١] .

ويبدو أن اصطلاح « لاينصرف » كان قد استقر قبل أن يدون سيبويه كتابه حتى إنه يستعمله بما يدل على ذلك ولم يثبت له حدا ولم يصنع ماصنعه فى الأبواب المتقدمة من الكتاب حيث كان العنوان — أو الترجمة — يستغرق عددا غير قليل من الأسطر يتضمن محاولة للتعريف ولايتضمن الاصطلاح الذى استقر فيما بعد .

بل إننا نجد اصطلاح «صرف مالاينصرف» فى الأبواب الأولى من الكتاب ففى « باب مايحتمل الشعر »[٣] نجده يقول : « اعلم أنه يجوز فى الشعر مالايجوز فى الكلام من صرف ما لاينصرف ، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء لأنها أسماء كما أنها أسماء » ولم يستشهد لذلك ، فهذا دليل على أنه يستخدم مصطلحا مستقرا متداولا لا يغنى ذكره عن التمثيل .

وجدير بنا أن ننظر فى معنى « الصرف » فى هذا الموضع من الدرس النحوى . وأول مايصادفنا فى كتاب سيبويه مما يعين على فهم معنى « الصرف » قوله : « واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض ، فالأفعال أثقل من الأسماء ، لأن الأسماء هى الأولى وهى أشد تمكنا ، فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون . . . واعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء فى الكلام ووافقه فى البناء أجرى لفظه مجرى مايستثقلون ومنعوه مايكون لما يستخفون وذلك نحو : أبيض وأسود وأحمر ، فهذا بناء أذهب وأعْلَمُ ، فيكون فى موضع الجر مفتوحا ، استثقلوه حين قارب فى الكلام ووافق فى البناء[٤] » .

ثم قوله : « واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهى أشد تمكنا . . . فمن ثم أكثر الكلام ينصرف فى النكرة »[٥]

ثم قوله : « واعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجمع . . . ومن ثم لم يصرفوا ماجاء

---

(١) السابق : ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) انظر : باب الفاعل الذى لم يتعده فعله إلى مفعول ، والمفعول الذى لم يتعد إليه فعل فاعل ج ١ ص١٣ — ١٤ وهو بوجه عام يتناول الفعل اللازم والفعل المتعدى ، والمبنى للمجهول « وكان » وأخواتها

(٣) ج ١ ص ٨ وانظر قوله « أفكل وأكلب ينصرفان فى النكرة ج ١ ص ٦ وقوله : « أكثر الكلام ينصرف فى النكرة » ج ١ ص ٧ وقوله : « وجميع ما لا ينصرف ... ما يدخل فى المنصرف » ج ١ ص ٧ .

(٤) ج ١ ، ص ٦ ، وانظر فى الموضوع نفسه : ج ٢ ص ٢ ، ٤ ، ٦ .

(٥) ج ١ ص ٢٧ ، وانظر : ج ٢ ص ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ .

من الجميع على مثال ليس يكون للواحد نحو : مساجد ومفاتيح[1] » ثم قوله : « واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث. . . فالتنوين علامة للأمكن عندهم والأخف عليهم ، وتركه علامة لما يستثقلون ، وسوف نبين ماينصرف ومالاينصرف إن شاء الله »[1].

ثم قوله : « وجميع مالا ينصرف إذا أدخلت عليه الألف واللام أو أضيف انجر ، لأنها أسماء أدخل عليها مايدخل على المنصرف ، وأدخل فيها الجر كما يدخل في المنصرف ، ولايكون ذلك في الأفعال ، وأمنوا التنوين » ثم قوله : « فجميع مايترك صرفه مضارع به الفعل ، لأنه إنما فعل ذلك به لأنه ليس له « تمكن غيره ، كما أن الفعل ليس له تمكن الاسم »[2].

من هذه النصوص يمكن أن نفرق بين أمرين : أحدهما يتصل بصيغة الكلمة ، والآخر يتصل بحكمها الإعرابي في بعض التراكيب

أما ما يتصل بالصيغة فهو أمر التنوين وهذا — في ظني — هو « الصرف » الذى يعنيه سيبويه : فكل مقارناته التي يرمى من ورائها إلى تعيين « المنصرف » و« غير المنصرف » هي بين صيغ : النكرة في مقابل المعرفة ، والمفرد في مقابل الجمع ، والمذكر في مقابل المؤنث ، والاسم من حيث هو في مقابل الفعل من حيث هو ، وصيغة الاسم في مقابل صيغة الفعل .

فالأطراف الأولى في هذه المقابلات هي الأمكن والأخف وهي التي تستحق التنوين ، والأطراف الأخر ليست الأمكن ولا الأخف فمنعت التنوين :

وأما ما يتصل بالحكم الإعرابي فهو أن مالا ينصرف « يكون في موضع الجر مفتوحا » وإذا أدخلت عليه الألف واللام أو أضيف انجر » يعني بالكسرة .

أستطيع أن أخلص من هذا إلى أن « الصرف » عند سيبويه يعني التنوين لا الجر بالكسرة وقد أوضح ذلك في استشهاده ببيت جرير حيث قال : « وقد قال الشاعر فصرف ذلك ولم يصرفه :

(يعني العلم المؤنث الثلاثي الساكن الوسط) .

لم تتلفّع بفضلِ مئزرِها
دعدٌ ولم تُغْذَ دَعْدُ في العلبِ

فصرف ولم يصرف »[2] .

(١) ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) ج ١ ص ٢٧ ، وأنظر : جـ ٢ ص ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥

وهذا ما أثبته السيوطي في « الهمع » في تقسيمه للتنوين فقد قال في تنوين التمكين وهو القسم الأول :

« فالصرف هو تنوين التمكين الذي إذا حُرِمه الاسم لمشابهته الفعل قيل : مُنِع الصرف »(1) .

وقد سبق أن أثبت للممنوع من الصرف تعريفين ، أحدهما : أنه ما سُلِب منه التنوين ، والآخر : أنه ما سُلِب منه التنوين والجر معا(2) بناء على الاختلاف في تعريف الصرف » هل هو التنوين؟ ، أو هو التصرف في جميع المجارى ؟ .

وقد أوضحت رأي سيبويه أن الصرف هو التنوين ، وفصلت ما بين فَقْد التنوين ، وهو راجع في الأساس إلى خصائص صرفية ، والجر بالفتحة وهو مظهر من مظاهر التغير الإعرابي .

ولنا أن نسأل – رغبةً في المعرفة – عن العلاقة بين هاتين الظاهرتين : فَقْد التنوين والجر بالفتحة .

أشير أولاً إلى أن ظاهرة التنوين في العربية لها نظائر في عدد من اللغات السامية .

وتقدم لنا المقارنات اللغوية نماذج من هذه الظاهرة التي يجوز لنا أن نظن أنها كانت موجودة فيما يعرف باسم اللغة السامية الأم أي الأصل الافتراضي للغات السامية المعروفة ، وإن تكن قد اتخذت مسارات مختلفة وصورا غير متطابقة .

وقد اهتمّ دارسو اللغات السامية بعقد المقارنات بينها فيما يتعلق بالظواهر الصرفية والنحوية ، وكان من بين ما نبهوا عليه وجود ظاهرة التنوين في العربية وظاهرة مقابلة لها هي ظاهرة التمييم – أي وجود الميم بدل النون – في اللغة العربية الجنوبية القديمة ، وفي اللغة البابلية الأشورية – وتعرف بالأكادية وقد عدّهما بروكلمان علامتين للتنكير ، ورأى أن الميم أصل وأن النون في العربية متحولة عنه(3) ويشير أيضا إلى وجود تمييم في العبرية والحبشية والآرامية في بعض الظروف (3) .

وقد قدم رابين خلاصة لملاحظات علماء الساميات في دراستهم لهذه الظاهرة نَعْرِضها فيما يلي :

---

(1) الهمع 2 – 79 طبع السعادة 1327 هـ يمكن قراءة « حرمه » : جرد منه .

(2) السابق 1 – 24 .

(3) كارل بروكلمان : فقه اللغات السامية ص 103 ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض 1977 .

* فى العربية الجنوبية :

الأسماء المعرّفة بعلامة التعريف ، وهى النون فى آخرها — أو التنوين — لا يلحقها التمييم ، وأما الأسماء التى تخلو من علامة التعريف فقد يلحق بعضها التمييم [1].

ووضح بيستون [2] أن الحالات التى لا يُثْبَت فيها التمييم فى اللغة السبئية هى بدائل للصيغ المعرّفة بعلامة التعريف : وقد وقع هذا فى الأسماء الآتية :

١ - أسماء الجهات الأصلية الأربع .

٢ - أسماء فصول العام .

٣ - أسماء الأجناس .

وأضاف جاب Gibb فيما ينقل رابين [٢] مجموعة أخرى غير ذات التمييم فى السبئية هى :

٤ - الأعلام التى على وزن أفْعَل .

٥ - الأسماء التى على صيغة صرفية مختومة بالنون (= أى الزائدة) .

٦ - بعض صيغ جموع التكسير .

٧ — بعض تراكيب العطف بين اسمين .

٨ — الأعلام المركبة تركيب المزج .

٩ — الأعلام التى على وزن يفعل .

ثم أضاف مولر إلى كل أولئك :

١٠ — الألقاب الإلهية والبشرية .

* فى الأكادية القديمة :

الأسماء التى لايلحقها تمييم لها مواقع نحوية واضحة ، منها أربعة تشبه أربع حالات فى العربية بدون تنوين (ولكنها ليست ممنوعة من الصرف) وهى : الإضافة — الظرفية — نفى الجنس — النداء [٣] .

وهناك أيضا بعض الأنواع لا يلحقها التمييم ولها خصائص معنوية هى :

١ — أسماء الأعلام ، وخاصة المركبة الأجنبية .

٢ — أسماء الشهور .

٣ — ألفاظ الأعداد والمقاييس .

٤ — بعض المركبات الظرفية .

C. Rabin: The Diptote Declension; Arabic & Islamic Studies In Honor of Gibb. ed. G. Makdisi. Brill, 1965, p 553.

A.F.L.Beeston: A descriptive Grammer of Epigraphic South Arabian. London, 1961, p.31.

(٣) المقصود هنا : الظروف المبنية — واسم « لا » النافية للجنس فى بعض أحواله — والمنادى فى بعض أحواله .

٥ – بعض المركبات المزدوجة [١]

ولكن لاشيء من هذه الأنواع يثبت على حالة الخلو من التمييم .

وبالإضافة إلى ذلك نجد فى الأكادية صيغا موغله فى القدم تخلو من التمييم وتنتهى بفتحة لاعلاقة لها بحالة النصب ، وبعض هذه الصيغ تمثل الأعجاز من أسماء مركبة ، وبعضها أعلام [٢] .

وهنا أذكر أن الأكادية كانت تستخدم ثلاث علامات إعرابية كالتى تستخدمها العربية :

الضم للرفع – والفتح للنصب – والكسر للجر . ويفترض علماء الساميات أن اللغة السامية الأم كان فيها هذا النظام الإعرابى ، وقد بقيت آثار منه فى العبرية والحبشية والآرامية [٣] .

– فى اللغة العمورية :

ليس فى نقوش اللغة العمورية سوى أسماء أعلام ، ولها ثلاث حالات إعرابية ، ولكن بعض الأسماء بالإضافة إلى كونها معربة لها حالتان أخريان ، إحداهما بدون حركة إعرابية ، وفى الأخرى تنتهى بالفتحة [٤]

فى اللغة الأوغاريتية :

يتضح من نقوش اللغة الأوغاريتية أنه قد كان فى تلك اللغة ثلاث حالات إعرابية كلها بغير تمييم . وقد وجد فيها أربعة أنواع من أسماء الأعلام وقعت مجرورة منتهية بالفتحة ، ثلاث منها تناظر بعض الممنوع من الصرف فى العربية ، وهذه الأنواع الأربعة هى :

١ – الأعلام المختومة بعلامة تأنيث .

٢ – الأعلام المختومة بألف ونون زائدتين .

٣ – الأعلام التى على وزن فُعَل

٤ – الأعلام والألقاب الخاصة بالمعبودات [٤]

– فى اللغة الحبشية :

أما اللغة الحبشية فقد ضاعت منها الضمة علامة الرفع ، والكسرة علامة الجر ، ولم يبق سوى الفتحة علامة النصب [٤]

---

(١) نلاحظ فى هذه الأنواع أن بعضها يوافق بعض ما فى العربية من الممنوع من الصرف وهو الأعلام المركبة تركيباً مزجيا ، والأعلام الأعجمية وبعضها يوافق بعض ما فى العربية من المبنيات وهو : الأعداد المركبة ، وبعض الظروف وبعض المركبات مثل : صباح مساء .

(2) C. Rabin: Ibid, p.555.

(٣) بروكلمان : فقه اللغات السامية ص ١٠٠ – ١٠١ .

(4) c. Rabin: Ibid, p.556.

— فى العبرية والآرامية :

ليس فى العبرية ولا الآرامية تغيّر إعرابى .

وقد قدم رابين قائمة بالحالات التى يكون فيها الاسم غير مختوم بالتنوين أو التمييم ، أو يكون فيها مفتوح الآخر . ويشمل هذا : الممنوع من الصرف والمبنى على الفتح فى العربية ، ومن تلك القائمة يتبين وجود الحالتين بشكل غير مركز فى الحبشية ، والأوغاريتية والعربية الجنوبية . ويتركز فقد التمييم بصورة واضحة فى الأكادية ، وفقد التنوين مع الفتح فى العربية [1].

وأشد النتائج وضوحا أن فى اللغات السامية سوى العربية — حالات متفرقة لا يربطها نظام يفقد فيها بعض الأسماء التميم لخصائص متعلقة بالدلالة ، أو الصيغة الصرفية ، أو التركيب النحوى والصيغة الصرفية معا ، ولكن اللغة العربية قد وضعت الخصائص اللغوية السامية العامة فى نظام متسق ، واهتمت بالخصائص المتعلقة بالصيغة الصرفية اهتماما قويا فى هذا المجال ، وقلّلت من الخصائص المتعلقة بالدلالة . وهذا على النقيض مما نلاحظه إذا أوغلنا فى التاريخ فإن الخصيصة المتميزة لمنع الصرف فى البدايات الأولى للغات السامية بل قد تكون الخاصية الوحيدة هى الخاصية المتعلقة بالدلالة . والقسم الرئيس من الأسماء الممنوعة من الصرف لهذه الخاصية هو أسماء الأعلام [2].

وقد استتبعت نظرة هؤلاء العلماء إلى ظاهرة فقد التميم والتنوين أن يضموا إلى الممنوع من الصرف بمفهومه فى النحو العربى كلمات أخرى سبقت الإشارة إليها هى فى تصنيف النحو العربى من المبنيات لا من الممنوع من الصرف.

وواقع الأمر أنهم فى ذلك مسبوقون ، فقد تناول بعض كتب النحو العربى المتقدمة فى التأليف ظاهرة الممنوع من الصرف وألحقت بها جانبا من المبنيات : من ذلك ما نجده عند سيبويه : فإنه تحت عنوان : « هذا باب ما ينصرف وما لا ينصرف »[3] تناول ما يدخل فى الممنوع من الصرف ثم ألحق به « ما جاء معدولا عن حدّه من المؤنث . وهو صيغة فَعَالِ » إذا كانت اسم فعل ، أو سبا لمؤنث ،

---

(١) C. Rabin: Ibid, p.559.

(٢) C. Rabin: Ibid, p 559.

C. Rabin: Ibid, p.560.

(٣) سيبويه : ٢ / ٢ :

(٤) سيبويه : ٢ / ٣٦ .

أو وصفا لمؤنث أو مصدرا ، أو علما لمؤنث وهذا كله من المبنيات ، وإنما دعاه إلى ذلك أنّ بنِي تميم يعربون « فَعَالِ » علمًا لمؤنث إعرابَ ما لا ينصرف[1] .

ثم تناول الظروف المبهمة غير المتمكنة[2] . وهي من المبنيات ، ثم تناول المركبات المزجية من الأعلام غير المنصرفة . وألحق بها المركبات المبنية كالعدد المركب[3] ، وبعض أسماء الأفعال مثل حيّهل[4] وبعض الظروف المركبة مثل : يومَ يومَ ، وصباح مساء ، وبينَ بينَ[5] . ثم عاد مرة أخرى إلى « ما ينصرف وما لا ينصرف من الأسماء المعتلة الآخر »[6] ، ثم انتقل إلى الحكاية[7] .

وقد فعل أبو إسحاق الزجاج مثل ما فعل سيبويه ، فقد خصص كتابا بعنوان « ما ينصرف وما لا ينصرف »[8] تناول فيه خصائص الممنوع من الصرف ، وإعرابه ، ثم تطرق إلى المعدول على وزن فَعَالِ[9] كما فعل سيبويه ، ثم تناول الأسماء المبهمة وهي أسماء الإشارة ومعظمها من المبنيات[10] ثم تناول الظروف المبهمة وبعض أسماء الأفعال وهي من المبنيات[11] ، ثم المركبات التي لا تنصرف والمركبات المبنية[12] وإعراب المنقوص[13] وختم الكتاب بالحكاية[14] .

وقد أورد ابن جني[15] مناقشة لقول يرى أصحابه أن البناء خطوة تلي منع الصرف . ولعل صنيع سيبويه والزجاج وابن جني يشير إلى ما لاحظه علماء العربية من أن منع الصرف والبناء بينهما ارتباط وتماثل في كونهما مخالفين لحالة الإعراب التي تتمثل في تعاقب العلامات الثلاث .

---

(١) سيبويه : ٢ / ٤٠ .

(٢) سيبويه : ٢ / ٤٤ .

(٣) سيبويه : ٢ / ٥٠ .

(٤) سيبويه : ٢ / ٥٢ .

(٥) سيبويه : ٢ / ٥٣ .

(٦) سيبويه : ٢ / ٥٦ .

(٧) سيبويه : ٢ / ٦٤ .

(٨) بتحقيق : هدى محمود قراعة – طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٧١ .

(٩) ما ينصرف : ٧٢ .

(١٠) ما ينصرف : ٧٩ .

(١١) ما ينصرف : ٨٧ .

(١٢) ما ينصرف : ١٠٢ .

(١٣) ما ينصرف : ١١١ .

(١٤) ما ينصرف : ١٢٣ .

(١٥) ابن جني : الخصائص : ١ / ١٧٩ / ١٨ تحقيق النجار ط . دار الكتب ١٩٥٢ .

ويمكن أن يُفَسَّر جرّ ما لا ينصرف بالفتحة إذا تجرد من الإضافة والتعريف بالحرف بأنه فى مرحلة من مراحل حياة اللغات السامية كانت هناك أقسام ثلاثة للأسماء .

قسم ينتهى بالتمييم أو التنوين . وآخر بغير تمييم أو تنوين ينتهى بفتحة فى جميع الأحوال وثالث مفتوح دائما ولكن للفتح فيه وظائف معنوية كالتأكيد فى العبرية . أو وظائف نحوية كالتعريف فى الآرامية والإضـافة فى الحبشية ، ثم تلاشى التمييم . ونشأ نظام إعرابى فيه الضم والفتح والكسر بغير تنوين . ويقابله ما آخره مفتوح دائما . ولكن العربية احتفظت بالتنوين للمعرب وجعلت لبعض ما آخره فتحة علامة الرفع بالضمة فكان ما يُعرف بالممنوع من الصرف .

وبهذا التفسير الذى رجّحه رابين يكون المنع من الصرف ظاهرة عربية محضة يعود تفرُّدها بها إلى أنها تجمع عناصر متعددة لم تجتمع فى اللغات السامية الأخرى ، وإنما هى متوزعة بينها[1] .

وهذا الرأى الذى يجعل المنع من الصرف خطوة فى طريق إعراب ما كان غير معرب بإعطائه علامة الرفع ، ثم بإعطائه علامة الجر فى حالتى التعريف بالحرف والإضافة يصطدم بالتصوّر الذى يُستشفّ من الرأى القائل بأن المنع من الصرف خطوة فى طريق سلب التصرف الإعرابى بحذف التنوين . ثم بمنع الكسرة فى حالة التجرد من الإضافة والتعريف . رأن البناء هو الخطوة التالية . وقد سبق أن أشرت إلى هذا القول الذى ناقشه ابن جنى .

ويصطدم هذا الرأى أيضا بما انتهى إليه الاستعمال اللغوى لدى عامة المتحدثين والكتاب بالفصحى من عدم إجراء أسماء الأعلام أيا كانت : عربية وأعجمية . مذكرة ومؤنثة ما حقه التنوين منها وما لاحقّ له فيه : فكأنما انتهت إلى حالة من البناء على السكون لا هدف منها سوى التخلص من علامات الإعراب .

فهل اتّجه الاستعمال اللغوى فى خط واحد من الإعراب إلى منع الصرف ثم إلى البناء ؟ أو أنه انعكس بدلا من أن يتجـه إلى إعراب غير كامل ثم إلى إعراب كامل كما نجده فى صرف ما لا ينصرف فى الضرورات فى الشعر ، أو لأسباب بلاغية فى القرآن ؟

على أيه حال . مثل هذه الأمور المتصلة بحياة اللغات لا تحلّها الأحكام والآراء المنطقية وحدها ولكن الواقع والاستعمال يفرضان أنفسهما ويدعان التفكير فى الأسباب والغايات لأهله .

محمد عبد الله جبر سلومة
مدرس بكلية الآداب
بجامعة الاسكندرية

(1) C. Rabin: Ibid, p.561.

أزمة المصطلح فى النقد القصصى

للدكتـــور عبد الرحيم محمد عبد الرحيم

اللغـــة التى يستعملها النـــاس فى حياتهم اليومية غير قادرة على التعبير عن المدلولات العلمية والفكرية ، بسبب دقة هذه المدلولات وكثرتها — فهى تفوق الألفاظ المستعملة فى أية لغة حية — وبسبب طبيعة اللفظ اللغوى العام الذى يكتسب دلالته خلال التجارب الحية لمستعمليه ، وهذا يجعل دلالة هذا اللفظ غير خالصة من الظلال العاطفية التى تستدعى عند النطق به أو عند سماعه ، هذه الظلال أو المعانى الجانبية أو « الدلالة الهامشية » كما يسميها علماء اللغة ليست متحدة لدى جميع الناس بل هى خاضعة للتجارب الذاتية لكل فرد . من ثم أصبحت هذه الدلالات الهامشية مصدراً من مصادر الغموض والخلط والفساد إذا هى استخدمت فى مجال العلوم والأفكار ، مثلما كان الشـأن عند السوفسطائيين حينما استخدموا هذه الدلالات الهامشية فى هدم حقائق العلم والأخلاق .

واللفظ اللغوى لا تتضح دلالته إلا خلال السياق الأسلوبى الذى يدرج فيه فليس كل لفظ لغوى يحمل وحدة دلالته ثابتة مستقلة تستدعى عند النطق به فى كل موطن يساق فيه ، وإنما تتلون دلالة الألفاظ بألوان الكلمات المجاورة لها فى العبارة ، وربما تتغير الدلالة تغيراً تاماً نتيجة لتغير النظام الأسلوبى للجمل المستعملة فقد يستخدم اللفظ استخداماً مجازياً أو كنائياً أو غير ذلك ، بناء على هذا يمكن القول بأن الدلالة اللغوية هى — فى المقام الأول — دلالة تراكيب أسلوبية وليست دلالة ألفاظ أو وحدات صوتية مستقلة .

واللفظ اللغوى تتعدد بيئات الناطقين به وتختلف إتجاهاتهم وميولهم ، مما يجعل بعضهم ينطقه بلهجة تختلف عن لهجات الآخرين ، أو يشرك معه لفظاً آخر فى حمل الدلالة التى يؤديها ، أو يحمله أكثر من دلالة فينشأ عن ذلك ما يعرف فى اللغة بالترادف والاشتراك اللفظى وغير ذلك من الظواهر اللغوية التى تؤدى إلى غموض الدلالة .

بعد هذا يصح القول بأن اللفظ اللغوى من وجهة النظر العلمية وعاء فضفاض يزخر

بالدلالات وبالألوان والروائح ، يصلح لنقل الإبداع الوجدانى العاطفى أكثر من ملاءمته لنقل المخترعات العلمية ومبتكرات الفكر ، من ثم لجأ أبناء كل فرع من فروع العلم إلى إستخدام رموز خاصة بهم تعبر عما فى أذهانهم من مضامين علمية أو فكرية تعبيراً دقيقاً محدداً وتوصلها توصيلا دقيقاً إلى القارىء أو المستمع يتسم بالموضوعية دون زيادة أو نقصان ، وهذا ما يعرف باللغة الاصطلاحية أو المصطلحات .

— ٢ —

والمصطلح هو : « وحـــدة لغوية » أو «عبارة » لها دلالة لغوية أصلية ثم أصبحت هذه الوحدة أو العبارة تحمل تسمية اصطلاحية خاصة محددة فى ميدان معين ، لعلاقة ما تربط بين الدلالة اللغــوية الأصــلية والتسمية الاصطلاحية الجديدة .

ولم تشترط بعض التعريفات التى حددت معنى الاصطلاح أن يكون المصطلح « وحدة » أو « عبارة » بل اكتفت بالقول بأنه « شىء » أو « رمز مما يدل على أن أصحاب هـــذه التعريفات كانوا يعدون الرموز الرياضية والهندسية وأمثالها من قبيل المصطلحات . لكن الاجماع يكاد ينعقد — وبخاصة فى مجال النقد الأدبى الذى نعالجه فى هذا البحث — على أن المصطلح : وحدة لغوية دالة أو « عبارة » .

ولكل مصطلح شكل "Form of aterm" ومفهوم "Cancept" وميدان "Subject field"

أما الشكل فهو اللفظ أو الألفاظ اللغوية التى تحمل المفهوم ، وقد يكون هذا الشكل كلمة فيسمى المصطلح بسيطاً وقد يكون مكوناً من كلمتين أو أكثر فيسمى حينئذ مصطلحاً مركباً .

والمفهوم هو الصورة الذهنية التى يشير إليها المصطلح سواء أكانت صورة لمداول حسى أو عقلى ؛ ويشترط فى المفهوم الاصطلاحى أن يكون محدداً واضح المعالم وأن تكون دلالة الشكل الاصطلاحى عليه دلالة إشارية عرفية تشبه دلالة الاسم على مسماه ، وإن كانت الدلالة الإصطلاحية تفترق عن التسمية فى أنها لا تشير إلى ذوات بأعيانها وإنما تشير إلى مجموعة من السمات الدلالية التى تحدد مجموعة الشروط والصفات التى ينطبق عليها المصطلح .

وميدان أى مصطلح هو مجال النشاط الذى يستخدم فيه ويختلف مفهوم المصطلح الواحد باختلاف الميادين التى يستعمل فيها .

على أن القيمة الحقيقية لأى مصطلح لا تتحقق إلا بشرطين : أحدهما : التوحد . وثانيهما : الشيوع . وأعنى بالتوحد : أن يكون لكل مفهوم اصطلاحى شكل خاص به لا يشركه فيه سواه وأن يكون لكل شكل اصطلاحى مفهوم واحد لا يتعداه أما إذا أصيبت اللغة الاصطلاحية بالترادف أو تعدد الدلالة فإنها تفسد .

وأعنى بالشيوع : إنتشار المصطلح ودورانه فى ميدان استعماله ، لأن المصطلح لغة للتواصل بين المشتغلين به فى ميدان خاص ، ومتى فقد هذا الشرط أصبح ذاتياً لا قيمة له .

- ٣ -

والباحث عن مصطلحات النقد القصصى فى الوطن العربى يجد أنها لم تحظ بعناية الهيئات العلمية بدراسة المصطلحات العربية ووضعها وتوحيدها ، بل ركزت هذه الهيئات كل اهتمامها على المصطلحات العلمية فى مجال الطبيعيات والرياضيات والطب والهندسة والكيمياء والإحياء والتكنولوجيا .

حتى الأعمال الفردية القليلة التى عنيت بالمصطلحات القصصية لم تعن بها بوصفها مجالا مستقلا عن مجال النقد الأدبى بوجه عام لهـذا لا نجد فى الساحة الأدبية معجماً لمصطلحات النقد القصصى ولا أعلم أن هناك كتاباً أو بحثاً توفر على معالجة هذا الميدان ، بل إن النقد الأدبى عامة نصيبه قليل من أمثال هذه الجهود . وأبرز هذه الجهود الفردية التى تناولت مصطلحات النقد الأدبى هى مقالات نشرت فى مجلات . أو فصول ضمن كتب النقد الأدبى أو فقرات وردت فى ثنايا الحديث عن النقد . أو معاجم للمصطلح الأجنبى أو قوائم مثل :

١ - مقالة للدكتور محمود الربيعى بعنوان «أزمة الحياة الأدبية» أشار فيها إلى اضطراب المصطلح الأدبى فى مجال النقـد القصصى وذاتيته وعدم وجود القواميس التى تحصر المصطلحات الأدبية .

٢ - مقالة للدكتور عبد الحميد إبراهيم بعنوان « قضية المصطلح الأدبى » أشار فيها إلى كتاب « معجم مصطلحات الأدب » الذى كتبه الدكتور مجدى وهبة وعاب فيه منهجه الذى سار عليه فى تعريف المصطلحات ذلك لأن مجدى وهبة كما يقول الدكتور عبد الحميد إبراهيم : يورد لكل مصطلح مرادفه الإنجليزى والفرنسى ثم يوضح مضمون هذا المصطلح كما هو فى هاتين اللغتين فجاء كتابه أشبه بالترجمة وهو ملىء بالشواهد الإنجليزية والفرنسية ذو إحالات غريبة على القارىء العربى مما جعله قاموساً أجنبياً مكتوباً بالعربية ثم يختم الدكتور عبد الحميد إبراهيم مقالته بقوله : « إن كتابة قاموس باللغة العربية عن المصطلحات الأدبية أمر لم يحن أوانه بعد » .

٣ - الفصل الثانى من كتاب « المدخل فى النقد الأدبى » لنجيب فايق أندراوس ويعالج فيه مشاكل تخص النقد الأدبى عند اليونان والرومان ثم يفسر مضامين مصطلحين نقديين هما : « القيم » و « الذوق » .

٤ - فقرات من الفصل الذى خصصه سيد قطب للقصة والأقصوصة فى كتابه « النقد الأدبى أصوله ومناهجه » وحاول فيه تحديد مفهوم القصة والأقصوصة .

٥ - « معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب » لمجدى وهبة وهو معجم يتناول عدداً كبيراً من المصطلحات الأدبية لكنه ينتهج منهجاً غريباً كما قال عنه الدكتور

عبد الحميد إبراهيم سواء أكان هذا المنهج فى إختيار المادة الاصطلاحية أو فى تفسير المصطلحات .

٦ — دليل الناقد الأدبى للدكتور نبيل راغب وهو كتاب حاول فيه صاحبه تفسير ثلاثة وعشرين مصطلحاً أدبياً لا يخص النقد القصصى منها سوى ستة مصطلحات هى : « رواية » رواية بوليسية » ، « رواية علمية » ، « رواية قوطية » ، « قصة قصيرة » ، « ملحمة » ومن الملاحظ أنه يحرص على إثبات الترجمة الإنجليزية لكل مصطلح وأنه يأتى بمصطلح «الرواية القوطية» ولا وجود لها فى الأدب العربى وأنه يحرص — عند تقديمه للمصطلح — أن يثبت تاريخ النوع الذى يتحدث عنه فى الغرب أولا ولا يتحدث عنه فى الوطن العربى إلا فى ذيل حديثه .

٧ — قائمة بالمصطلحات النقدية فى مجال الشعر فى ذيل كتاب « فى نقد الشعر » لمحمود الربيعى وهى قائمة تضم مجموعة من المصطلحات الإنجليزية المترجمة إلى العربية — فى مجال الشعر .

٨ — قائمة فى ذيل كتاب « علم المسرحية » الذى ترجمه درينى خشبه وهو يكتفى بالترجمة فحسب .

٩ — قائمة فى ذيل كتاب « الملهاة بين المسرحية والقصة ترجمة أدوار حليم مراجعة درينى خشبه . .وهو قائمة بالمصطلحات الأجنبية وترجمة لها .

١٠ ـ قائمة فى كتاب « عالم القصة « للدكتور شلش نقل فيه ترجمة لشرح أحد عشر مصطلحاً قصصياً بأقلام كتاب أجانب .

١١ — قائمة فى آخر كتاب « عالم تيمور القصصى » لفتحى الأبيارى حاول فيه شرح مفهوم « الرواية » و « القصة » و « الحكاية » ثم ينقل بعد ذلك تعريفات فورستر لبعض المفاهيم الاصطلاحية .

١٢ — قائمة فى ذيل كتاب « المدخل فى النقد الأدبى » لنجيب فايق إندراوس بمصلحات انجليزية ترجمها إلى العربية .

١٣ — ما ورد فى حولية الجامعة التونسية من ص ١٢٥ حتى ص ١٣٩ تحت عنوان « معجم المصطلحات النقد الحديث » السنة الخامسة عشرة .

— ٤ —

فالمصطلحات القصصية إذن لم تحدد مفاهيمها تحديداً نظرياً فى معاجم يمكن أن يرجع إليها المختصون عند الحاجة ، بل أصبح التعرف عليها واستخدامها أمراً ذاتياً يعالجه كل ناقد حسبما يرى ، فالناقد أحيانا يشرح مفهوم المصطلحات التى يستخدمها فى دراسته على ضوء معرفته بالمصطلحات الغربية .

وأحيانا يكتفى بربط المصطلح العربى بالمصطلح الأجنبى كأن يكتفى بوضع الأصل الفرنسى أو الإنجليزى بجواز المصطلح العربى المقترح .

وأحيانا ترى الناقد يستخدم المصطلح حسبما يعن له ، واصنعاً إياه فى مواضع يفهم منها أنه يقصد مفاهيم يمكن التكهن بها من خلال الدلالة اللغوية للفظ الاصطلاحى ، وحيناً رابعاً نرى الناقد يستخدم اللغة الأدبية فى وصف الظواهر الفنية فى العمل الأدبى وبهذا فإن المفهوم الذى يمكن الإشارة إليه بكلمة واحدة يظل الناقد يوحى به عن طريق المجاز حيناً والتشبيه حينا آخر وضرب الأمثلة حيناً ثالثاً ولا يفك عن الحديث عنه حتى يتحقق أن القارئ قد فهم أو يئس من فهم ما يعنيه . وقد يجمع باحث واحـد بين هذه الطرق الأربع فى كتاب واحد .

من أجل ذلك تشابهت لغة النقد واللغة العامة وأصيبت لغة النقد القصصى فى الوطن العربى بالغموض والخلط وفقدت أكثر المصطلحات القصصية أهم ما تتميز به المصطلحات عموماً من التحديد والشيوع والاستقرار بدا ذلك جلياً فى مجموعة من الظواهر الشائعة فى الكتب النقدية ، وأبرز هذه الظواهر :

١ ــ تعدد الأشكال الاصطلاحية الدالة على مفهوم واحد .

وذلك مثل مصطلح " technigue " الإنجليزى فإنه عندما يستخدم فى الدراسات العربية يطلق الباحثون عليه مجموعة من الأسماء .

فالدكتور على الراعى (ص ٣٧ دراسات فى الرواية المصرية) ود . محمود الربيعى (ص ١٣٢ قراءة الرواية) ود . أحمد كمال زكى (فصول ص ٧٧ ديسمبر سنة ١٩٨٢) ود فاطمة موسى (ص٢٨ بين أدبين) . إنجيل بطرس سمعان (ص١٩٢ بين الروائى والرواية) ومؤيد الطلال من العراق (ص١٠ الواقعية الاجتماعية فى الرواية العراقية) يطلقون على هذا المصطلح لفظ « تكتيك » .

بينما يطلق عليه كل من محمود أمين العالم (ص ٢٨ ، ٢٩ ثلاثية الرفض والهزيمة) ود . سيد النساج (ص ٢٢٣ تطور القصة القصيرة فى مصر) ود . سيزا قاسم (ص ٢١، ٢٦ ، ٢٩ بناء الرواية) وفاضل تامر من العراق ــ (الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦) كلمة « تقنيات » وفى موضع آخر ــ يجمع الدكتور سيد النساج بين كلمتى « التقنية » و« التكنيك » للدلالة على المصطلح السابق نفسه فيقول عنه (ص ٢٥٥ تصور القصة القصيرة فى مصر) « التقنية التكنيكية » ، كما يعبر شجاع العانى ومؤيد الطلال العراقيان عن المفهوم نفسه بعبارة « التقنية الفنية » (ص ١٢٩ الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦) ، (ص ٣٧ الواقعية الاجتماعية فى القصة العراقية (أما الأستاذ صفوت عزيز فيترجم كلمة technique السابقة بعبارة « الأسلوب الفنى فى التنفيذ » (ص ٤٦ الترجمة العربية لكتاب الرواية الإنجليزية) ويترجمها حيناً آخر (فى ص٣٥ من المرجع السابق نفسه) بعبارة « فنية التطبيق » ، والسعيد الورقى يطلق عليها « الحيل الفنية »(ص٤٩ اتجاهات الرواية العربية) ، ومؤيد الطلال يطلق عليها « الصنعة الفنية » (ص١٤ الواقعية الاجتماعية)

بالإضافة إلى تعبيريه السابقين : « التقنية الفنية » و « التكنيك » والدكتور عبد المحسن طه بدر (ص ١٦١ تطور الرواية العربية فى مصر) وحسين عيد فى مجلة إبداع (مارس سنة ١٩٨٤ ص ٣٢) يطلقان على ذات المفهوم عبارة « معالجات فنية » وفى موضع آخر يطلق عليه عبد المحسن طه بدر (ص ١٩٩ تطور الرواية العربية) « أسلوب المعالجة » وفى موضع ثالث (ص ١١٢ ، ص ٢٠٠ تطور الرواية العربية) يطلق عليه « الطريقة الفنية » وإليك أمثلة أخرى على تعدد الأشكال الاصطلاحية الدالة على مفهوم واحد :

(أ) مصطلح Fantasy يعبر عنه فى العربية بالمصطلحات الآتية :

= « فانتازيا » يوسف الشارونى ص ١٠ « القصة القصيرة »

= « الإغراق فى الخيال » كمال عياد ص ١٢٨ ص ١٣٠ « أركان القصة »

= « الرؤيا » صفوت عزيز ص ٧٠ « الرواية الإنجليزية »

= « الوهم » د . « يوسف نور عوض » الطيب صالح فى منظور النقد البنائى »

= « العنصر السحرى » } عاوطمحمد «المغرب» الأقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦ .
= « العنصر الخرافى »

(ب) Short story

= « القصة القصيرة » فؤاد دوارة » فى الرواية المصرية »

= « الأقصوصة » يوسف نجم ص ٢٧٧ » القصة فى الأدب العربى الحديث » .

— « قصة صغيرة » العقاد الرسالة يونية سنة ١٩٤٢ .

— « رواية صغيرة » أطلق هذا المصطلح حمدى حماد سنة ١٩١٠ راجع ص ٦٨ سيد النساج « تطور فن القصة القصيرة فى مصر » .

— « رواية » راجع ص ٥٧ سيد النساج » تطور فن القصة القصيرة فى مصر »

— « قصة » محمد جبريل ص٤٠٩ (مصر فى قصص كتابها المعاصرين)

— « القصص الطويلة » د . حلمى بدير ص ٩٠ مجلة فصول ديسمبر سنة ١٩٨٢

— « قصة قصيرة طويلة » يحى حقى خطوات فى النقد

— « الرواية الصغيرة أو القصة القصيرة الطويلة »
محمود أمين العالم ص ٣١ ثلاثية الرفض والهزيمة

— « القصص الصغيرة المطولة » ص ١١٣ يحى حقى « خطوات فى النقد »

(ج) fable

— « حكاية » سيزا أحمد قاسم ص ٢٩ بناء الرواية »

— « أحدوثه » سيزا قاسم ص ٣٤ مجلة فصول ديسمبر سنة ١٩٨٢ .

— « خرافة يوسف الشارونى ص ١٢ ص ٣١ « القصة القصيرة »

— « قصة » صفوت عزيز ص ٤٨ « الرواية الإنجليزية »

٢ — تعدد المفاهيم الاصطلاحية التى يحملها الشكل الاصطلاحى الواحد . وذلك مثل النماذج التالية :

(أ) مصطلح « قصة »

فإن كمال عياد فى ترجمته لكتاب " AspEcts of the Novel " لفورستر يجعل كلمة « قصة » فى مقابل اللفظ الإنجليزى « NOVEL » وذلك فى ترجمته للعنوان . ثم يترجم كلمة Story بكلمة « قصة » ص ١٨٠ وهو فى الكتاب نفسه ص ٣٣ ، ص ٣٩ ص ٥١ يترجم كلمة Story بكلمة «حكاية» وفى ص ١٤ ، ص ١٩ يترجم مصطلح " fiction " « بكلمة» القصص » على الرغم من أن فورستر نفسه فى كتابه السابق يوضح الفرق بين مفهومى المصطلحين Novel, Story فيعرف الأول بأنه العمود الفقرى للرواية ، وهو قص الحوادث حسب ترتيبها الزمنى ، وهى العامل المشترك بين الروايات ويفسر الثانى عن طريق نقله لتعريف ام ابيل شيغالى الذى يقول فيه هى « قصة خيالية نثرية ذات اتساع معين »

وصفوت عزيز فى ترجمته لكتاب the Evglislimovel لإيان وات يجعل كلمة « قصة » فى مقابل كلمة "Story" ص ٥ p.13 وفى مقابل كلمة Tale ص ١٨ 20 ، وفى مقابل كلمة Fable ص ٤٨ p.55 كما إنه يجعل كلمه « قصصى » فى مقابل الإنجليزية "Narratives" ص ١٨ 26 على الرغم من أنه يترجم كلمة "Narrative" نفسها ص ٢١٤ 213 بكلمة « حكاية» .

ويجعل كلمة «قصص» أيضا فى مقابل كلمة "EPISODES" ص٢٠٧ p.208 وهذه نماذج من أعمال الذين ترجموا المصطلح أما النقاد الذين استخدموه أو تصدوا لتعريفه فلم يكونوا أحسن حالا .

فيوسف نجم فى كتابه « القصة فى الأدب العربى الحديث « لا يفرق بين مصطلحى القصة والرواية ، ويوسف الشارونى يقول عن « القصة » ص ٧ من كتاب « القصة القصيرة » : « القصة هى كل فن قولى درامى أى يقوم على أساس أحداث تكشف عن صراع يحتمل أن يقع بحيث يهب للمتلقى فى النهاية متعة جمالية » وصبرى حافظ يقول (ص ٢٠ فصول ديسمبر سنة ١٩٨٢) : « مصطلح القصة يغطى كل صيغ النشاط القصصى » والدكتور يوسف نوفل يخرج من الموقف بلباقة عندما يجمع بين لفظى القصة والرواية فى عنوان أحد كتبه دون أن يفرق بين المصطلحين على الرغم من أن الأعمال التى يتناولها فى كتابه هذا من نمط واحد

— ٩ —

أطلق عليه كثير من الباحثين لفظ « رواية» وقليل منهم اطلق لفظ « قصة » اما فتحى الأبيارى فيرى ص ٣٢٩ « عالم تيمور

القصصى « أن القصة نوع أكبر فى الحجم من الأقصوصة وأصغر من الرواية .

هذا بالإضافة إلى أن ناقداً فى مجلة البيان « يناير ١٩١٩ » ومحمد جبريل ص٤٠٩ فى كتابه « مصر فى قصص كتابها المعاصرين يطلقان كلمة « قصة » على ما يطلق عليه كثير من النقاد عبارة : القصة القصيرة Short Story ، وأن الدكتور عز الدين اسماعيل يطلق كلمة « قصة » للدلالة على ما يطلق عليه كثير من النقاد لفظ « رواية » NOVEL

أما سيد قطب فيقول : أما الأقصوصة فهى شئ آخر غير القصة فليست الأقصوصة قصة قصيرة وتسميتها هكذا Short Story قد توجد شيئا من اللبس ولعله اولى أن نصطلح فى اللغة العربية على تسمية القصة رواية لتبعد ما بين اللفظين من الاشتباه « ص ٨٢» النقد الأدبى أصوله ومناهجه ».

(ب) مصطلح « حكاية »

تعرفه نبيلة إبراهيم ص ١٢ فصول مارس سنة ١٩٨٢ بأنه (نص متكامل له بداية ونهاية ويحتوى على حوار متبادل بين موقفين متعارضين « وتجعله مطابقا لمصطلح « tale » الإنجليزى .

وتعرفه سيزا أحمد قاسم (ص ٢٩ بناء الرواية) بأنه « التسلسل المطابق لوقوع الأحداث وفق التسلسل الزمنى « وتجعله مطابقا لمصطلح "fable "

وتجعله كمال عياد مساويا لما أطلق عليه فورستر مصطلح Story وعرفه بأنه « قص الحوادث حسب ترتيبها الزمنى »

(ج) « رواية »

يطلق العقاد كلمة رواية على مسرحية قمبيز لأحمد شوقى « رواية قمبيز » وكذلك يطلق محرر مجلة الهلال الكلمة نفسها على مسرحية عطيل لشكسبير ص ٥٩٩ يونية سنة ١٩١٢ م

والدكتور محمد غلاب ص ٣ (الحركة الروائية فى أوربا) يجعلها مرادفة لكلمة "Roman" الفرنسية أى أنه يدخل فى مفهومها كل القصص الخرافية والواقعية وقصص البطولة وغيرها .

والدكتور عز الدين اسماعيل (ص ١٧٢ الأدب وفنونه) يجعلها مرادفة لكلمة "Romance" الإنجليزية من حيث كبر حجمها وارتباطها بالنزعة الرومانتيكية والفرار من الواقع والإغراق فى الخيال . وهو يجعلها أكبر الأنواع القصصية من حيث الحجم تليها القصة ثم القصة القصيرة ثم الأقصوصة .

كان الكتاب فى بداية القرن العشرين يطلقون كلمة « رواية » على القصص الطويلة والقصيرة « راجع ص ٥٧ سيد النساج تطور فن القصة القصيرة فى مصر » ويبدو هذا الاختلاف الذى استقر فى أذهان النقاد حول مفهومى المصطلحين السابقين «قصة» و« رواية» من خلال اختلافهم حول نشأة فن القصة وفن الرواية فى الأدب العربى فقد انقسموا حول هذه القضية إلى فريقين .

فريق يرى أن فن القصة والرواية من الفنون العريقة فى الأدب العربى وفريق آخر يرى أنهما من الفنون الغربية التى دخلت ساحة الأدب العربى حديثا ولم يكن للعرب عهد بها من قبل . هذا الاختلاف فى حقيقة لم يكن إلا اختلافا حول ما يقصده كل فريق من مصطلحى « رواية » و « قصة » ذلك لأن الفريق الثانى الذى ينكر وجود قصة أو رواية فى الأدب العربى القديم لا يختلف مع الفريق الأول فى أن الأدب العربى القديم زاخر بالأحاديث والحكايات الدينيـة والأسطورية والتاريخية والفلسفية ، لكن هذا الفريق الثانى لا يطلق على هذه الأشكال مصطلح « قصة » أو « رواية » بل يطلق عليها مصطلحات أخرى مثل «سيرة» « أو» خبر «أو» حكاية» أو غير ذلك من المفاهيم .

(د) ومن الأمثلة التى يبدو فيها تعدد المفاهيم الاصطلاحية التى يحملها شكل اصطلاحى واحد : أن نقاشاً حاداً احتدم مؤخراً بين المشاركين فى أحد المهرجانات الأدبية عندما أطلق أحد المتحدثين كلمة « أسطورة » على بعض الأقاصيص القرآنية ، ولم يرض ذلك بعض الحاضرين ، فاحتجوا على وصفه للقصة القرآنية بهذه . الصفة ، ولم يكن هو يقصد من المصطلح ما آخذوه به وإنما كان يفهم من لفظ الأسطورة غـير مايفهمون .

* * *

٣ – ميوعة المفاهيم الاصطلاحية ، أى عدم وجود الحدود التى تميز كل مصطلح تمييزا قاطعا . ولايبدوهذا المظهر بوضوح إلا فى الدراسات التطبيقية ، وذلك مثل التميع الذى أصاب مصطلح الواقعيةوتداخل مفهومه مع مفهوم « الطبيعية » وتداخله أيضا مع مفاهيم أخرى .

ويشـير الدكتور محمـد منـدور فى كتابه « الأدب ومذاهبه ص ٨٢ » إلى هذا الاضطراب الذى أصاب ذلك المصطلح فى أذهان النقاد العرب خاصة ، فهو يرى إنه من خلال متابعته لأعمال هؤلاء النقاد ظهر له أنهم يقصدون منه حينا ذلك الأدب الذى يسجل الواقع المعيش ولايعنى بالتهاويل الخيالية وهو بهذا يقابل عندهم الأدب الرومانسى ، وحينـا آخر يقصـدون منه ذلك الأدب الذى يسجل الحياة الشعبية ويشرح مشاكل العامة وهو بذلك يقابل الخاصة أو آداب الأبراج العاجية أو الآدب الارستقراطى ، وحينا ثالثا يقصدون منه الأدب الموضوعى ويجعلونه بذلك مقابلا للأدب الذاتى أو النفسى .

ومثل هذا الخلط يحدث أيضا بين مفهومى « المضمون » و « الموضوع » . وقد أشار إلى هذا محمود أمين العالم ص ٢٣ فى كتابه « ثلاثية الرفض والهزيمة » بقوله :

وما أكثر الخلط بين المضمون والموضوع فى أغلب الدراسات الأدبية والكتابات النقدية » .

والذى يتتبع الدراسات العربية التطبيقية فى مجال القصة يلاحظ وجود كثير من الأمثلة التى تبرهن على شيوع هذه الظاهرة .

فكثير من النقاد لايفرقون بين مصطلحى « الصدفة » و « القدر » فالدكتور عبدالمحسن طه فى كتابه « تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر » يطلق أحدهما حينا والآخر حينا آخر أو يذكرهما معا ص ١٥٢ للدلالة على ظاهرة واحدة وهى عدم ترابط الأحداث ترابطا حتميا أو سببيا ، أما الأستاذ يوسف الشارونى فى كتابه « القصة القصيرة ص ١١» فيعرف « الصدفة » تعريفا مشابها للتعريف السابق حيث يقول : والصدفة فى العمل الفنى معناها عدم وجود المبرر أو عدم التمهيد لما سيقع » بينما يقول عنها محمود أمين العالم خلال تحليله لرواية «كفاح طيبة » لنجيب محفوظ ص ٣٠ « تأملات فى عالم نجيب محفوظ » والصدفة عنده ليست غير المتوقع وإنما هى الضرورى وهو الحدث الذى لم يدبره الإنسان الفرد ولكن فرضته الحتمية الكونية أو القدرية أو الاجتماعية أو الفلسفية « ثم يفسر » « القدر » تفسيرا مشابها ص ٣٠ وأحيانا يجعل الصدفة أداة من أدوات القدر ، وحينا ثالثا يربط بين الصدفة والحتمية العامة وبين القدر والألهيات أو يجمع بين مفهوم القدر ومفهوم القضاء .

وأكثر النقاد كذلك لايجعلون فى أبحاثهم حدودا فاصلة بين مفاهيم الرواية والقصة الطويلة والقصة القصيرة والأقصوصة والقصة وغيرها ، فمصطلح « قصة خيالية » يطلقه صالح حماد فى كتابه أحسن القصص سنة ١٩١٠ ويجعله فى مقابلة القصص التى لم تكن تاريخاً لأحداث وقعت بالفعل .

وصفوت عزيز فى ترجمته لكتاب « الرواية الانجليزية » يجعله ترجمة لمصطلح fiction الانجليزى حينا وترجمة لمصطلح Romance الانجليزى حينا آخر .

٤ — ذاتية المفاهيم الأصطلاحية :

إزاء هذه الضبابية التى أصيب بها المصطلح النصصى راح بعض الباحثين يستهدى تجاربه الخاصة فى فهم المصطلحات وأطلت الدلالات الهامشية برأسها وأصبح المصطلح الواحد يشع بالايحاءات الخاصة عند أناس ويخلو منها عند آخرين . فإذا نظرنا — مثلا — إلى مصطلح « الأحداث » الذى يطلق عليه النقاد العرب عدداً من المترادفات مثل : « الحوادث » و« الأخبار » و « الوقائع » و « الأفعال » و « الحوادث الوهمية » و « التمثيل » و « المواقف » للدلالة على مايبدر من الشخصيات القصصية من أعمال ، دون تحديد أو توجيه لهذه الدلالة. حتى فى المواقف التى تتطلب ذلك ، فإننا نلاحظ مثلا أن صفوت عزيز فى ترجمته لكتاب « الرواية الإنجليزية » يطلق كلمة « أحداث » أو « حوادث » دون تفريق بينهما للدلالة على مفهوم الكلمات الإنجليزية

التالية : Incidents (ص ٢٤ p.31 ، ص١٦٥ p 262) Accidents (ص٢٩ p 36) Action ص٤١ p 48 Events ص١٩١ p 192 occurrences ص ١٩١ p.192 Episodic ص ٢٠٧ p 207 .

ويستخدمها عبد المحسن طه بدر للدلالة على الأعمال التى يقوم بها الأشخاص داخل الرواية وخارجها[١٠] .

على الرغم من ذلك نجد الأستاذ عبد الرحمن فهمى فى مقال له بمجلة فصول ص ٤٦ مارس ١٩٨٢ يفرق بين أستعمال كلمتى « الأحداث » و « الحوادث » بقوله : « ولكن هناك نوعين من الأعمال ، أولها : هذه الأعمال التى لاتربط بينها أسباب منطقية أى لاينبع أحدهما من الآخر كما تنبع النتيجة من السبب أو المعلول من العلة ، ولنصطلح على تسميتها « حوادث » ومفردها حادثة » .

وثانيها هى الأعمال التى تربط بينها علاقة العلية ، ولنصطلح على تسميتها أحداثا ومفردها « حدث » ثم يعقب على هذا فى الهامش بقوله « أن هذا التفريق لاوجود له خارج هذا المقال » من جانب آخر نجد الدكتورة نبيلة إبراهيم ص ١٤ فى العدد نفسه من مجلة « فصول » تجعل كلمتى « الأحداث » و « الحوادث » ذات مدلول واحد وتجعل كلمة « الأفعال » ذات مدلول آخر . فالأعمال التى توظف لخدمة الحكاية تطلق عليها « أفعالا » والأعمال التى لاتصلح للتوظيف تطلق عليها « أحداثاً » أو « حوادث »

ومن النماذج التى تبرهن على ذاتية المفاهيم الاصطلاحية أيضا مصطلح القصة القصيرة "Short Story" فإن الجدول الذى دار بين النقاد حول هذا المصطلح كان حول أفضلية استعمال عبارة « القصة القصيرة » أو عبارة « الأقصوصة » لكن فتحى الإبيارى فى كتابه « عالم تيمور القصصى » ينهج منهجاً آخر إذ يستخدم عبارة « القصة القصيرة » للدلالة على هذا الشكل فى الآداب الأجنبية بينما يستخدم كلمة « أقصوصة » للدلالة على الشكل نفسه فى الأدب العربى . ويلتزم بذلك فى كل كتابه .

* * *

بعد كل هذا يمكن القول بأن اللغة الاصطلاحية فى مجال النقد القصصى فى الوطن العربى لا تتميز بالدقة والتوحد والشيوع ، بل هى قريبة من اللغة التى يستخدمها الناس فى حياتهم العامة من حيث ترادف ألفاظها وتعدد الدلولات التى يحملها اللفظ الأصطلاحى الواحد وذاتيتها مما أدى إلى غموض دلالات هذه اللغة وتميعها .

ولا شك أن هذا كان نتيجة لمجموعة من الأسباب التى يتعلق بعضها بالظروف العامة التى يعيشها الوطن العربى وبعضها الآخر بظروف خاصة بمجال النقد القصصى ذاته .

من هذه الأسباب :

١ – أن الباحث فى المدلولات الأصطلاحية الخاصة بميدان النقد القصصى فى الوطن العربى يفاجأ بأن معظم هذه المدلولات غربية الأصل وأنها ترتبط بحركة الفكر الأوروبى وتسير حسب تطوره العام – فمن بين خمسمائة مصطلح أخرجتها من أكثر من مائة كتاب فى النقد القصصى – فى الأدب العربى لم أعثر فيها إلا على حوالى ثلاثين مصطلحا تحمل مضامين عربية الأصل .

وذلك مثل مصطلحات « النادرة » و« القصصى » و« السيرة » و« المقامة » و« الشكل » و « المضمون » « والحديث » و« المفارقة » و« الطرفة » و« السمر » و« المغازى » و« الحوار » . . . وغيرها .

ومن الملفت للنظر أن معظم هذه المصطلحات مصطلحات عربية قديمة وأن ما استحدث من مضامين نقدية قصصية فى الساحة العربية فى العصر الحديث لا يعدو بضع تسميات محلية لا يرقى كثير منها إلى درجة الاصطلاح العام وذلك مثل « جيل الستينات » و« جيل السبعينات » و« المدرسة الحديثة » فى مصر و « الرواية البعثية » فى العراق ، و« الرواية الحربية » فى الجزائر .

على أن بعض المصطلحات العربية القديمة التى بقيت حتى اليوم لا يتحلى بالتحديد والوضوح ، إذ أين الحد الذى يفصل بين « النادرة » و « الطرفة » و « السمر » و« الأحدوثة » . . . الخ . وبعضها الآخر أصابه التحريف نتيجة لأن المصطلح العربى القديم عندما استعمل فى العصر الحاضر حمل دلالة غربية الأصل بالإضافة إلى دلالته القديمة وذلك مثل مصطلحات :

« الشكل » و « الراوى » و « المضمون » و « المفارقة » و « الهجاء » فكل من هذه المصطلحات له دلالتان احداهما تقليدية والأخرى حديثة وافدة

والمضامين النقدية العربية الأصلية التى لم يصبها هذا الداء أصابها داء اخر وهو التعبير عنها بلفظ أخر مع وجود اللفظ الأصلى مما نشأ عنه تعدد الألفاظ الدالة على مدلول واحد . وذلك مثل حديث الإنسان إلى نفسه فى الأدب ، فقد كان النقاد يطلقون على هذه الظاهرة لفظ « التجريد » ثم أصبح اللفظ الشائع الذى يدل عليها الآن منقولا من الفرنسية « منولوج » أو مترجما « حديث النفس » على الرغم من انزواء اللفظ العربى الأول داخل الكتب التقليدية فى مجال الشعر .

هذه التبعية التى يعيشها الفكر العربى فى مجال النقد القصصى كانت من أبرز الأسباب التى أدت إلى اضطراب المصطلح فى هذا المجال . ذلك لأن المصطلحات فى الوطن العربى لم تنشأ نشأة طبيعية تلائم حاجة الإبداع الأدبى للادباء العرب ، بل إن كثيرا من المفاهيم

النقدية التى أدخلت إلى الساحة العربية جاءت جاهزة قبل أن تنشأ الأعمال الأدبية التى تنطبق عليها ، مما جعل قضية المصطلح فى الوطن العربى تبدو قضية ترجمة وتعريب فى المحل الأول . والدليل على ذلك أن النقاد الذين حرصوا على تحديد ما يقصدونه من المصطلحات التى يستخدمونها وجعلوا لها ثبتا فى ثنايا كتبهم أو فى ذيلها . اكتفى أكثرهم بوضع المقابل الأجنبى إزاء ما يقترحه من ألفاظ عربية مثلما فعل محمود الربيعى فى كتابه « نقد الشعر » ودرينى خشبة فى كتابه « علم المسرحية » وفى « الملهاة بين المسرحية والقصة » ونجيب فايق أندراوس فى كتابه « المدخل فى النقد الأدبى » وفسر الباقون مصطلحاتهم تفسيراً مستقى من المراجع الغربية والذين لم يفسروا المصطلحات الوافدة أطلقوها على ظواهر عربية لاتنطبق عليها فارتبط مدلولها بها أيضا . لكن النقاد العرب لم يترجموا عن لغة واحدة ولم ينتهجوا منهجا واحداً فى الترجمة فجاءت مصطلحاتهم كما رأينا . فالمصطلح الواحد قد يكون ذا مفهومين أحدهما إنجليزى والآخر فرنسى له شكل منقول وآخر معرب وثالث يترجم المدلول الاصطلاحى الأجنبى ورابع يترجم المدلول اللغوى بالإضافة إلى المدلول الاصطلاحى ، وأنظر مثلا إلى تعدد هذه الأشكال الاصطلاحية التى أطلقها النقاد على ما يسمى فى الفرنسية "Mondogue" وفى الإنجليزية Solilo quy اذ يطلقون عليه الكلمات الآتية :

منولوج — مناجاة — مألكة — حديث النفس — الحوار الذاتى — حوارات باطنية فالأول نقل المصطلح الفرنسى كما هو والثانى والثالث حاولا ترجمة المدلول الاصطلاحى والرابع والخامس والسادس حاولوا ترجمة المدلول الاصطلاحى والمدلول اللغوى معا فجاءت عباراتهم مكونة من مقطعين كالمصطلحين السابقين الإنجليزى والفرنسى وأصبح المصطلح له مفهوم غربى وعدة مفاهيم عربية .

٢ — ومن الأسباب التى زادت من اضطراب المصطلح القصصى فى الوطن العربى تعدد البيئات الثقافية وصلابة الحدود المصنوعة بين الأقطار العربية ، ففى العراق والأردن ومصر والسودان تسود الثقافة الإنجليزية وفى سوريا ولبنان والمغرب العربى تسود الثقافة الفرنسية ، وفى كل قطر عربى تتحدد الثقافة السائدة حسب الاتجاه السياسى السائد مما جعل المصطلحات فى المغرب العربى وفى لبنان وسوريا تتخذ اتجاها فرنسيا ، وفى مصر والسودان والعراق تتخذ اتجاها انجليزيا . وفى كل قطر يجتهد النقاد اجتهادا فرديا لنقل المفاهيم الغربية فبعضهم ينقل وبعضهم يترجم وبعضهم يعرب ، وكل ناقد يختار الكلمات العربية التى يحس هو أنها تحمل دلالات المصطلح الأصلى فكثرت العبارات الدالة على مصطلح واحد وتعددت المفاهيم المؤداة بعبارة واحدة « فالمقالة القصصية » عند ناقد فى مصر (ص٥٢ د . سيد النساج فن القصة القصيرة) يطلق عليها ناقد من العراق

(ص٦٨ فاضل تامر الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦) لفظ مقاصات « وقصة المنولوج عند يوسف الشاروني (ص ٣٦ القصة القصيرة) هي عند شجاع العاني من العراق (ص ٢٣ الأقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦ « قصة تيار الوعي »

وهي عند مؤيد الطلال من العراق أيضا « قصة الجدار الأصم » (ص٨٤ مؤيد الطلال الواقعية الاجتماعية في القصة العراقية) . وسيزا قاسم تنقل كلمة "Motif" إلى العربية كما هي « موتيف » وتجمعها على موتيفات أما رضا كحالة في « الألفاظ المعربة الموضوعة »

فيترجمها بكلمة « الصيغة » ثم يأتي عباس العويني من العراق « الأقلام ص ١٤٢ عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦ « فيجعل كلمة « الصيغة » ترجمة لكلمة Tense وسيزا قاسم في مصر تطلق كلمة « الثغرة » على الفترات الزمنية التي يتركها الكاتب بين أجزاء روايته اعتمادا على تخيل القارئ لها (ص ٣٥ ٣٦ ، ٥٤ ، ٦٤ بناء الرواية) بينما يطلق محسن الموسوي على المصطلح نفسه كلمة « الطفرة » (ص٣٨ عصر الرواية) في العراق .

وفي مصر يطلق محمود أمين العالم عبارة (السرد التقريري المباشر» ص ٣٧ ثلاثية الرفض والهزيمة » بينما يطلق شجاع العاني من العراق على المصطلح نفسه السرد الافقي التقليدي) ص ٢٠ (الاقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦) ؛

في الوقت نفسه يطلق عليه علوط محمد من المغرب لفظ « الحكي الكرنولوجي » ص ٣١٨ الاقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦ .

٣ – ومن الأسباب التي أدت إلى اضطراب مصطلحات النقد القصصي تلك الطريقة التي سار عليها تطور هذه المصطلحات في الوطن العربي .

فقد ظهرت منذ بداية النهضة الأدبية الحديثة في الوطن العربي أشكال جديدة من القصص الغربي المترجم أو المقتبس ، وبُعث التراث القصصي العربي من جديد على صفحات المجلات والكتب ، وكتب كثيرون من الأدباء والصحفين قصصا يقلدون فيها القصص المترجم أو القصص الموروث ، فوجد النقاد أنفسهم في حاجة إلى لغة تصف هذا الانتاج وتقومه . فأجتهد كل ناقد أو أديب اجتهاداً ذاتياً حسب ثقافته ورؤيته فمنهم من نقب عن المصطلح العربي القديم ومنهم من عرّب المصطلح الأجنبي ومنهم من وصف مايريده بعبارة لغوية عامة ، فالمويلحي الأب مثلا يؤثر لفظ « حديث » للدلالة على ما كتبه تحت عنوان « حديث موسى بن عصام » وجاء ابنه بعده فأطلق على قصته لفظ « حديث » أيضا ، ولفظ « حديث » من الكلمات القرآنية الدالة على القصص ، وحافظ إبراهيم يختار كلمة « ليالي » وبعض الكتاب الأخرين يطلقون كلمات « القصة » و « الرواية »

و « المسامرات » (راجع ص ٥١٢ المقتطف سنة ١٨٨٣) وكلها ألفاظ عربية تدل على أشكال قصصية متنوعة كالقصة الطويلة والقصة القصيرة والمسرحيات وكتب السمر.

أما الشيخ محمد عبده فيطلق كلمة « رومانيات » على هذا المدلول وهى كلمة معربة عن الفرنسية (راجع يوسف نجم ص ٨٧ القصة فى الأدب العربى الحديث) والمصطلحات التى استخدمها الأدباء والنقاد فى هذه الفترة المبكرة كانت قليلة العدد تلائم الحركة النقدية المتواضعة حينئذ. ومعظمها كان يعبر عن الأنواع القصصية كالقصة الاجتماعية الاخلاقية والقصة التاريخية والقصة الحبية ، أو يعبر عن المحتويات البارزة فى القصة كالشخصيات والسرد والمحادثات تعبيراً عاماً غير محدد . فكلمة رواية كانت تطلق على القصة الطويلة والقصيرة وعلى المسرحية والتاريخ وكذلك كلمة « قصة » وكلمة « رومانيات » ولم تكن هناك حدود فاصلة بين الدلالات اللغوية للمصطلح والدلالة الاصطلاحية ولم يكن المصطلح محددا بل كان يؤدى معنى عاماً فإذا رغب أحد النقاد فى تحديد مدلوله أضاف إليه مجموعة من التوابع كأن يقول « رواية تياترية » أو « رواية تمثيلية » للدلالة على المسرحية (الضياء ١٥ أبريل سنة ١٨٩٩) أو « رواية أدبية » أو « رواية حبية » (ص ٥١٢ المقتطف السنة الثامنة سنة ١٨٨٣) أو غير ذلك .

ثم أخــذت المفاهيم القصصية فى التطور والحركة حتى وصلت إلى ما هى عليه اليوم لكن هذه المفاهيم اتخذت شكلا خاصا فى تطورها صبغ الحركة الأصطلاحية بطابع خاص. ذلك لأنها لم تتخذ شكل النمو الطبيعى الذى تتفرع فيه المفاهيم الأصلية إلى مفاهيم فرعية تكون أعم منها أو أخص أو أكثر تفصيلا أو تحديداً ، حسبما تتطلبه الحاجة وحسب تطور الحركة الفكرية العامة فى الوطن العربى وإنما اتخذت شكل الدفعات السريعة الوافدة من الغرب . كل دفعة تأتى معها بمجموعة من المفاهيم التى تعدل من المفاهيم التى كانت سائدة أو تحل محلها أو تفسرها تفسيرا جديدا ، ولم يرهق المترجمون والنقلة أنفسهم فى تلمس أشكال اصطلاحية جديدة ترتبط بالأشكال السابقة برباط منطقى يعطيها سمة الاستمرار والاتصال ، بل استخدموا كثيرا من الألفاظ التى كانت ومازالت تستعمل للدلالة على مفاهيم نقدية مما جعـــل اللفظ الواحد يحمل أكثر من مدلول .

وذلك قبل مصطلح « القصة الخيالية » الذى استخدمه حمدى حماد سنة ١٩١٠ (راجع ص ٦٦ سيد النساج — تطور القصة القصيرة فى مصر) ليجعله شكلا مضادا للقصة التى بمعنى « الخبر » اى التى تقص ما حدث من وقائع بالفعل . وظل هذا المصطلح يؤدى هذا المفهوم إلى جوار مصطلحات أخرى.

وبعد فترة من الزمن وفد من الغرب تفسير جديد جعل القصص أنواعا ، منها الواقعى ومنها غير الواقعى ، فالقصص الواقعية الطويلة التى يطلق عليها كلمة Novel أطلق عليها بعض النقاد كلمة « رواية »

والقصص التى يطلق عليها كلمة fiction اطلق عليها هؤلاء النقاد كلمة « قصة خيالية »

ثم جاء تيار البنائية بمصطلحاته فاستخدم نقلة المصطلحات البنائية عبارة « القصة الخيالية » استخداما خاصا لأنهم نقلوا تقسيم « توما شفسكى » للقص إلى « مبنى حكائى » و « متن كحائى » ، وجعلوا عبارة « القصة الخيالية » شكلا اصطلاحياً يعبر عن مدلول هذا المتن الحكائى أو مايقارب الحكاية المتخيلة داخل القصة (راجع ص ١٧ شجاع العانى الأقلام عدد ١١ ، ١٢ - ١٩٨٦) .

وهكذا أصبح اللفظ الواحد يحمل ثلاثة مدلولات ، ظلت كلها مستعملة بسبب قصر الفترة الزمنية التى يجرى فيها هذا التغيير .

ومن الأمثلة أيضاً عبارة « تمثيلية » فقد كانت فى أواخر القرن الماضى تطلق مقرونة بلفظ « رواية » للدلالة على المسرحية ، يقولون « رواية تمثيلية » راجع الضياء أبريل سنة ١٨٩٩ » . ثم تطور لفظ رواية وأصبح يدل على القصة النثرية عامة ثم على « القصة الواقعية الطويلة » فحسب ، وأصبح لفظ تمثيلية « يدل على مايطلق عليه الآن مسرحية ثم انفرد لفظ تمثيلية بعد ظهور الإذاعة للدلالة على الشكل القصصى التمثيلى الإذاعى ثم جاء تيار البنائية فجعل لفظ « تمثيلية » يحمل معنى جديداً ارتبط بما أسماه الشكليون الروس بـ « السرد المشهدى » وذلك بأن يدع الراوى الشخصيات تتكلم ويقتصر عمله . هو على التعليق الذى يعلق به على الحوار أى أن عمل الراوى يقتصر فى التمثيلية على الإشارات المتعلقة بالمشهد (راجع ص ١٣ شجاع العانى الأقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦)

ومن الأمثلة أيضا - عبارة « القصة الصغيرة » التى أطلقها العقاد على الأقصوصة أو القصة القصيرة Short Story ثم جاء البنائيون فجعلوا عبارة « القصة الصغيرة مرادفا لما أسموه « الأرصاد » وهو قصة صغيرة داخل القصة النرجسية (راجع ص ١٢٩ ، ١٣٠ شجاع العانى الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦) .

وهناك أمثلة كثيرة من الأشكال الاصطلاحية التى كانت تستخدم للتعبير عن مفهوم أو أكثر ثم جاء نقلة الخمسينيات أو نقلة السبعينيات فحملوها مفاهيم جديدة مثل « الوصف » و « السرد » و « الراوى » و « المتلقى » وغيرها .

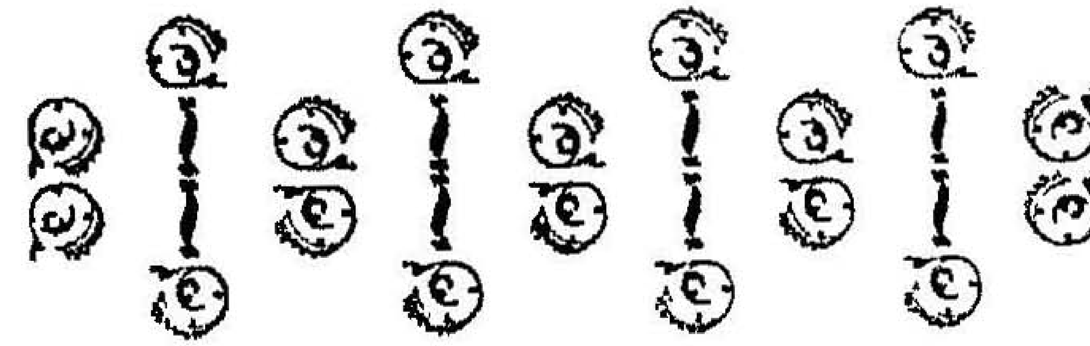
ومما شارك فى اضطراب المصطلحات القصصية وتعدد دلالاتها أن أكثر هذه المصطلحات ليست خاصة بالنقد القصصى بل هى مقترضة من ميادين أخرى مثل الأشكال الأدبية عامة وذلك مثل مصطلحى « الشخصية » و « الوعى » المقترضين من « علم النفس » ومثل مصطلح « القدر » و « الصدفة »

المقترضين من الفلسفة ومصطلحى الحبكة و «الذروة» المقترضتين من النقد المسرحى ومصطلحات الشكل والمضمون و «الأسلوب» التى تشمل النقد الأدبى بعامة .

كل هذه الأسباب بالإضافة إلى ولع بعض النقاد باستخدام الأساليب الأدبية البيانية فى لغة النقد أدى إلى ما أشرنا اليه سابقا من إصابة المصطلحات القصصية بالاضطراب والغموض . ولانخرج من هذه الأزمة التى تعانيها لغة النقد القصصى فى الوطن العربى إلا بالجهود التى تعمل على توحيد هذه المصطلحات وتنظيمها بأسلوب علمى يتمشى مع التقدم الذى أحرزته دراسات المصطلحات وتبويبها وتحديد مفاهيمها ، وهذا مانطمع فى إنجازه إن شاء الله .

بحث قيم ، والقضية أقل تعقيدا من قضية المصطلح العلمى فى الرياضيات والطبيعيات والأحياء والطب والهندسة والجيولوجيا وطالما ناديت بوضع معجم علمى عربى موحد .

وهاأنذا أعرض الأمر على مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ليدرسه ويتخذ فيه قراره .



أهم المصادر والمراجع

١ — د . إبراهيم أنيس « دلالة الألفاظ » ط الإنجلو المصرية سنة ١٩٨٠ .

٢ — إدوار حليم (ترجمة) « الملهاة فى المسرحية والقصة » تأليف ل . ج . يونس مراجعة دريني خشبة ط الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥ .

٣ — د . إنجيل بطرس سمعان « بين الروائى والراوية » ط . الإنجلو المصرية سنة ١٩٧١ .

٤ — دريني خشبة (ترجمة) « عالم المسرحية » تأليف ألاردس نيكول مراجعة على فهمى ط مكتبة الآداب د . ت .

٥ — السعيد الورقى « اتجاهات الرواية العربية المعاصرة » ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ .

٦ — سيد قطب « النقد الأدبى أصوله ومناهجه » ط دار الشروق سنة ١٩٨٣ .

٧ — د . سيد النساج « تطور فن القصة القصيرة فى مصر » ط دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ .

٨ — د . سيزا أحمد قاسم « بناء الرواية » ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤ .

٩ — صفوت عزيز (ترجمة) « الرواية الإنجليزية » تأليف والتر ألين مراجعة د . مرسى سعد الدين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب الألف كتاب الثانى رقم ٨ سنة ١٩٨٦ .

١٠ — د . عبد المحسن طه بدر « تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر » ط دار المعارف سنة ١٩٧٧ .

١١ — د . عز الدين إسماعيل « الأدب وفنونه » ط دار النشر المصرية سنة ١٩٥٥ .

١٢ — د . على الراعى « دراسات فى الرواية المصرية » الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ .

١٣ — د . على شلش « فى عالم القصة » ط دار الشعب سنة ١٩٧٨ .

١٤ — على بن محمد بن على الشريف الجرجانى : التعريفات ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .

١٥ — على القاسمى : مقدمة فى علم المصطلح ، الموسوعة الصغيرة رقم ١٦٩ سنة ١٩٨٥ وزارة الثقافة والإعلام بالعراق .

١٦ — عمر رضا كحالة : الألفاظ المعربة والموضوعة الواردة فى العشر الثالثة ١٩٤٦ - ١٩٥٥ مطبوعات المجمع العلمى العربى سنة ١٩٦٣ .

١٧ — فاروق خورشيد : فى الرواية العربية — عصر التجميع ، مطبوعات الجمعية الأدبية المصرية د . ت .

١٨ — د . فاطمة موسى : بين أدبين ، ط الإنجلو المصرية ١٩٦٥ .

١٩ — فتحى الإبيارى ، عالم تيمور القصصى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .

٢٠ — فؤادة دوارة : فى الرواية المصرية ، ط دار الكاتب العربى ١٩٦٨ .

٢١ — كمال عياد ترجمة : أركان القصة تأ . فورستر ، الألف كتاب رقم ٣٠٦ سنة ١٩٦٠ ط دار الكرنك .

٢٢ — د . مجدى وهبة ، معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب » ط دار المعارف .

٢٣ — محمد جبريل ، مصر فى قصص كتابها المعاصرين » ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ .

٢٤ — د . محمد رشاد الحمزاوى ، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنسيقها ط دار الغرب الإسلامى ببروت ط أولى ١٩٨٦ .

٢٥ — محمد غلاب ، الحركة الروائية فى أوروبا ،سلسلة كتب ثقافية رقم ٤٩ مايو سنة ١٩٦٠ .

٢٦ — د . محمد مندور « الأدب ومذاهبه » ط دار نهضة مصر .

٢٧ — محمود أمين العالم ، تأملات فى عالم نجيب محفوظ » ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ .

٢٨ — محمود أمين العالم : ثلاثية الرفض والهزيمة » ط دار المستقبل العربى سنة ١٩٨٥ .

٢٩ — محمود تيمور : دراسات فى القصة والمسرح » ط وزارة التربية والتعليم د . ت .

٣٠ — د . محمود الربيعى « قراءة الرواية » ط دار المعارف سنة ١٩٧٤ .

٣١ — مؤيد الطلال « الواقعية الاجتماعية النقدية فى القصة العراقية » ط دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٢ .

٣٢ — د . نبيل راغب « دليل الناقد الأدبى » ط مكتب غريب د . ت .

٣٣ — نجيب فايق أندراوس « المدخل إلى النقد الأدبى » ط الإنجلو المصرية سنة ١٩٧٤ .

٣٤ — يحيى حقى « خطوات فى النقد » ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦ .

٣٥ — يوسف الشارونى « القصة القصيرة نظريا وتطبيقيا » كتاب الهلال عدد ٣١٦ سنة ١٩٧٧ .

٣٦ — يوسف نجم « القصة فى الأدب العربى الحديث » ط دار الثقافة ببروت سنة ١٩٦٦ .

٣٧ — د . يوسف نور عوض « الطيب صالح فى منظور النقد البنيوى » ط مكتبة العلم جدة .

٣٨ — د . يوسف نوفل « القصة والرواية بين جيل طه حسين وجيل نجيب محفوظ » ط النهضة العربية ١٩٧٧ .

٣٩ — E.M. forster. "Aspects of the novel", penguin books, 1978.

٤٠ — Walter Allen. "The english novel". penguin books apelican book 1978.

٤١ — مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق .

٤٢ — مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٤٣ — مجلة مجمع اللغة العربية ببغداد .

٤٤ — مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى .

٤٥ — مجلة اللسان العربى .

٤٦ — المقتطف منذ ١٨٧٦ م حتى ١٨٨٩ .

٤٧ — الهلال منذ إنشائها حتى سنة ١٩٣٧ .

٣٨ — الرسالة سنة ١٩٤١ م .

٤٩ ــ الضياء سنة ١٨٩٩ م .

٥٠ ــ البيان يناير سنة ١٩١٩م .

٥١ ــ فصول : المجلد الثانى العدد الثانى . المجلد الثانى العدد الرابع .

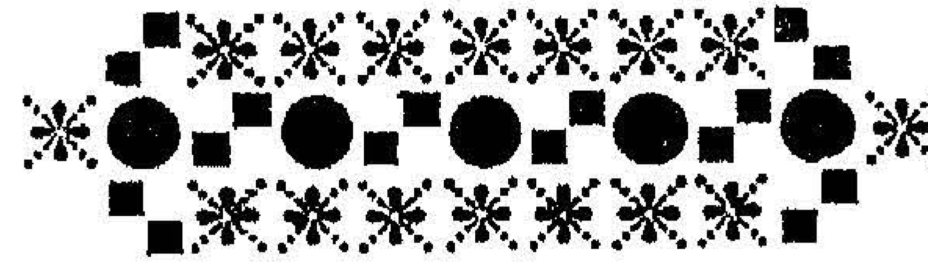
٥٢ ــ الأقلام عدد سنة ١٩٨٦ ، العددان ١١ ، ١٢ تشرين الثانى ، كانون الأول سنة ١٩٨٦ م العدد العاشر السنة العشرون سنة ١٩٨٥ ، السنة الحادية والعشرون كانون الثانى سنة ١٩٨٦ ؛ العدد الرابع نيسان سنة ١٩٨٦ م .

٥٣ ــ إبداع (الإبداع الروائى عدد خاص يناير سنة ١٩٨٥) (مارس سنة ١٩٨٤) (يناير سنة ١٩٨٦ م) .

٥٤ ــ الكاتب أكتوبر سنة ١٩٧٦ .

٥٥ ــ عالم الفكر المجلد السابع عشر العدد الأول سنة ١٩٨٦ .

عبد الرحيم محمد عبد الرحيم
مدرس اللغة العربية وآدابها
فى جامعة قنـاة السويس



هؤلاء علموني (٢)

للدكتور عبد الحليم منتصر

---

٢ ــ الدكتور طه حسين :

عملاق من عمالقة الأدب العربي ، نشأنا على القراءة له . وكان قد صدر كتاب « في الشعر الجاهلي » . وفيه عبارة أو أكثر أثارت الرأي العام ، ودافع عنه حزب الأحرار الدستوريين ، وهاجمه حزب الوفد آنئذ ، ودافعت عنه وزارة عدلي باشا ، وقد أعاد طبع الكتاب ، وأسماه في الأدب الجاهلي . وقال في مقدمته هذا كتاب السنة الماضية ، حذف منه فصل ، وأثبت مكانه فصل ، وأضيفت إليه فصول

وكانت كلية الآداب بالجامعة المصرية ، تشغل سراي الزعفران ذاتها ، على حين كانت كلية العلوم تشغل المباني الملحقة بها ، وكانت محاضرة الدكتور طه حسين في يوم الخميس من الساعة الثانية عشرة حتى الواحدة بعد الظهر ، وكانت حصة الكيمياء العملي في ذلك اليوم من الساعة العاشرة والنصف حتى الواحدة ، فكنت أجتهد في إنهاء تحضيراتي الكيميائية وأسارع لحضور محاضرة الدكتور طه حسين وكان ذلك ميسوراً ، إلا أن أستاذ الكمياء لاحظ عنايتي بمجلة السياسة الأسبوعية ، فتساءل علانية ما شأن حامل السياسة الأسبوعية بدراسة الكيمياء ، وأصر على سؤالي في الكيمياء ، ليعرف مدى اهتمامي بالعلوم الطبيعية . ولم يكن يعلم أني أسارع لأحضر في كلية الآداب درساً لأستاذنا الدكتور طه حسين .

وفي الثلاثينات الباكرة ، صادرت الدولة كتاب « تاريخ بغداد » لمؤلفه الخطيب البغدادي ، لأنه نقد أبا حنيفة ، فكتب الدكتور طه حسين ، ثلاث مقالات متتالية في السياســة اليومية بعنوان « مصادرة » ، وفي اليوم الرابع أفرج

عن الكتاب . فكان دفاعه حاراً قوياً . وكنت أقرأ المقال عدة مرات لفرط إعجاة به . وكانت النتيجة الأفراج عن الكتاب لبراعة الدفاع عن حرية الرأى .

ثم ظهر له كتاب الأيام ، قرأته ثم أهديته . ثم اشتريت نسخة ثانية وثالثة وقد حفظت بعض صفحاته ، لشدة إعجابي بها ؛ حتى أنى تلوت بعض هذه الصفحات من الذاكرة ، عندما طلب إلىّ أن أتحدث فى التلفاز فى ذكراه ، مثل قوله « لقد كان أبوك يا بنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة ؛ لا يأكل إلا من خبز الأزهر . وويل للأزهريين من خبز الأزهر . إن كانوا لايجدون فيه الوانا من القشس . وأنواعاً من الحصى وفنوناً من الحشرات . ولقد كان أبوك يابنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة لايغمس هذا الخبز إلا فى العسل الأسود ، وأنت لا تعرفين ما هو العسل الأسود ، وخير لك إلا تعرفيه . ولقد كان أبوك يا بنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة ، لايأكل إلّا لوناً واحداً من الطعام ، يأخذ حظه منه فى الصباح ، ثم يأخذ حظه منه فى المساء ، لا شاكيا ولا متبرماً ولامتضجراً ولا شاعراً بأن حاله خليقة بالشكوى والرثاء .

رتبت بينه وبين الدكتور هيكل مناظرة عن الأجيال . وكانت مع الدكتور هيكل بنت الشاطئ الدكتورة عائشة عبد الرحمن . وقد فوجئ الدكتور طه بأنها تقرأ رأيا له فى مقال منشور بالصحف يخالف ما يدافع عنه فى هذه المناظرة ، فارتبك الرجل قليلا ، وقال لى « استعمل حقك يا حضرة الرئيس وسكّت عائشة ، فقلت له تفضل بالرد عليها عندما تنتهى ، ولكنها استمرت فى هجومها ، فقال لى هامسا « هى الست عائشة ستخلص الليلة ، ثم أعطيته الكلمة ، فدافع بحماس ، وانتهى الاجتماع بسلام بعد أن استمتعنا فى كلية العلوم بهذا الأدب الرائع من المتحدثين من أساتذة الأدب :

اشتركت معه مرة فى مناظرة دفاعاً عن العلم أمام المرحوم الدكتور مشرفة وزميل آخر يدافعان عن الأدب ضد العلم ، وكان وجه المتعة أن عميد الأدب الدكتور طه حسين يدافع عن العلم ، وأن عميد العلم والعلوم الدكتور مشرفة يدافع عن الأدب . وتساءلت

أثناء حديثى عن أمة رعت استقلالها وحمت ذمارها بشعر شاعر أو أدب أديب فرد المرحوم الدكتور مشرفة أن هذه الأمة هى مصر ، وأن مدافعها هو سعد زغلول فهمس الدكتور طه حسين ، إن هذه هى القنبلة التى يعتمد عليها ولكن ولو ، فقد كان لاسم سعد زغلول مازال له دوى ورنين

ولقد كان لمقالات طه حسين وكتبه الكثيرة التى تظهر يومًا بعد يوم وسنة بعد أخرى كان لها أبلغ الأثر فى جمهور جيلنا من الشباب ، فها هى ذى أجزاء كتاب الأيام ، تظهر واحدًا بعد الآخر ، ثم ها هى كتب على هامش السيرة ، ومستقبل الثقافة فى مصر ، ودعاء الكروان وغيرها ، مما كان يغذى قراءه بأمتع غذاء

وكان هجومه أحيانًا ونقده لشعر شوقى مما يثير العجب لدى المعجبين بشعر أمير الشعراء شوقى . وسمعنا قصة أن شوقى طلب من الدكتور زكى مبارك أن يقدم للشوقيات ، فاعتذر مجاملة لطه حسين . ولكنه عندما أخبر طه حسين بذلك . قال له : أخطأت ، فشوقى أعظم شاعر فى العربية بعد المتنبى .

وكان لدعوته « أن العلم لازم للإنسان كالماء والهواء » ، وسعيه لمجانية التعليم أكبر الأثر ، وكان حفاظه على مواعيده رغم مرضه فى السنوات الأخيرة مضرب المثل ، فقد كان يصل إلى باب مبنى المجمع فى سيارته . فيزاح منها إلى كرسى . يحمله الفراشون ويصعدون به السلم إلى أن يدخل قاعة الاجتماع فى منظر مؤثر . قلت مرة لزوجته : ليس من الضرورى إجهاده إلى هذا الحد . قالت : إنه يجننى إذا لم يحضر .

سألتنى جريدة الرياض بالسعودية عن طريق أحمد محررها عن رأيى فى أدب طه حسين . والعقاد . وأحمد أمين فقلت :

إن طه حسين فنان . والعقاد مفكر . وأحمد أمين مؤرخ . ولكل منهم دوره فى الأدب العربى . فطه حسين يرسم لوحة فنية رائعة لعباراته الأدبية الرائعة . أما العقاد ، فهو مفكر يفرض رأيه الصواب ولا صواب سواه . أما أحمد أمين فإنه مؤرخ يعرض الحقائق الأدبية عرضًا تاريخيًا يصور تتابع الأحداث فى كتبه فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام .

كنت كثيراً ما أجلس إلى جواره في المجمع اللغوى . قلت له مداعباً ذات مرة : « نقبل الأيادى » . فقال : أوَّلا الأيادى . وشكر الله لك . وقدم أحد الأعضاء زميلا جديداً على أنه « عريس المجمع » فقاطعه أستاذنا الدكتور طه حسين « عروس » .

واستشهدت ذات مرة بقاموس تاج العروس فقال : « ليس حجة » وترجمت مرة أحد المصطلحات الأجنبية بكلمة « حَرَض » ، استناداً إلى الآية القرآنية الكريمة : «حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين » فقال : هذه لفظة قرآنية . لا أذكر أنى قرأتها فى شعر أونثر فعدلنا عنها إلى كلمة أخرى تؤدى نفس المعنى .

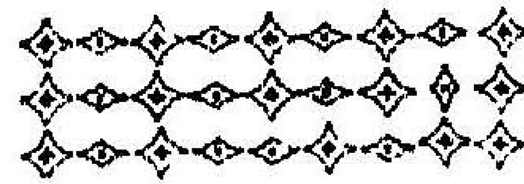
واعترض مرة على كلمة « مسننة » وقال : قل « مضرسة » . قلت : كل ضرس سن وليس كل سن ضرساً . وأخشى أن يلتبس الأمر على القارئ أو السامع فيظن أنى أعنى نوعاً معيناً من الأسنان وهو الأضراس وهذا ما لا نعنيه ، فقال لا اشتقاق من الاسم الجامد ، قلت : لقد أجاز المجمع هذا عند الضرورة . فسألنى الرئيس عمّا نستعمله فى الدراسة فأجبت « مسننة » قال : « خلاص » ، مهمة المجمع أن يسجل ما تقوله المدرسة ، فرد الدكتور طه حسين « مهمة المجمع أن يسجل ما تقوله المدرسة صحيحًا » ، وأخذت الأصوات فكانت فى جانب مسننة . كل هذا فى نقاش هادئ رائع دون غضب أو ثورة .

لقد سُمِّى طه حسين بحق « عميد الأدب العربى » ، لقد ترك بصماته الأدبية على الجيل المعاصر ، بل والأجيال اللاحقة إن شاء الله تعالى .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

وإلى حديث آخر من هؤلاء علمونى ،

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

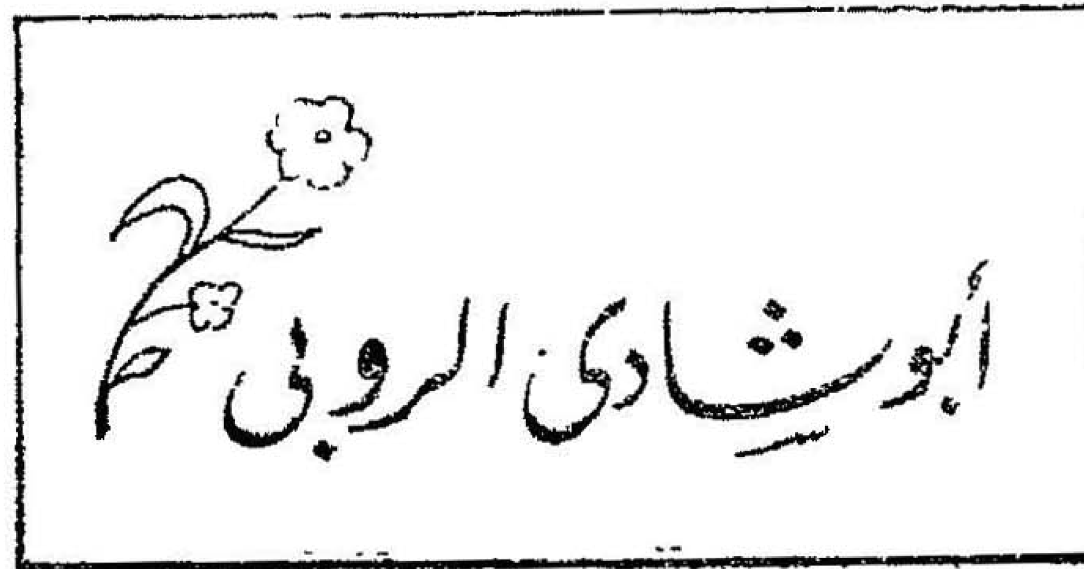


في الســاعة الحادية عشرة من صباح الثلاثاء ٩ من شعبان سنة ١٤٠٧ هـ الموافق ٧ من أبريل سنة ١٩٨٧ أقام المجمع حفل استقبال لأعضائه الجدد : الدكتور أبو شادى الروبى والدكتور أمين على السيد ، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

كلمة الدكتور حسن على ابراهيم

فى استقبال الدكتور



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية ، السيد الأستاذ الدكتور نائب رئيس المجمع :

زملائى أيتها السيدات أيها السادة ...

يسرنى اليوم أن أقوم بتقديم زميل كريم ليكون عضوًا وكسبًا حقيقيًّا لمجمع اللغة العربية . فالرجل كبيرٌ فى علمه وفى تواضعه فهو عالمٌ واسعُ الأفق مَرَّستْهُ الاسفار وصقله اتصالُه الشخصيٌّ بكبارِ العلماء فى الشرق والغرب .

من الناس من عنده إسهال فى التفكير وإمساك فى الكلام ومنهم من عنده إمساك فى التفكير وإسهالٌ فى الكلام ومنهم من هم بين بين والدكتور الروبى من النوع الأول فهو إلى جانب تَعَمُّقِه فى علمه ، ومعلوماته العامة العزيزة فى كل فرع من فروع المعرفةِ وولعِه بالموسيقى وإجادته العزف على الكمان إلَّا أنه بجانب كلِّ

هذا قليل الكلام ولم أسمعه يتكلمُ عن علمِهِ أبدًا . وقد أعطانى الورقة التى تشير إلى تاريخ حياتهِ وأعمالهِ بعد تردُّد كثير فقد ولد الدكتور الروبى فى الخامس من شهر مارس عام ١٩٢٥ فى حىٍّ القلعة ، ونشأَ هناكَ نشأَةً دينية وكان جـدُّه المرحوم محمد أبو شادى المحامى من رِفَاقِ سعد زغلول . أمَّا خالُه فهو المرحوم الدكتور أحمد زكى أبو شادى الطبيبُ والشاعرُ المعروف وكان الدكتور الروبى نابغةً منذ صغره فقد كان خامس التوجيهية فى عام ١٩٤١ ثم التحق بكلية العلوم ونال بكالوريوس العلوم فى الكيمياء وعلم الأَحياء عام ١٩٤٦ ثم انتقل إلى كلية الطب وتخرج فيها عام ١٩٥٠ وعندما كان طالبًا فى كلية العلوم وجد نفسه بين تيارات مذهبية مختلفة بين أقصى اليمين وأقصى اليسار ولكنه استطاع أن يجدَ نفسه وبَلَدَه بين كلٍّ هذا .

لم يكتفِ الدكتور الروبى بما حَصَلَ عليه بل استمر يرقى دَرَجَ العِلْم فنال دبلُوم طب المناطق الحارة وصحيتها عام ١٩٥٠ ثم دبلُومَ الأَمراض الباطنة عام ١٩٥٣ فالدكتوراه عام ١٩٥٥ ثم استمر فى دراسات ما بعد الدكتوراه فى أمراض الجهاز الهضمى فى بريطانيا عَامى (١٩٥٩ - ١٩٦٠) ، والنظائِر المشعة (القاهرة عام ١٩٦٤) ، والمناعة (بيروت عام ١٩٦٦) ، ومناظير الأَلياف الزجاجية الضوئية فى طوكيو عام ١٩٦٨ والوسائل الحديثةِ فى تشخيص وعلاجِ أَمراضِ الجهاز الهضمى (برستول عام ١٩٧٤) والمناهج الفعالة فى التعليم العالى (اكستر عام ١٩٨٣) .

كان الدكتور الروبى مولعًا باللغةِ العربية منذُ نعومةِ أظفارهِ وقد نال جائزة الأَدب التوجيهى فى اللغة العربية لطلبة السنة التوجيهية عام ١٩٤١ وقد امتحنه المرحوم الدكتور طه حسين والمرحوم الأُستاذ على الجارم واقتضى ذلك منه أن يقرأ المنتخبات للطفى لسيد والأيام لطه حسين ، وفيض الخاطر لأَحمد أمين ، ووحى الرسالة للزيات ، وتحرير المراة لقاسم أمين ، وأهل الكهف للحكيم ، وديوانَ إسماعيل صبرى وتم ذلك بالرغم من استذكاره لشهادة التوجيهية وظل يقرأ ومازال الكثير فى اللغةِ العربيةِ فهو يكاد يَحْفَظ كتابَ القانون فى الطب لابن سينا عن ظهر قلب والكثير غيرَه من أُمهات الكتب

وقد استفدتُ كثيراً من كتاباتهِ عن ابن سينا ، فبعد أن دخلتُ فى متاهاتِ الاخلاط والأمزجة والاحوال فى كتاب ابن سينا وجدت أن الدكتور الروبى قد استطاع أن يوجزَ كل ذلك فى صفحتين .

نال الدكتور الروبى جوائز كثيرة منها جائزةُ مايازلامبسون فى اللغة الإنجليزية لطلبة الثقافة عام ١٩٤٠ ، وجائزة الجمعية المصرية للجهاز الهضمى فى استخدام المناظير عام ١٩٧٤ وميدالية وشهادةُ تقدير من وزارةِ الصحةِ عام ١٩٨٦ ، ودرع نقابة الأطباء عام ١٩٨٦ ، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأُولى .

عَمِلَ الدكتور الروبى فى أوائل الأربعينيات محرراً بالقطعةِ فى أخبار اليوم وقال له المرحوم كامل الشناوى : دع الطبَّ واعمل بالأدب والصحافة وعرف خلال هذه المدة كبارَ كُتَّابنا كتوفيق الحكيم والصاوى ، وكان دخلُه الشهرى من عمله ستين جنيهًا .

تدرج الدكتور الروبى كالعادة من طبيب امتياز إلى طبيب مقيم فمدرس فأستاذ مساعد فأستاذ ورئيس مجلسِ قسم الأمراضِ الباطنية الخاصة بكلية الطب كما عمل أخصائيًا بمستشفى الحميات بوزارة الصحة ، كذلك قام بتدريس تاريخ الطب العربى لطلبةِ كلياتِ الطبِّ بجامعاتِ القاهرةِ وأسيوط وقناةِ السويس ولَمَّا بَلَغَ السنَّ القانونية أصبح أُستاذًا متفرغًا فى عام ١٩٨٦ ومازال يشغل هذا المركز .

والدكتور الروبى أيادٍ بيضاء على كلية الطب وقصر العينى . فقد قام بتحديث طب الجهاز الهضمى فى مصر وإدخالِ الكثير من الوسائلِ الحديثةِ فى تشخيصِ أمراضِه مثل عيناتِ الكبد والصائم ، والمناظير الليفية الضوئية . وطبق ذلك بتوسع على أمراضِ مصر المتوطنةِ وخاصة البلهارسيا وهو نائبُ رئيسِ الجمعيةِ المصرية لِلْكبد وسكرتيرُ الجمعيةِ المصرية للجهاز الهضمى ومحررُ مجلتها ؛ كما أنه عضوُ مجالس الإدارة للجمعية المصرية لِلْطفيليات وأمراض المناطق الحارة ومعهد أبحاث المناطق الحارة ومعهد تيودور بلهارس والجمعية المصرية لتاريخ الطب والعلوم الطبية ، كما أنه عضوُ مجالسِ البحوثِ الطبية بأكاديمية البحث العلمى

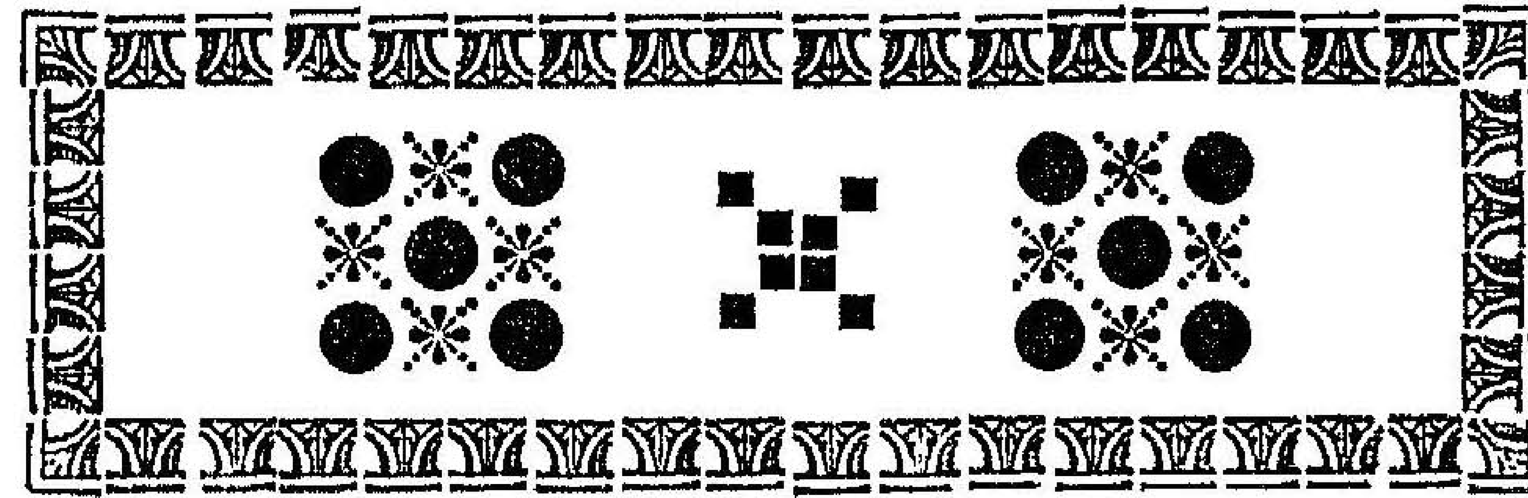
والتكنولوجيا ومستشار وزارةِ الصحة فى طب المناطق الحارة وعضوُ اللجنة العليا للأدوية ورئيسُ لجنتيها الفرعية لأدوية الأمراضِ الباطنة ومستشارُ وحدة الأبحاث الأمريكية (نامرو ٣) فى الحميات وهو مستشارُ التحرير لمجلة الطب الدولية ، وعضوُ اللجنةِ القوميةِ لتاريخِ وفلسفةِ العلومِ بأكاديمية البحث العلمى ونائب رئيسِ المجمع المصرى للثقافةِ العلمية بالاتحاد العلمى المصرى ، كما أنه كان ومازال خبيرًا بلجنة المصطلحات الطبية بمجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٧٢ م .

كما نشر الدكتور الروبى ستين بحثًا فى مَجَال الطب الباطنى وهى منشورةٌ فى الدوريات المحلية والعالمية وله كتابٌ فى طب المناطق الحارة والأمراض المعدية وكتاب « الموجزِ فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب » ، وكتاب « محاضرات فى تاريخ الطب العربى » ويضم إحدى عشرة محاضرة أُلقيت فى مناسباتٍ مختلفةٍ منها التراثُ الطبى عند العرب والأرجوزة فى الطب لابن سينا والطب الروحانى للرازى وابن النفيس فيلسوفا وغير ذلك كثير ولَنْ أُطيل أكثرَ مِمَّا أَطلت .

وبعد أيها السادة فإنى سعيدٌ حقًّا بتقديم الدكتور أبو شادى الروبى لكم وستجدون فيه عذوبة الروح والعلمَ الغزير والتواضعَ الجم والإنتاجَ الكبير .

شكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن على ابراهيم
عضو المجمع



كلمة الدكتور ابو شادى عبد الحفيظ الروبى

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

سيدى الرئيس

سادتى الأعضاء

سيداتى وسادتى

أود أول شىء فى كلمتى هذه أن أتوجه إليكم جميعا بالشكر العميق على ما أوليتمونى إيَّاه من ثقة ، وما أسبغتموه علىّ من فضل باختيارى عضواً بمجمعكم العظيم وإنى أعلم جيداً أن اختياركم هذا تكليف قبل أن يكون تشريفاً ، وأسأل الله أن يوفقنى ويأخذ بيدى ، وينير بصرى وبصيرتى حتى أكون أهلاً لثقتكم ، خادماً للعربية والعروبة .

وأود ثانياً أن أعبر عن شكرى الخاص لرئيس المجمع ، الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور ، الذى أكرم وفادتى منذ أول يوم طرقت فيه بابكم ، قبل خمسةَ عشرَ عاماً ، لأشارك فى أعمال لجنة المصطلحات الطبية . ولنائب الرئيس ، الأُستاذ الدكتور مهدى علام ، الذى شرفت بالعمل معه فى تلك اللجنة ، وتعلمت منه الكثير. وللأمين العام ، الأُستاذ عبد السلام هارون الذى لم يبخل علىّ بالنصيحة ولا بالكُناشة كذلك أسجل تقديرى للدكتور رشاد الطوبى . أُستاذى فى كلية العلوم . وللدكتور حسن إبراهيم ، أُستاذى فى كلية الطب ، وأشكرهما على مبادرتهما الكريمة . وعلى الإطراء الزائد الذى تفضلا به فى تقديمى إليكم . وكم كنت أتمنى أن أُشيد بفضلكم علىّ واحداً واحدا : فأنتم جميعا أساتذتى فى العلم والطب والأدب واللغة ، لولا أن الوقت يضيق عن ذلك .

وأود ثالثاً أن أُصارحكم ببعض ما قد لا تعرفونه عنى . فهذا حقٌّ لكم بعد أن أصبحت واحداً منكم محسوباً عليكم . وأكثر الناس يروننى طبيباً تستغرقه مهنته ، ولا يكاد يجد بين مستشفاه وعيادته وقتاً يتناول فيه طعامه . ولم أُحاول ، من جانبى ، أن أُصحح هذه الرؤية . فقد كان الطبيب والمعلم الشهير « هالز » يحذر تلاميذه من الاشتغال بأى

أمر سوى مهنة . ويقولون إن الأطباء بعضهم كانوا دائماً لا يشركون بالطب شيئاً . أو هكذا على الأقل يحب الناس أن يروهم . وتركت الناس يرون ما يحبون . لكنى لم أستطع بينى وبين نفسى أن ألتزم بهذه النصيحة . فقد كانت هواياتى متعددة . وكان بى نزوع مبكر إلى الأدب . واشتغلت بالكتابة زمناً حتى كدت أترك دراسة الطب لأعمل بالصحافة . وكان عزائى فى تلك الفترة القلقة من حياتى كلمة قرأتها لشيخوف .

وتعلمون حضراتكم أن أنطون شيخوف . أديب روسيا العظيم ورائد القصة القصيرة والمسرحية . كان طبيبا ممارسا قبل أن يكون أديبا ، وجمع بين المهنتين سنوات أفادت فيها كل واحدة من الأخرى . وكان شيخوف يقول فى ذلك : « الطب زوجتى . والأدب معشوقتى . عندما أمل إحداهما . أقضى الليلة مع الأخرى » .

وهكذا عشت أيامى ولياليّ موزع الولاء بين الاثنتين . يرى الناس معى الحليلة . ولا يرون الخليلة . وأغرانى بذلك ما فى الاشتغال بالعلم من صرامة . وما فى ممارسة الطب من عناء . وشيئاً فشيئاً تعددت المعشوقات .

تطرق الأدب إلى الفن . وتطلع العلم إلى الفلسفة .

واليوم تأتى اللغة . وعاء كل فكر . ومفتاح كل قول . تطالب هى الأخرى بنصيبها . بل بأن تكون لها الحظوة الأولى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

والله المستعان عليهن جميعا .

سيدى الرئيس

سادتى الاعضاء

من تقاليد مجمعكم الموقر أن يتحدث العضو الجديد عن حياة سلفه ويعرف بآثاره وإنجازاته . وأنا لم يسعدنى حظى بمعرفة سلفى . فضيلة الشيخ أحمد هريدى معرفة وثيقة أو شخصية . إذ كان رحمه الله ينتمى إلى جيل غير جيلى . ويعمل فى مجال غير مجالى . لكن اسمه كان ملء السمع والبصر : فقيها وقاضيا ومفتياً لمصر . ولد رحمه الله سنة ١٩٠٦ بمحافظة بنى سويف . ودرس بالجامع الأزهر ،

وتخرج فى كلية الشريعة ، ثم تدرج فى مناصب القضاء الشرعى حتى عين رئيسا لمحكمة المنصورة الشرعية . وعندما ألغيت المحاكم الشرعية عين رئيس نيابة بمحكمة النقض ، ثم مفتيًا لجمهورية مصر فى سنة ١٩٦٠ ؛ وشغل هذا المنصب عشر سنوات . ثم عين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية . واختير لعضوية مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٩ م . وتوفى إلى رحمة الله بعد ذلك بخمس سنوات .

وقد كان للفقيد نشاط علمى واسع وبحوث كثيرة فى مجال الفقه الإسلامى فكان عضوا باللجنة التى اختارت قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ؛ وساهم فى لجنة تعديل القوانين ، كما شارك فى لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكان رئيسا للجنة موسوعة الفقه الإسلامى وقد نشرت له هذه الموسوعة الكثير من بحوثه ؛ ومنها : نظام الحكم فى الإسلام ، نظام القضاء فى الإسلام ، نظام الزكاة ، الولاية على النفس والمال ؛ الإسقاط والولاية العامة والخلافة ، نظام الإقرار ، نظام تطبيق الحدود الشرعية ، وغيرها كثير يشهد بسعة علمه وعمق بحثه .

اما فى مجمع اللغة العربية فقد شارك الشيخ هريدى فى أعمال مجلسه ومؤتمره ولجانه . وبخاصة فى لجنة المعجم الكبير ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم .

سيدى الرئيس

سيداتى وسادتى

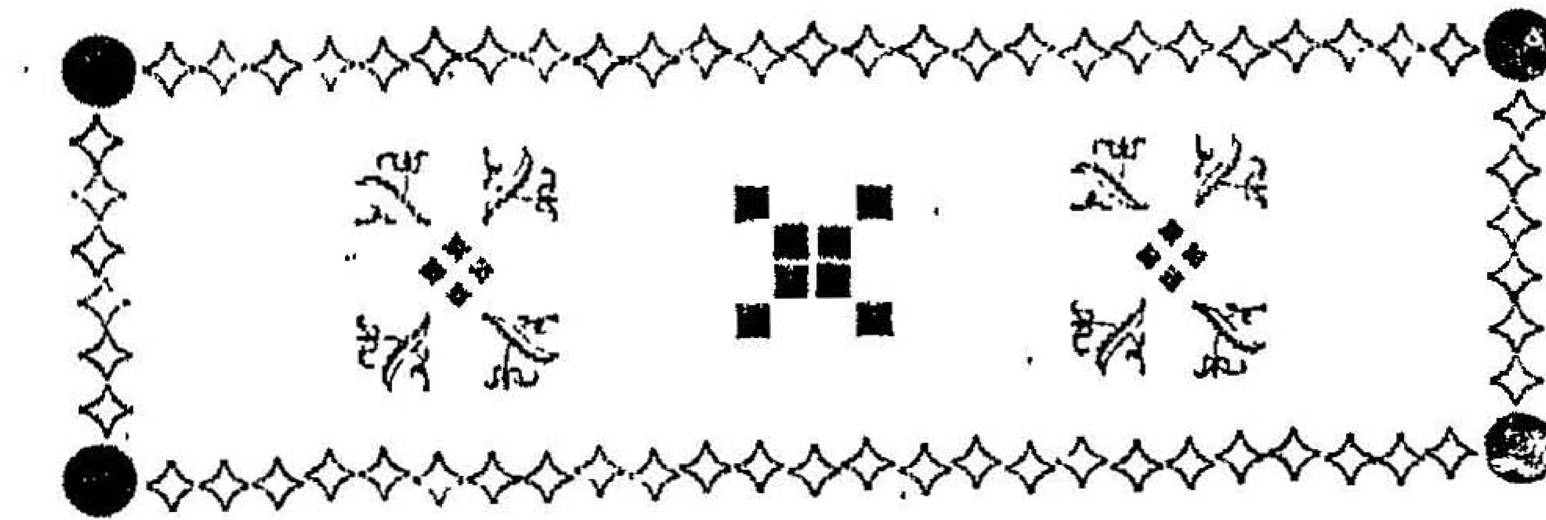
لا أخفى عنكم أنه عندما قيل لى . بعد اختيارى لمجمعكم : إنى قد شغلت المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الشيخ أحمد هريدى . استغربت ذلك فى بادئ الأمر . إذ ما علمى أنا بالفقه والفتيا ؟ كنت أحسب المجمع يحرص فى اختياره لأعضائه الجدد على أن يخلف السلف خلف من جماعته وفى نفس تخصصه . لكن تبين لى أن الأمر ليس بهذه البساطة ورحت أتقصى هذا لتابع العجيب للمجمعيين . فعلمت أن المكان الذى شغله الشيخ أحمد هريدى — الفقيه الإسلامى ، والقاضى الشرعى ، ومفتى الديار المصرية . كان قد خلا بوفاة سلفه العظيم الدكتور محمد كامل حسين — جراح

العظام ، وخريج جامعتي لندن وأفربول ، والزميل بكلية الجراحين الملكية بإنجلترا . وأن الدكتور كامل حسين كان بدوره خلفًا لسلف عظيم آخر هو الأستاذ أحمد حافظ عوض — الأديب ، والمؤرخ ، ورجل السياسة والصحافة . واليوم يجيء زميلكم الجديد ، ربيب العلم والطب ، يجيء على استحياء ليحمل الأمانة ، ظلوما جهولًا . بدلًا من فقيدنا وفقيهنا خريج الأزهر ومفتى مصر . وقد تتساءلون : ماذا أريد من وراء هذا الاستقصاء ؟ هل أعنى أن الأمر دواليك ، وأن العجلة قد دارت دورة كاملة : أدب فطب فأدب فطب مرة أخرى ، أم أنا ألمح إلى ما اصطلح على تسميته بأزمة الثقافتين ، أو الفجوة التى تفصل بين المشتغلين بالطبيعيات والمشتغلين بالإنسانيات ؟ كلا ! لا هذا ولا ذاك . بل أريد أن أقول : إن مجمعكم هذا ليس فقط مجمعًا للغويين والنحاة ، بل هو أيضًا مجمع الموسوعيين والثقات ، جمع فأوعى فلا يعرف الفجوات .

حفظكم الله ونفع بكم ، وأدام مجمعكم قلعة للفكر ومنارًا للمعرفة .

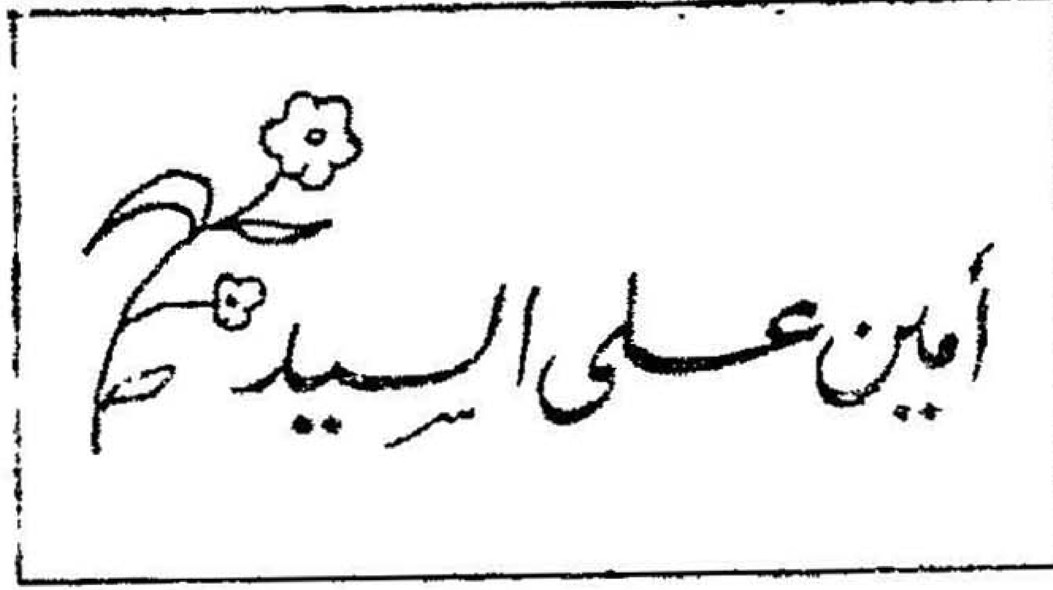
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أبو شادى الروبى
عضو المجمع



كلمة الدكتور شوقى ضيف

فى استقبال الدكتور



بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجمع ، السادة الزملاء :

يسعدنى ويشرفنى أن أنوب عن مجمع اللغة العربية فى استقبال شيخ جليل من شيوخ اللغة هو العضو الجديد الأستاذ الدكتور أمين السيد عميد كلية دار العلوم السابق ، والكلام عنه وعن بحوثه وفضله ذو سعة ، وأرجو أن أوفيه شيئًا من حقه .

وأقف أولًا عند أسرته ونشأته وسيرته ، ثم أتحدث عن بحوثه اللغوية الخصبة ،

وهو من أسرة كريمة من أسر محافظة الشرقية ، تنتمى إلى الجزيرة العربية هاجرت منها قديمًا إلى مصر واستقرت فى قرية صافور بمركز ديرب نجم ، ورزق به أبوه الشيخ على فى سبتمبر من سنة ١٩٢٠ وأخذ يتعهده فى طفولته وصباه بما يغرس فى نفسه من تصور الأشياء ، حتى إذا أنس فيه القدرة على التعلم ألحقه بكتّاب ثم بمدرسة إلزامية فمدرسة أولية . كان يلفت معلميه فيهما بمقدرته على الحفظ ، وما إن بلغ الثانية عشرة حتى كان قد أتم حفظ القرآن الكريم وترتيله . وطمحت نفسه إلى الانتظام فى المعهد الدينى الأزهرى بالزقازيق ، وانتظم فيه لمدة تسع سنوات عكف فيها على علوم الأزهر اللغوية والدينية ، وفقهها فقهًا حسنًا ، ولم يكمل دراسته العالية فى الأزهر الشريف ، إذ وجد فى نفسه ميلًا إلى دراسة العربية ، مما جعله يؤثر الالتحاق بكلية دار العلوم ، والتحق بها . وأخذ ينهل من دراساتها على أيدى أساتذتها من أمثال حامد عبد القادر وإبراهيم أنيس وعلى النجدى ناصف ، وأضرابهم ، وأخذ يعنى حينئذ بقراءة

كتب النحو المطولة ، وكلما تعمق فيها ازداد بها وبمؤلفيها إعجاباً . وتخرج فيها سنة ١٩٤٦ والتحق بمعهد التربية – مثل رفقائه – لمدة سنتين وتخرج فيه . وعينته وزارة التربية والتعليم مدرساً بمدرسة الغربية الابتدائية . وتنقل فى مدارس نموذجية . وأعير للعمل بمدارس الخرطوم فى السودان الشقيق لمدة ثلاث سنوات . وعاد لتدريس اللغة العربية فى المدارس الثانوية . والتحق حينئذ بالدراسات العليا فى دار العلوم . واختار موضوعا لرسالة الماجستير : كتاب المقتضب فى النحو للمبرد : دراسة ونقدا وتحليلا . ونال برسالته فيه درجة الماجستير بتقدير ممتاز ، وكان قد أعير العمل بمدارس السعودية : وعاد منها سنة ١٩٦٢ فأكب على رسالته التى أخذ يعدها للحصول على درجة الدكتوراه من دار العلوم . وكان موضوعها : « الاتجاهات النحوية فى الأندلس وأثرها فى تطوير النحو » وظفر بتلك الدرجة سنة ١٩٦٤ بمرتبة الشرف الأولى . وانتدبته دار العلوم لتدريس النحو لطلاب السنة الأولى بها ولم تلبث أن عينته مدرسا بها فى قسم النحو والصرف والعروض . وفى سنة ١٩٦٧ أعير للعمل بجامعة الموصل فى العراق لمدة ثلاث سنوات ، ورُقِّىَ فى سنة ١٩٧١ إلى درجة أستاذ مساعد ، وعُنى حينئذ بتأليف كتاب مطول فى النحو أنفق فيه نحو أربع سنوات ، ورُقِّى إلى درجة أستاذ للنحو والصرف . وأصبح سريعا رئيسا لقسمه .

وفى سنة ١٩٧٧ أعير لجامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية لمدة أربع سنوات ، وظل طوال عمله بها أستاذا ورئيساً لقسم النحو والصرف وفقه اللغة فيها ، وأشرف على طائفة من رسائل الماجستير والدكتوراه هناك ، واتصل نشاطه بتلك الجامعة ، فشارك فى ندوة الأدب الإسلامى التى أقامتها سنة ١٩٨١ كما شارك فى إعداد المناهج لفرع كلية اللغة العربية بالأحساء التابع لتلك الجامعة وأيضاً فى وضع لائحة المعهد. الإسلامى بمقديشيو بدعوة من المنظمة العربية للعلوم والتربية. وفى سنة ١٩٨٣ عين وكيلا لكلية دار العلوم لشئون الدراسات العليا والبحوث ، وعُيِّن فى سنة ١٩٨٤ عميدًا لها حتى سنة ١٩٨٦

ولا يزال ينهض بالتدريس فى قسمه بها أُستاذًا متفرغاً وقد أشرف فيها على كثير من الرسائل العلمية بقسمه فضلا عن الرسائل التى أسهم فى مناقشتها بجامعات مصر والسعودية .

ولم يعمل الدكتور أمين السيد فى جامعة عربية إلا كان محفوفاً بالثناء وكانت له فيها سيرة حسنة . كسيرته فى كليته وبين زملائه لما امتاز به من رقة الشمائل ، أما سيرته العلمية فسير كلها جد منتهى الجد فى الإخلاص لتخصصه العلمى ، وتشهد بذلك طائفة من الكتب والمقالات ، أما الكتب فأولها كتاب بعنوان دراسات فى علم النحو ألفه فى العام الأول من عمله بكلية دار العلوم من قسمه فيها بحيث ييسر النحو فيه لطلاب السنة الأولى تمهيدًا للدراسة المتعمقة فيه بالسنوات الثلاث التالية . وألف لطلاب تلك السنوات كتاباً مفصلاً فى جزءين ، واتّبع فى ترتيب أبواب الجزء الأول نسق ابن مالك فى ترتيب أبواب النحو بألفيته المشهورة ، مع محاولة اليسر فى العبارة والإجمال فى التفسير والاقتصاد على الرأى السديد . وأكثر فيه من الأمثلة والشواهد التى تعين على استيعاب القواعد وتمثلها تمثلا دقيقاً ويخلو الجزء من الاستطراد ومن الخوض فى مشكلات النحو المعقدة . وأيضاً فى الخلافات التى تشتت ذهن الطالب وتعوقه عن تمثل القواعد النحوية وسيتم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب مسائل النحو متبعاً فى عرضها منهجه فى الجزء الأول مع الإكثار من الشواهد والأمثلة . ومع طائفة من مباحث التصريف ، حرصاً على استكمال المادة واستيفاء لمباحث النحو والتصرف ؛ وكل ذلك فى لغة واضحة تجعل استيعاب القواعد سهلا دون أى عسر أو صعوبة .

وللدكتور أمين السيد كتاب طريف فى علم الصرف ، ومعروف أن النحاة عقدوا كثيرًا من مسائله تعقيدًا شديدًا مما جعل الدكتور أمين يحاول تيسير قواعده ومشاكله على الطلاب بجمع مسائله المتناثرة فى أبوابه فى موضع واحد منه ، وأوضح كلام النحاة فى الإعلال بالنقل إيضاحاً تاماً وبالمثل فى القلب المكانى ، وجمع كل صور الحذف لعناصر الجملة العربية فى باب واحد . وعُنى بحروف الزيادة مبيناً مواضعها وأدلة زيادتها وأثرها فى المعنى والعمل ، وأكثر فى جميع الأبواب

من الأمثلة حتى يفقه الطلاب أبواب الصرف فقهاً حسناً . ومن الطريف أنه أخذ فى الكتاب بقرار المجمع فى دورته التاسعة والثلاثين من أنه : « لامانع من جمع فاعل – لمذكر عاقل – على فواعل نحو باسل وبواسل » وقد اعتمد المجمع فى ذلك على مذكرتين للأستاذين على السباعى ومحمد شوقى أمين . ونَفَذ الدكتور أمين إلى قاعدة مهمة فى جواز تصغير ما ثانيه حرف علة دون رده إلى أصله حذف اللبس مثل تصغير قيمة على قييمة لا قويمة للفرق بينها وبين تصغير قامة ، قاس ذلك على تصغير العرب لفظة عيد ، إذ يصغرونها على عُيَيْد ، مع أن الياء فيها منقلبة عن واو ، خوفاً من الالتباس بلفظة عويد تصغير عود ، وقد جمعوها على أعياد لا أعواد .

ومن مؤلفات الدكتور أمين كتاب فى علمى العروض والقافية ، ومعروف ما يتميز به علم العروض من كثرة المصطلحات والتعويضات والشذوذات ، لذلك رأى أن يعرضه على الطلاب فى صورة ميسرة تخلو من عقده الكثيرة ، مع توزيع بحور الشعر بين ذات التفعيلة وذات التفعيلتين ومع تدريب واسع عليها حتى يتمثلها الطلاب تمثلا واضحا . وأضاف إلى هذه الدراسة الميسّرة لعلم العروض فى الكتاب دراسة ثانية عرضة فيه على الطلاب حسب دوائره الخليلية ومع قدر أكبر من مصطلحاته . حتى لا يحرم الطلاب من معرفة أصوله معرفة بَيِّنة .

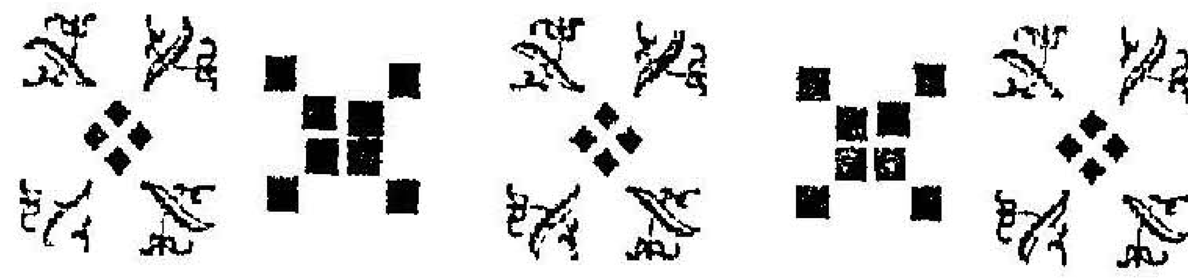
وبجانب هذه المؤلفات للدكتور أمين السيد جهد علمى فى تحقيق التراث ، إذ عُنى بتحقيق كتاب الواضح فى علم العربية لمحمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى تلميذ أبى على القالى المتوفى سنة ٣٧٩ بقرطبة وكان واحد عصره فى حفظ اللغة وعلم النحو ، وكتابه الواضح ألفه فى النحو والصرف : ويقول ابن خلكان إنه كتاب مفيد وطارت شهرته فى الأندلس لزمنه وبعد زمنه ، وقد عنى الدكتور أمين بتحقيقه ونشره ، ووَضَع بين يدى تحقيقه له مقدمة تحدث فيها عن عصر الزبيدى ونشأته وسيرته وثقافته ومؤلفاته وكتابه الواضح ومخطوطاته مقارناً بينها فى دقة ، وألحق بالكتاب بحثاً بمراجع تحقيقه .

وللدكتور أمين السيد مقالات علمية متنوعة من أهمها مقالة عن شرح كتاب سيبويه لأبي الفتح القاسم بن علي البطليوسي الصفار المتوفى بعد سنة ٦٣٠ للهجرة ، نشرها في مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وفى نفس المجلة نشر مقالة عن المقدمة الجزولية فى النحو لعيسى الجزولي المغربي المتوفى سنة ٦٠٧ للهجرة ، وهى حواس أفادها الجزولى من أستاذه عبد الله بن برى النحوى اللغوى المصرى .

أيها السادة :

واضح من كل ما قدمت أن الأستاذ الدكتور أمين السيد جهودًا علمية قيمة فى خدمة النحو والصرف والعروض ، وقد أنفق حياته يدرس تلك العلوم ويفرغ لها ويؤلف فيها ويحقق بعض كتبها على هدى وبصيرة ، وأنا أهنئه تهنئة صادقة باختيار الزملاء المجمعيين الأجلاء له عضوا مجمعياً عاملا ، ليسهم معهم فى أداء رسالتهم اللغوية العلمية النبيلة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شوقى ضيف
عضو المجمع



كلمة الدكتور أمين على السيد

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الرئيس .

السادة الأعضاء .

السيدات والسادة

بعد حمد الله ذى الفضل العظيم . أتوجه بخالص الشكر وعظيم الثناء إلى السادة الأعضاء الذين تفضلوا فأولونى ثقتهم ، وضمونى إلى صفوفهم . وكرمونى بشرف الانتماء إليهم ، للعمل فى خدمة اللغة العربية لغة الكتاب والسنة .

وإنى لراج أن أكون عند حسن ظنكم بى ، وأن يكون انتخابكم إياى فى ميزان حسناتكم . فأنتم سدنة اللغة العربية الفصحى ، وأنتم حملة اللواء المعقود لها ، وأنتم القابضون على زمام الأمر فيها ، وأنتم الحماة لها من كل عاد ، والحراس الأمناء الأشداءُ .

ولئن كان للأستاذ الدكتور شوقى ضيف من هذه التحية نصيب إنه لجدير أن أخصه بمزيد من الثناء ، لتفضله بتقديمى إلى مجمعكم الموقر . فهو أستاذ أجيال تفوق الحصر والعد فى كل أرجاء الوطن العربى بل فى كل أنحاء العالم الإسلامى ، وتكفى آثاره العلمية ليحق لى أن أصفه بأنه سيوطى هذا الزمان ، علما وحكمة وفضلًا واحاطة ، فقد أمده الله بروح من عنده فلم يدخر وسعاً فى خدمة الإسلام وفى خدمة اللغة العربية فى شتى ميادينها. أسأل الله أن يجزيه عنى خير الجزاء ، وأن يمتعه بموفور الصحة والعافية .

أيها السادة :

لقد كنت أو من أن السيف المصلت لحماية اللغة العربية بأيدى رجال المجمع الخالدين على اختلاف تخصصاتهم ، فإلى هؤلاء الرجال تأرز الفصحى ، ويطيب لها المقام ، وبهم تأوى إلى ركن شديد ، وعنهم تأخذ الزاد الذى يشد أزرها ، ويعينها على أن تبقى أبد الآبدين لغة علم وثقافة وفنون وحضارة وبعد المشاركة فى أعمال المؤتمر الثالث والخمسين لمجمعكم الموقر اطمأن قلبى

إلى ما كنت أو من به إذ إنني لم أجد فيكم إلَّا الراعي الأمين الحريص على صيانة اللغة العربية الفصحى، وتزويدها بما يكفل لها الاستمرار في النهوض بكل ما يمكن أن تنهض به أرقى اللغات

ونظرًا لأن المجمع قد أحلني المكان الذي خلا باستقالة الأُستاذ توفيق الحكيم وجرياً على هذا التقليد الذي سنه المجمع أن يتحدث العضو الجديد عن سلفه – أحس راحة أعظمى بما أتيح لى من فرصة الحديث عن فنان مبدع وكاتب مجيد، وعلم من أعلام ثقافتنا المرموقين، شغل كرسيه فى هذا المجمع ثلاثة وثلاثين عاماً. حياه الله وأطال عمره.

ففي السابع عشر من شهر مايو سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف عقد المجمع جلسة علنية لاستقبال الأُستاذ توفيق الحكيم بمناسبة تعيينه عضوا عاملا فيه. وقد استقبله الأُستاذ الدكتورطه حسين وحياه وتحدث عنه حديث الأَديب الأَريب.

وحين عرض فى حديثه لقصة «أهل الكهف» التى مثلت أول مرة فى مصر عام ١٩٣٥، أثنى عليها وعلى توفيق، وكان مما قال:

هذه القصة التمثيلية – إن دلت على شيء إنما تدل على أن الله خلقك لتدخل فن التمثيل فى اللغة العربية. ولتجعله فنا أصيلا من فنونها الأَدبية بعد أن كان فنا طارئاً عليها، ينقل إليها من الغرب أو يتكلف فيها تكلفاً قوامه محاكاة التمثيل الغربى، فأَنت قد أصلت هذا الفن فى اللغة العربية. وليس هذا بالشىء القليل.

ثم قال عن عودة الروح.

وكانت «عودة الروح» هذه هى التى حببتك إلى عامة القراء... ذلك لأَنك اقتطعت هذه القصة من حياة الشعب اقتطاعاً. صورت الحياة المصرية كما يحياها الأَوساط من المصريين. وكما يحياها الفقراءُ من المصريين أيضا. وصوت هذه الحياة المصرية فى كثير من الحب لها، والشغف بها، والفناء فيها، كأَنما كنت تصور نفسك لأَن كل المصريين الذين صورتهم فى هذه القصة يتصلون بك من قريب أو بعيد، ولست

فى حقيقة الأمر إلا واحدًا من هؤلاء الأشخاص الذين تراهم يتحركون ويذهبون ويجيئون فى قصتك بكثرة . ثم صورت الحياة المصرية فى وقت دقيق من أوقاتهم ، حين كان المصريون ثائرين بالانجليز ، طامحين إلى الحرية عامدين إلى أخذ استقلالهم من هؤلاء الانجليز عنوة ، ماضين فى جهادهم لا يلوون على شىء ، ولا يصدهم عن هذا شىءٌ :

وتابع الدكتور طه حسين حلو الحديث عن عودة الروح ولكنه أخذ على صاحبه شيئاً بينه فى قوله : وأنا أعرف أنك فى عودة الروح قد اصطنعت لغتين : اصطنعت لغة عربية فصيحة تحتاج مع ذلك إلى شىء من التحرير ، واصطنعت لغة عامية طبيعية ، ولكنك آثرت نفسك باللغة الفصحى ، فكنت إذا تكلمت أفصحت ، وإذا أردت أشخاصك على أن يتكلموا أرسلتهم على سجيتهم فتكلموا فى لغتهم العامية كلاماً عذباً حلوًا .

وكنت فى هذا ملائماً لما ينبغى أن يكون عليه الحال حين يريد الكاتب أن يصور حقائق الشعب كما يجب أن تكون ، أو كما هى فى واقع الأمر ..

ثم قال : أنت حر تكتب بالعامية أو بالعربية الفصحى وإنما يبدأ تقييد حريتك منذ هذا اليوم ، أى منذ دخلت هذه الدار التى يكتب أصحابها لا باللغة العربية الفصحى فحسب ، بل باللغة العربية الفصحى التى تقرها المعاجم وتقرها التقاليد القديمة العتيقة ، فأنت منذ الآن مكلف أن تكتب بلغة عربية تلائم مجمعيتك هذه الجديدة.

ولئن كان الأستاذ توفيق الحكيم قد اعتذر عن عدم مواصلة الكفاح فى خدمة اللغة العربية تحت لواء مجمع الخالدين إنه ليواصل خدمتها بما وهب من طاقات مبدعة خلاقة ، يقدم بها للقارئ العربى غذاء العقل وغذاء القلب والروح ، دون كلال أو ملل .

وكان الأستاذ توفيق الحكيم قد وافق الأستاذ عبد العزيز فهمى على الاقتراح الذى تقدم به إلى المجمع بترك الحروف العربية واتخاذ الحروف اللاتينية وبتيسير قواعد النحو واللغة ولكنه يوم استقباله هنا انسحب من الميدان قائلا :

لن أتعرض إذن للعقدة ، وخصوصاً العقدة العسيرة الحل ، وهى حروف الكتابة

العربية واللاتينية . ولكنى إذا لزم الأمر فأنا مستعد للدفاع عن الرأى الآخر الأبسط وهو الخاص بتبسيط قواعد النحو واللغة إلى الحد الذى يجعل القارئ أو المتكلم يستطيع القراءة والكلام بغير تعثر ولا تفكير.. فتلغى من الفصحى الحركات فى أواخر الكلمات ويكتفى بالوقف والتسكين فى أكثر الأحوال .

وأظن هذا الأمر لا يحتاج فى إقراره إلى معركة عنيفة هذا ومن المعلوم أنه قد تصدى لهاتين المسألتين كثير من أبناء هذه الأمة وكثير من مؤسساتها العلمية ، وانتهى الأمر فيهما إلى الرفض هكذا قضى الأمر ولم يعد هناك من يجرؤ على مجرد الهمس بمثل هذا . وقد مكن الله لقواعد النحو واللغة كما مكن للكتابة العربية بالحروف العربية ، وأصبح فى كل أنحاء العالم الآن مدارس ومعاهد ومؤسسات علمية واقتصادية تدرس فيها اللغة بكل فروعها دراسة تغرى بعض الدارسين بالتخصص فى فرع من هذه الفروع كما أنها أصبحت لغة عالمية فى معظم المؤسسات الدولية .

وقد ولد الأستاذ توفيق الحكيم فى الحادى عشر من شهر أكتوبر سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وألف . فى قرية الدلنجات من أعمال إيتاى البارودى بمحافظة البحيرة .

وقد تعلم أبوه وانتظم فى السلك القضائى وكان من أثرياء الفلاحين . يملك ضيعة كبيرة ورثها عن أمه واقترن بسيدة تركية أنجب منها توفيقاً ، وكانت صارمة الطباع تعتز بعنصرها التركى أمام زوجها المصرى وتشعر بكبرياء لا حد لها أمام الفلاحين من أهله وأقاربه .

وقد عاش توفيق سنواته الأولى بين هؤلاء الفلاحين فى الدلنجات . ولكن هذه الأم عزلته عنهم وعن أترابه ولداته من الأطفال ، وأوصدت باب الاتصال بينه وبينهم كلما وجدت إلى ذلك سبيلا .

ولعل ذلك الحرمان من الاتصال بالعالم الخارجى جعل الطفل يرتد إلى عالمه الداخلى ، فيفكر ويلبس تفكيره أثواباً مختلفة . ويتخيل العالم الخارجى فى أوضاع شتى وتذهب خيالاته فيه كل مذهب دون قيد يقيده أو شىء يحول بينه وبين تنمية هذا الخيال .

ولما بلغ السابعة من عمره ألحقه أبوه بمدرسة دمنهور الابتدائية . وقد أتم فيها سنوات الدراسة وأتيحت له فرصة التحرر من وثاق أمه وحياة العزلة التى فرضتها عليه ، ففى المدرسة تلاميذ لكل منهم عاداته وطباعه وشخصيته التى يتميز بها عن غيره . وربما تخيلنا انطلاق صاحبنا وسط هؤلاء التلاميذ يمثل شخصيات المدرسين ويقلد بعضهم حين يدخل الفصل وحين يلقى درسه وحين يغضب وحين يُسَرّ بل ربما تخيلناه ، يقلد بعض أقرانه فيبالغ فى إظهار سمات بعضهم وعيوب الآخرين .

ولما أتم تعليمه الابتدائى رأى أبوه أن يرسله إلى القاهرة ليلتحق بإحدى المدارس الثانوية ، وكان له بها عمَّان يشتغل أحدهما مدرساً بإحدى المدارس الابتدائية . أما الثانى فكان طالباً بمدرسة الهندسة وكانت تقيم معهما أخت لهما . فرأى أبوه أن يسكن مع عميه وعمته ليساعدوه على التفرغ للدراسة ، وقد أتاح له بعده عن والديه شيئاً من الحرية ، فاتجه إلى العناية بالموسيقى وتعلم التوقيع على العود . ومع عنايته هذه اتجه إلى التمثيل وجعل يتردد على فرقه المختلفة ، ولعله كان يشبع رغبة ملحة فى داخله فى التزود باستطلاع كل ما حُرِمَهُ فى طفولته الأولى ، ولعله كان يجد من عميه وعمته ما يتيح له هذه الفرصة بالتغاضى عن تردده على فرق التمثيل بل ربما كان منهم من يصحبه إلى بعض هذه الفرق . خوفاً عليه ، أو رغبة فى مشاركته هذه المتعة .

وقد أتم تعليمه الثانوى على هذه الحال والتحق بمدرسة الحقوق وكانت مواهبه الأدبية قد أخذت تستيقظ فى قلبه وعقله . و رأى كثيراً من الشباب حوله يقدمون لفرق التمثيل مسرحيات يقومون بتمثيلها وعرضها على الجمهور ، وكانت الثورة المصرية قد اندلعت ووجهت المؤلفين والممثلين إلى العناية بالروح القومية وإذكاء نيران الوطنية فى النفوس . ولم يلبث توفيق أن ألف فى سنة (١٩٢٢) مجموعة من المسرحيات مثلت بعضها فرقة عكاشة على مسرح الأزبكية ، منها « المرأة الجديدة » و « الضيف الثقيل » و « على بابا » وهى فى جملتها محاولات ناقصة .

وكان آنذاك ما يزال طالبا بمدرسة الحقوق وقد تخرج فيها سنة (١٩٢٤) .

وزين لأبيه سفره إلى باريس لإكمال دراسته فى القانون ووافق الأب على رغبته ، وهناك أمضى أربع سنوات لم يعكف فيها على دراسة القانون وحده ولكنه فى إحدى رسائله المنشورة فى « زهرة العمر » كتب إلى صديقه :

أكثر من رسائلك يا أندريه فهى متعتى الوحيدة الآن فأنا محبوس فى حجرتى أستعد لامتحان الدكتوراه فى أول مارس القادم

وفى رسالة بعد هذه كتب إليه الآتى :

لقد لفظ القدر كلمته . إنه لايريد لى طريق القانون لقد رسبت فى ثلاث درجات ولم ترد لجنة المحلفين جبر النقص ، بينما وافقت لجنة أخرى على جبر أربع درجات لأحد أعضاء البعثة ، من هذا ترى أن القدر لم يرد أن يمد إلى يده كما مدها إلى غيرى ... ولم أهبط إلى حد الرسوب إلا فى علم واحد هو « علم المالية » .

وقد عكف توفيق مدة إقامته فى باريس على قراءة القصص وروائع الأدب المسرحى فى فرنسا وغير فرنسا وشغف بالموسيقى الغربية شغفاً شديداً واستطاع بما لأبيه من ثراء أن يعيش فى باريس عيشة فنية خالصة بين المسارح والموسيقى والتمثيل وهو فى أثناء ذلك يقرأ ويفهم وينسى ليتمثل ثقافات العصور الغابرة والحاضرة . واستقر فى ضميره أنه أعد ليكون أديب وطنه القصصى والمسرحى .. ورأى أوربا تؤسس مسرحها على أصول المسرح الإغريقى .فتحول إلى هذا المسرح يدرسه ويتقن درسه وما انتهى إليه من تطور على أيدى الغربيين المحدثين . كما أخذ يدرس القصة الأوربية ومدى تمثيلها لروح أقوامها وأحوالهم النفسية والاجتماعية ووعى ذلك كله وعيا دقيقاً . وأخذ يحاول كتابة قصة كفاح الشعب المصرى فى سبيل الحرية فكتب قصته « عودة الروح » ونشرها فى سنة (١٩٣٣) .

وفى هذه القصة صور الحياة المصرية وعرض المحيط الاجتماعى فى أسرة متباينة الأمزجة هى الأسرة التى عاش معها بالقاهرة

وقد ترجم كثير من مؤلفاته إلى لغات عدة منها الإنجليزية والفرنسية والروسية والإيطالية والأسبانية والألمانية والسويدية

ومُثل كثير منها على مسارح أوربا وقام بتمثيلها بعض كبار الممثلين العالميين

وقد كتب عنه الأستاذ الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « الأدب العربى المعاصر فى مصر » عندما تحدث عن التأليف المسرحى فقال :

وإذا تركنا المسرح إلى التأليف المسرحى وجدناه ينهض نهضة رائعة منذ العقد الرابع من هذا القرن إذ ظهر توفيق الحكيم فوثب به وثبة لم يكن يحلم بها كل من سبقوه فقد أرسى قواعده فى النثر كما أرسى هذه القواعد شوقى فى الشعر ، يسعفه فى ذلك ثقافة إنسانية واسعة وثقافة مسرحية دقيقة وتتزاوج الثقافتان مع روحه المصرية العربية فإذا لمصر كاتب مسرحى من نوع إنسانى بديع .

وتلقى مسرحياته رواجاً واسعاً لما تحتفظ به من أصول الفن المسرحى وما تحتوى من عناصره ومقوماته فهى أعمال مسرحية تامة لايقلد فيها توفيق كاتباً غربيًا بعينه يستمد من مواهبه ومن بيئته وروحه المصرية العربية . وحقًا أنه يغلِّب على شخوصه التفكير الفلسفى التجديدى ولكن هذا مذهبه . وهو يدل دلالة واضحة على رقى حياتنا العقلية فقد أصبح لكتابنا أو لبعضهم على الأقل فلسفة تستهوى العقول والقلوب وتعتمد فلسفة توفيق على الإيمان بقصور العقل والاتجاه نحو الروحيات التى تجرى حياة الشرقيين وأعماق نفوسهم .

ثم كتب عنه فصلا خاصاً به بسط الحديث فيه عن عدد من مؤلفاته ، وذكر كثيراً مما يتصل بحياته ونشأته والمدارس التى تعلم فيها ، والمعيشة التى كان يخوض غمارها . وقد استعنت بهذا فى كثير مما قدمت ومما أخرت .

ولقد جعلت أمامى حين شغلت بالكتابة عن توفيق قول الشاعر :

فلا تُوغِلنَّ إذا ما سَبَحْتَ

فإن السلامة فى الساحل

وقد تصفحت جملة من مؤلفاته فوجدته صنيعة مصر أخذ منها وأعطاها .

فأخذ من تقاليد المجتمع الذى عاش فيه وملامحه وأخرج من ذلك روائع الفن القصصى والمسرحى .

لقد ورث عن أبيه احترامه الشديد لوالده فما كان يلقاه وهو فى ذروة العمر إلا بتقبيل يده والإصغاء إلى نصائحه .

وهذه صيحة من صيحاته تعلن عن تمسكه بحب الخير للإنسانية كلها فنقرأ له فى (سلطان الظلام) :

وإنى أدعو وسأدعو دائماً إلى القوة الفكرية والمعنوية التى تنتج القوة المادية الخصبة الخيّرة الكفيلة بتنمية مواهب الإنسان وفضائله وضمان حرياته وحقوقه وتمكين النوع البشرى من الاستمرار فى الرقى . فى سبيل هذا وحده أعيش وأعمل ، كما يعيش جنود الفكر والروح ويعملون ، وأنى أعلن هذه العقيدة ولى الشرف العظيم أن أموت يوماً من أجلها وأن أغرق معها إذا غرقت فلا خير فى صاحب فكرة أو عقيدة لايموت بموتها .

والكاتب الحر هو الحارس الأمين لجواهر الفضائل الإنسانية .

إن الخلود هو لمن يعمل لخير الإنسانية كلها ولرفعة الجنس البشرى كله .

فلو اتفق قادة العالم المجتمعون حول موائد السلام وقادة الشعوب والمجتمع والفكر الباحثون فى مستقبل الإنسانية على أن يحطموا أولا مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » لجاءت النتائج باهرة فإن مناورات الساسة ستختفى وأساليب الكذب والمداراة والنفاق والخداع ستزول ولن يبقى أمام الجميع غير طريق واضح نظيف. إذا أوصلنا إلى الخير العام فهو الهدف ؛ وإن لم يوصلنا إلى إصلاح سريع فحسب العالم أنه سار فى طريق خال من الشر ... ويكون شعاره : « الغاية النبيلة فى الطريق النبيل » .

وفى حديثه عن خديجة أم المؤمنين وزوجها الرسول الكريم يسمو خياله فيقول

وإن لشعورها نحوه جذوراً ممتدة فى أغوار قلبها امتداد عرق الذهب فى المنجم العميق .

وفى حديثه عن الأدب والأديب يقول :

فإن الأدب شىء جميل وهو جنة لا صخب فيها وهو معبد لا تدخله الأحقاد .

ولخيرٌ للأديب أن يموت جوعاً من أن يبيع روحه لشيطان السلطان .

وفى سنة (١٩٣٨) انتقد الألقاب بشدة ، ودعا إلى تغيير النظرة إليها . كما دعا إلى خلع الطربوش ، وأدحض دعوى أنه الشعار الوطنى .

وقد ختم تقديمه لمسرح المجتمع بقوله :

أما بعد فإنا نملك الجهد ولانملك الثمر .. والجهد الذى نملكه قد أعطيناه . والثمرة لا يمنحها غير الله .

ولـمَّا رأى الاهتمام المخلص بالدين أخرج « مختار تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن » فى مجلد واحد للتيسير على الناس وقد أبقى فيه على التحليلات النحوية واللغوية والاستشهادات الشعرية لأن معرفة اللغة العربية بنحوها وإعرابها وشعرها شرط أساسى فى تفسير القرآن العربى المبين .

وقد شغل الأُستاذ توفيق الحكيم عدة مناصب فى مصر وخارجها ، فعين وكيلًا للنائب العام فى الأرياف لمدة خمس سنوات تنقل خلالها فى عدة مراكز وأتاح له عمله فى النيابة أن يكتب « يوميات نائب فى الأرياف » . وقد وصف فى هذه اليوميات حيـاة الرِّيف وصفًا دقيقًا وتحدث عن سذاجة الرِّيفيين وعن جهلهم بالقانون وتعسف الحكام فى حكمهم ، كما تحدث عن عيوب النظم الإدارية والقضائية ، والتشريعية وهو فى كل ذلك يعرض الأَحداث والأَشخاص عرضًا واقعيًّا حيًّا فى سخرية مرة ، يوازن فيها بين المثالية التى يجب أن تكون وواقعية الفلاحين التى يرثى لها .

ثم انتقل مديرًا للتحقيقات فى وزارة المعارف (التربية والتعليم) ثم مديرًا للإرشاد الاجتماعى بوزارة الشئون الاجتماعية ثم ترك العمل الحكومى ليتفرغ للعمل الأدبى . ثم عاد بعـد ذلك إلى خدمة الحكومة وكان الدكتور طه حسين وزيرًا للمعارف فعينه مديرًا عامًا لدار الكتب المصرية سنة (١٩٥١) ثم عين عضوًا متفرغًا بالمجلس الأَعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة (١٩٥٦) حتى بلغ الستين

وقد اختير مندوبًا دائما فى اليونسكو بباريس عن الجمهورية العربية المتحدة

في سنة (١٩٥٩)، ولكنه فضل العودة إلى عمله بالمجلس الأعلى عضوًا غير متفرغ .

ولقد قدرته الدولة حق قدره ومنحته وسام قلادة الجمهورية تقديرًا لخدماته للأدب والفكر سنة (١٩٥٨) م .

وفاز بجائزة الدولة التقديرية في الآداب عام (١٩٦٠) من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وهو عضو في المجالس القومية المتخصصة للثقافة والإعلام . وكذلك في المجلس الأعلى للثقافة ، كما أنه عضو في مجلس إدارة جريدة الأهرام وقد احتفلت الجريدة في أكتوبر سنة (١٩٨٣) بعيد ميلاده الخامس والثمانين .

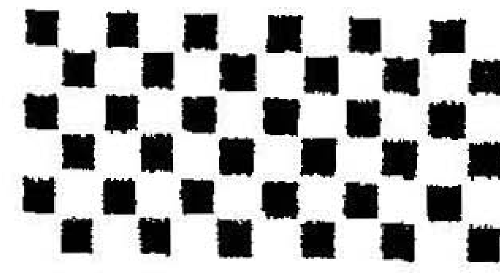
ولعل خير ختام الحديث عن توفيق ما سجله عنه الأستاذ الدكتور مهدي علام نائب الرئيس . في كتابه « المجمعيون في خمسين عامًا » فقد قال في ترجمته :

ويشمل نشاط الأستاذ توفيق الحكيم مختلف الأنواع الأدبية في الرواية والقصة القصيرة والمقالة . وهو يعد في طليعة الرواد الذين عنوا عناية خاصة بالأدب المسرحي ويتميز إنتاجه بمعالجة الأفكار الوطنية مما له أثر بعيد المدى في إذكاء روح الكفاح وتنمية الوعي القومي ...

مد الله تعالى في عمره وحفظ عليه صحته .

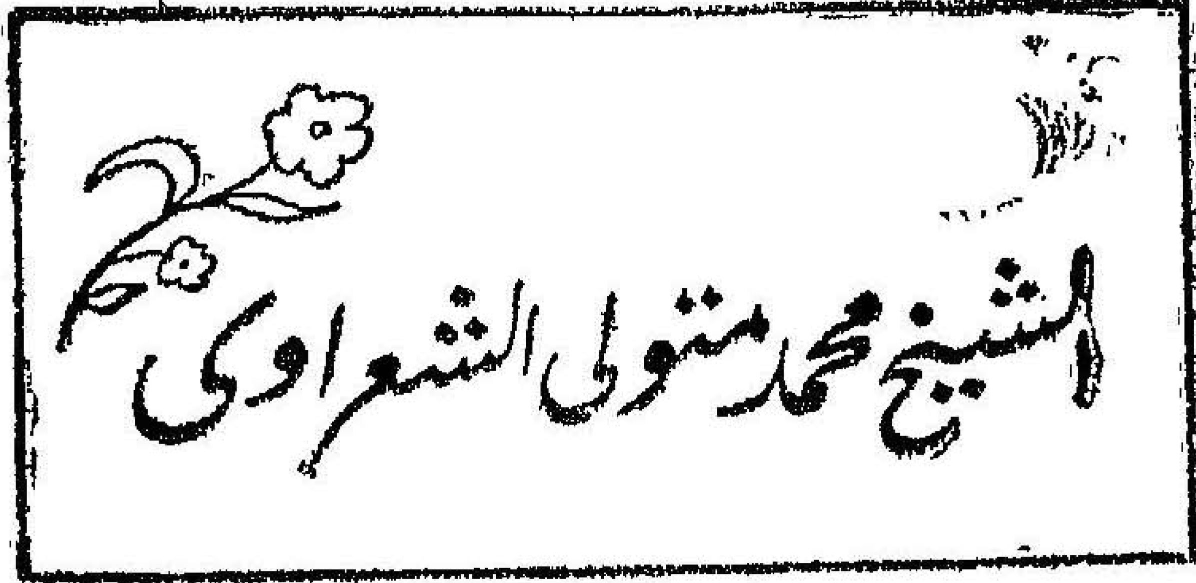
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمين السيد
عضو المجمع



كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

فى استقبال فضيلة الأستاذ



السيد رئيس المجمع

السادة الزملاء الأَجلاء

السادة الضيوف

من ذا الذى يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار حبًّا له وشغفًا به . ليغوص فى أَعماقه القدسية فيظفر بلآلئه النادرة حلوة براقة ، ليس لها أغشية ولا أَصداف نور لألاءٍ وإشراق وهاج . ثم هو لا يختزن لنفسه جوهرة ولا يستأثر بكريمة ، بل يجعل كل أُولئك نهبى بين القوم الذين أَعوزهم نور القرآن وضياؤه ، فهبوا مسارعين إلى ساحته المسماحة ، يظفرون بها على طرف الثمام ، وعلى ما هو أَقرب من حبل الوريد .

من ذا الذى يجلس القوم أَمامه صاغين منصتين كأَن على رءُوسهم الطير يتسابقون إلى مجلسه ويتسارعون ، حراصًا على اقتباس علمه ، واغتنام إرشاده ، فى كل صغيرة أو كبيرة من أُمور الدنيا أو الدين ما يدع شاردة يشير إليها الكتاب الكريم ، أو واردة تدل عليها ألفاظه المصطفاة ، وأساليبه المنتقاة ، إلَّا حام حولها أو نطق بها ، أو أَوضح المراد منها باللفظ الميسر ، والعبارة السخية من غير حجاب أَو ستار فيظل القوم عنده فى يقظة فكرية ، ونهم علمى ، حتى ينتهى اللقاء ، فيصدرون عنه وقد غنموا الكثير من العلم ، وظفروا بالعميم من الفضل . ولا يزال بهم الظما إلى متابعة لقائه ، وموالاة حضرته ، أَملًا فى المزيد من الرى ، وطمعًا فى مضاعفة الغنائم التى لا ينضب معينها ، ولا يأْسن ماؤها . وهم إذا ما استبدت بهم البهجة ، أَو أَدركتهم نشوة المعرفة ، رفعوا أَصواتهم

بالتكبير الرفيع ، ما يملكون غيره من إشارات الرضا ، وأمارات القبول ، كما كان يفعل السلف الصالح إذا أذنوا لدروس أئمتهم فى بيوت الله وأعجبهم كل العجب ما ينشرون عليهم من بديع التفسير والتبيان ، أو بالغ الوعظ وغزير الحكمة .

إنه مجلس يحرص الناس فى دورهم ، وفى جميع مواطنهم وملتقياتهم على الاستماع إليه . والإنصات له . لعلهم يفلحون .

قد عود القوم أثر صلاة الجمعة من كل أسبوع أن يلتقوا حول أجهزة الإعلام ، ولو كانوا فى برية أو فى صحراء ليستمعوا إلى حديثه ، أو ينصتوا إلى عباراته ، أو يستمتعوا بإشاراته الحبيبة ، أو بسمته الوقور حين يرى على وجوههم الرضا ، أو حين تلمع له البارقة من وحى معانى الكتاب جلية صادعة ، فإذا الإعجاب ، وبرد اليقين ، ونسمة الإيمان تعلو وجوههم وتخامر سرائرهم ، فى سعادة ورضوان ، لا تعدلهما سعادة أخرى أو رضوان .

وعهدى به وقد جلس مجلس الشيخ المتواضع المخلص لعلمه . الحدب بتلاميذه ومريديه . الحريص كل الحرص أن يعو كل ما يفوه به من تفسير لألفاظ الكتاب يصل به إلى جذور اللغة وأصولها . فى صدق ودراية تامة وتيسير . ومن جلاء لمعانيه ومراميه . يطرق فيه كل الأبواب ومختلف الوجوه . والمنصتون إليه ضروب من الناس على درجات شتى من الإدراك والفهم . فإذا الجميع سواء فى المتعة وفى تحصيل الفائدة : يرتفع بمستوى الضعيف منهم ويأخذ بيده . ويماشى القوى آخذًا بيده كذلك . حتى يأنس الكل إلى جواره ويأوى إلى ظلاله . وليس فى يده رف منشور ، أو كتاب مسطور . إلَّا صحبة لمصحف كريم من المصاحف . يتابع ألفاظه وينظم بها عقود كلامه . فى حرص شديد . وإتقان سديد . ومنهج لو اجتمع أساطين جمع من أساطين التربية ليبتدعوا أروع منه أو أكثر امتيازًا لأعجزهم ذلك وما قدروا عليه . فهو الأستاذ الذى يحرك تلاميذه الفينة بعد الفينة والحين بعد الحين . ثم يبعثهم ليقولوا هم بأنفسهم ما يريد هو نفسه أن يقوله . وليجيبوا هم بأنفسهم عمَّا يطرح عليهم من أسئلة يبتغى لها جوابًا . وليس وراء هذا من

غاية تصل إليها الأئمة . أو تنتهى إليها الشيوخ .

وعهدى به منذ سنوات وسنوات يجوب آفاق البلاد العربية والأوطان الإسلامية ، وسائر بلاد الدنيا من تخوم الصين إلى الهند والباكستان وبلاد الملايو إلى ما بين النهرين إلى جزيرة العرب إلى ديار مصر إلى بلاد المغرب جميعها إلى أوربا إلى أمريكا مصطحبًا معه كتاب الله وحده ، داعيًا إلى دين الله فى غير ما ضجيج ، أو زهو ، مظهرًا نوره فى غير ما تكلف ، معلنًا لما قد يخفى . فى غير ادعاء ، ومبينًا لما قد يشكل أو يصعب تأويله فى لين ويسر ، مؤديًا رسالة العالم الفاضل ، منفقًا لزكاة العلم إنفاقًا واسعًا . فى رضا ، وفى سخاء وبذل . وليس له وطن يلتزمه التزامًا ، أو موضع يتخذه مسكنًا لا يبرحه إلَّا الوطن الذى يطلبه فيه العلم أو يناديه ، أو يسعى إليه فيه المريدون ، أو يسعى هو إليهم ، ليزيد غنمًا من رضوان الله الذى هداه إلى هذا اللون الشريف من هداية الناس .

ولقد حدثنى من أعرفه تمام المعرفة من عقلاء إخواننا المسيحيين الأفاضل أنه مواظب تمام المواظبة على الاستماع إلى أحاديثه ، والاستمتاع بعلمه وجمال محاضرته ، حريص كل الحرص ألَّا يفوته شىء من دروسه التى تلقى منه كل تقدير ، ويحظى منها بكل ما يستثير الإعجاب .

ولعل مما يمتاز به هذا الشيخ الجليل ، ويتسامى بمقداره ، ما يتحلى به من أروع حِلَى الإسلام الحق ، وهو التسامح المعقول فى كل ما يجيزه الشارع من تسامح ، دون ما تعصب مثير ، أو تفريط جامح .

« لكم دينكم ولى دين » .

فهو فى عباراته وفى تفسيره يتوخى صحيح القول ، ولب المعنى القرآنى العدل الذى يسطع نوره سطوعًا فيبهر المنصتين الذين لا يملكون إزاءه إلَّا الهتاف بالتكبير المتوالى . وما عهد الناس فى عصرنا هذا من متصد لتفسير كتاب الله ، ينال هذا القدر من الإعجاب أو يثير تلك النشوة الفكرية أو الدينية ، التى تبدو واضحة على وجوه المريدين ، أو تنبض بها جوانحهم . إنها رضا الله الذى يضفيه على من أحسن إبلاغ بلاغه ، أو أحسن تبيان بيانه .

وبحسبي وبحسبك أن تشهد مجلس درسه ، وتبلو حسن الإصغاء إليه ومتابعة ما يلفظ به من قول ، وما يصحب ذاك من حركة معبرة أو إشارة لطيفة ، لهما فعل السحر . وتأثير التنبيه والإيقاظ . فى غير ما ضجيج مفتعل ، أو إزعاج مُمِلّ

إن الشيخ الشعراوى هبة إلهية لم تخص مصر به وحدها إنها هبة عامة طافت بلاد الدنيا المسلمة . كما اقتحمت بلاد الشرق والغرب غير المسلمة أيضًا ، كما اقتحمت بلاد أمريكا . دعوة إلى العمل الصالح ، وهداية لمن ضلت بهم السبيل إلى المنهج القويم السليم . وفى أثناء ذلك يظهر الجهد الصادق ويستعلن . فى نشر البيان العربى ، وخدمة اللغة العربية الكريمة ، من خلال الدروس الدينية التى برع فيها أيما براعة . وفاق بها وعلا كثيرًا ممن تصدى لمثل ما تصدى له من جهاد .

وبحسبي هذا القول فى كشف جهود الشيخ لأعود إلى شىء من الضبط. قد يخل به محاولة التعبير المسهب عمَّا أُحس به نحو الشيخ ، وما يحس به كثير ممن يقدره حق قدره . ورب اطناب ينزل بالبيان إلى ما يقارب العىّ أو يدانيه .

ولأمر ما فاز الشيخ بعضوية هذا المجمع مجمع الخالدين فى الذكر . هذه العضوية التى اغتبط هو بها ؛ كما اغتبط بها أصدقاؤه ومريدوه ومقدور فضله .

كان مولد الزميل الشيخ فى شهر ربيع الثانى من سنة ١٣٢٩ الموافق لشهر إبريل (نيسان) من عام ١٩١١ تحت سماء قرية يسميها يافوت فى معجم دقدوس ، ويذكر أنها فى كورة الشرقية ، وهى التى تسمى فى يومنا هذا دقادوس فى كورة الدقهلية . وقد زيدت هذه القرية فخرًا بمولده فيها وانتمائه إليها .

وحفظ القرآن الكريم فى قريته كما يحفظ ولدان القرى كتاب الله فى صدور صباهم ، حتى إذا أتقنه حفظًا وتلاوة شد رحال السفر إلى معهد الزقازيق الدينى : الابتدائى . ثم الإعدادى . ثم الثانوى .

ومما يذكره له التاريخ أن الشيخ فى صدر شبابه لم يكن منزويًا فى غمار طلاب الأزهر ، بل كانت له ضلع كبيرة فى حركاتهم الثورية التى كانت تتطلبها الظروف فى ذلك العهد : فهو يشترك فى

حركة الثورة التى قامت للمطالبة بعودة الشيخ الإمام المراغى إلى مشيخة الأزهر فى سنة ١٩٣٤ م . ويشارك فى ثورة الطلاب فى تلك السنة أيضًا ، وهى السنة التى استشهد فيها جماعة من طلاب الجامعة ؛ وعلى رأسهم الشهيد عبد الحكيم الجراحى وقد حاولت لجان الطلبة أن تقيم حفلًا تكريماً لهؤلاء الشهداء فحظرت حكومة ذلك العهد إقامة الحفل فى القاهرة حظرًا تامًا ، ولكن طلبة معهد الزقازيق استطاعوا من وراء ذلك أن يقيموا حفلًا كبيرًا بهذه المناسبة وانبرى الشيخ من بينهم ينشد قصيدة له فى هذا الحفل معنونة بعنوان : (دم الشهداء) كان من مطلعها هذه الأبيات :

نداء يا بنى وطنى نداء

دم الشهداء يذكره الشباب

وهل ننسى الضحايا ، والضحايا

بهم قد عز فى مصر المصاب

شباب بَرٌّ لم يفرق وأدى

رسالته وها هى ذى تجاب

وكان من عواقب مشاركة الشيخ فى هذه الحركات الثورية أن تناله عقوبة الفصل من الدراسة التى تناولت بعض طلاب الأزهر المرموقين . ولكن سرعان ما تستقر الأمور بعودة الإمام المراغى إلى مشيخة الأزهر فى تلك السنة ، فتنتهى هذه الأزمة ويستمر الشيخ فى متابعة طلب العلم على اختلاف نونه فى معهد الزقازيق حتى إذا روى من ذلك كله ، وشفى غليل نفسه وضماً روحه الطيبة نراه يشد الرحال مرة أخرى إلى العاصمة القاهرة ليلتحق بكلية اللغة العربية فى أوائل عهدها فى سنة ١٩٣٧ يختارها لنفسه من نفسه ، حبًا فى اللغة العربية التى هى الأساس الأول بحقٍ لفهم كتاب الله وسنة رسوله .وفى أثناء ذلك يختار رئيسًا عن جدارة واستحقاق لاتحاد طلاب الأزهر فى سنة ١٩٤٠ حتى إذا حصل على شهادة العالمية فى سنة ١٩٤١ سعى لينال إجازة التدريس بعدها فى سنة ١٩٤٣ ويختاره معهد طنطا الأزهرى ليقوم بالتدريس فيه ، ثم يظفر به معهد الإسكندرية حينًا . وإذا به يعود إلى معهده القديم

بالزقازيق مدرسًا قديرًا بعد أن كان منذ حين فى صباه طالبًا قديرًا .

وبعد أن تمضى سنوات سبع ، أى فى سنة ١٩٥٠ تظفر به المملكة العربية السعودية ليكون أستاذًا بكلية الشريعة التى أنشئت بها وكانت نواة لجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة . حتى إذا كانت سنة ١٩٦٠ عين وكيلًا لمعهد طنطا وفى السنة التى تليها يعين مديرًا للدعوة الإسلامية بالأزهر ، حتى إذا تولى الشيخ حسن مأمون مشيخة الأزهر اختاره مديرًا لمكتبه فى سنة ١٩٦٤ م . وفى سنة ١٩٦٦ يتولى رياسة بعثة الأزهر فى الجزائر . ويمنح وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى ثم يعود أستاذًا زائرًا بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٠ ثم رئيسًا لقسم الدراسات العليا بالجامعة سنة ١٩٧٢ ثم يختار وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر فى سنة ١٩٧٦ فى وزارة ممدوح سالم وينال وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى . ثم يعين عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٩٨٠ م . وفى السنة نفسها يعين عضوًا بمجلس الشورى ولكنه آثر الاعتذار ولم يحضر مجلس الشورى معللا ذلك بأن دوره الأساسى نشر الثقافة الإسلامية والعمل على تعميقها فى نفوس المواطنين .

وفى مناسبة احتفال الأزهر بالعيد الألفى فى سنة ١٩٨٣ ينال وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى . ولعل أعلى وسام حصل عليه الشيخ ما ناله من تقدير إجماعى ومن وزن علمى لا مراء فيه ولا مكابرة . وبحسبه أن يكون رفيقه الأوحد كتاب الله يستوضح أوراقه وآياته ، ثم ينهمر فى البيان كما رأيت الغيث يهمى مدرارًا فى الأرض الجدبة فإذا الروض والزهر ، وإذا الأكمام والثمر .

وبحسبه فى خدمة القرآن والعلم أن يخرج من صفو ماله فى كل عام قطعًا ضخمة لإعانة طلاب العلم ، وتشجيعًا لحفاظ القرآن الكريم .

بارك الله فى حياته وفى عمله الصالح ، ومرحبًا به وأهلًا . بين زملائهم غاية فى الفضل . ومثل عال فى الرجاحة والنبل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد السلام هارون
الأمين العام للمجمع

كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى
فى استقباله عضوا بالمجمع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

سيدى الرئيس ، سيدى النائب ، إخوانى الأعضاء ، سيداتى وسادتى المدعوون .

بسم الله الرحمن الرحيم . أحمدك ربى وأستعينك ، وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد ، وبعد . فما أسعدنى بهذا اللقاء ، ولا أنكر أبدًا أنى فرحت به ، فرحًا على الحلقات :

فرحت به توشيحًا لى ، وفرحت به ترجيحًا ، وفرحت به ترسيمًا ، وفرحت به استقبالًا ، وكيف لا أفرح ، وقد شاء الله أن يختم حياتى بتقدير هو خير ما أعتز به ؛ لأنه تكريم نشأ عن إلحاق لا لحوق ، والإلحاق استدعاء ، والاستدعاء براءٌ من الاستجداء ، والإلحاق بسرية تصويت وانتخاب ليس نتيجة لجهر نفاق ولا لطرق أبواب . ومن أولى بهذا من مجمعنا الموقر الذى شاء الله له أن يجمع الصفوة من عباقرة الأمة ، وموهوبيها ، وشاء أن يجمعهم بعد نضج ، هذا النضج يعطى ثمرة ما مضى بغير دخائل تدفع إلى غير مستساغ لأننا قد شبعنا من كل شىء ، وبقى لنا أن نشبع ملكة النفس استعدادًا إلى لقاء الله .

والحق أننى ما كنت أنتظر أن يقصم ظهرى بهذا الاستقبال ، ولكنى أسأل الله سبحانه أن يعاملنى بنية تدفع الغرور عنى بما سمعت . فقد شاء أدبهم أن يقولوا ، ولكن شاءت عناية ربى ألّا أزهو وإن كانت النفس البشرية قد يعبر بها شىءٌ من الغرور ، فإنى أدعو بما دعا به سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطنى فيه ما ليس لك » .

ويعلم الله أنى ما استقبلت توفيق الله لى فى أى شىء يقال لأننى أعلم أن اليقال قد أعطت الثمن فى دنيا عاجلة فانية ، وأنا لا أحب لعملى إلّا إغلاء ثمنه ، وإغلاوه لا يكون إلّا من كريم هو الله .

وإنى حين أستقبل هذا الاستقبال أدعو الله ألّا يكون ذلك معجل جزائى عمّا وفقنى

الله فيه ؛ لأنى أريد أن أتناوله من يده تناولًا باقيًا خالدًا .

ويعلم الله أنى حين بشرت بهذا الإلحاق سجدت لله شكرًا إن كنت محل تقدير هذه الصفوة من نبغاء الأمة وفحولها وأصحاب المواهب فيها . وآمنت بعد ذلك أننا فى خير دائم . وأننا لن نخلو من هذا الخير أبدًا ما دام فينا كتاب الله ، وإنى حين أحيي كل خطوات هذا اللقاء ، لا أنسى أبدًا حين أحييكم أن أحيي الفكرة فى ذاتها حينما نبتت فى رأس مواطن موهوب أستطيع أن أقول فيه : إنه متن موجز لما عليه المجمع الآن ، رحم الله الطهطاوى حين أعلن ما أعلن وصرح بما صرح من ضرورة تحديث اللغة وعصرتها تحديثًا يتسع لمدنية الحياة وحضارة العصر . فقد صحح وراجع وألف وترجم واشتق . . وعرّب ، فأدى مهمة هى ما تؤديه المجامع الآن

رحمه الله رحمة واسعة .

ولا أنسى أيضًا من جاء بعده فأعطى اللغة العربية نهضة تدفع عنها ما كان قد أصابها من ركاكة الأداء . ذلك هو الإمام محمد عبده .

ولا أنسى له أنه أنشأ بنتًا للأزهر لتصقل علم الأزهر صقلًا يستميل آذان الشباب وقلوبهم فأنشأ دار العلوم . الكلية التى أدت ما أدت فى خدمة اللغة العربية . ولا أنسى المحاولة البكرية فى مجمعه وإن كانت لم تعرف الحياة . فإن الله يجازى على النيات قبل أن يجازى على الفعل .

ولا أنسى أيضًا المغفور له عبد العزيز جاويش الذى عقد ندوة دار العلوم وظلت نصف شهر تبحث فيما تبحث فيه المجامع الآن .

ولا أنسى أيضًا المغفور له أحمد لطفى السيد فى مجمع دار الكتب وإن كانت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ لم تمكنه من أن يظل كما أراد . إلى أن شاء الله أن يولد مجمعنا فى سنة ١٩٣٢م بمؤسسين ثم عززوا أولًا . وعززوا ثانيًا وعززوا ثالثًا ، وعززوا بالأقطاب اللغويين من أمة العرب وإنى لا أزال أذكر أن العشرة

الطيبة التى عُزِّز بها المجمع الأول كان المستقبل لها هو أُستاذى الدكتور إبراهيم مدكور ، الذى عرفنا له فى تاريخ المجمع شيئًا كثيرًا ردًّا على استقباله واقرؤوه . واستقبالًا للعشرة الطيبة واقرؤوه أيضًا . واستقبالًا لكل تعزيز من المصريين ومن العرب ، واقرؤوه أيضًا ، واقرؤوا له العجيب فى وفاته حينما تقرؤون له . لا فى الاستقبال ، ولكن اقرؤوا له فى التوديع . كيف استطاع أن يجمع مع بسمة الاستقبال دمعة الترجال ، شىء تعتز به اللغة .

وإذا كنت قد أحببت أن أمد التحية إلى أصولها وإلى بذرتها ، فإننى أيضًا أسأل الله أن يغفر لى حين أدعو لغير المسلمين ، الذين أسهموا فى هذا المجمع . أسأل الله لهم ماذا ؟ أنا لا أقول المغفرة . فتلك لا أملكها ، ولكنى أسأل الله أن يخفف عنهم كما خفف عن أبى لهب بفرحته برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإنى حين أريد أن أتكلم عن سابق أو عن أبى المجمعى فإنما أتكلم عن صديق صار بعد أن صيرته أستاذًا لى ، لأننا كنا نَشْدُو فى الشعر جماعات وكنا ننظر إليه – رحمه الله – نظرة الرائد لنا ، فلما جئنا مصر التففنا حوله ولذلك لن أقول مولده فى كذا ولا عُيِّن فى كذا ولا تقلد كذا ، ولا أخذ أوسمة ونياشين ولكنى أتكلم عنه بما أعرفه أنا عنه ، ويعرفه إخوانى الذين التفوا حوله .

لقد كان رحمه الله مجمعى الفطرة ، أذكر أننا اجتمعنا فى كازينو طلعت بباب الخلق . الأُستاذ محمد عبد الغنى حسن « شاعر الأهرام » وحسبك أن يأْخذ هذا اللقب شاعر قارب فى المعاصرة أمير الشعراء شوقى وقارب فى المعاصرة شاعر النيل حافظ ، ومجد مصر فى نيل وفى هرم ، فلم يبق إلا أن يكون شاعر الأهرام .

خذوا وضعه الأدبى من هذا الوضع التكريمى .. جلسنا فى الكازنيو وإذا به يفتقد صديقنا المغفور له الأخ مخيمر ، وكان شاعرًا ، فقال الأُستاذ كامل أبو العينين أطال الله بقاءه : تَلْفِنْ مُخَيْمَرا .

فقال الأُستاذ كامل : أتلفنه أم أتلفن له (فقال : تلفنْه ؛ لأننى أريد أن أستدعيه إلى هنا . أما « تلفن له » فَكَلِّمْه آية

مكالمة مع بقائه فى مكانه ! شىء عجيب ! فقال أخى وزميلى الدكتور حسن جاد — أطال الله بقاءه — فإذا كنا قد أخذنا من التلفون [تَلْفَنَ] وصارت على وفق لغتنا فلماذا نأخذ من التلغراف [أبرقنا وبرقية] هى تؤدى المعنى بالوصف ، ولكنها لاتؤدى المعنى بأصلية الاشتقاق [تلفن]تعطى هذا ، فقال : ماذا نقول ؟فقال صديقُنا الدكتور عبد العظيم الشناوى نقول : تَلْغفْه ! فماذا قال الدكتور حسن جاد ؟ قال : لا ، قولوا : تَغْرفْه ؟ ؟ ولماذا ؟ قال لأن اللام من حروف الزيادة فحذفها أُولى من حذف غير حرف من حروف الزيادة فصفق له المرحوم محمد عبد الغنى حسن ، وهنا تدخل زميلنا فى الأَدب والشعر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فقال : هذا ليس بجديد فى اللغة لأَن هذا أمر قالته العرب وقاله الإمام علىّ كرم الله وجهه — حينما قال : مَهْرجُونا أى أطعمونا طعام المهرجان . فقال : مهدى مصطفى : أقال مهرجونا،أم نيرزونا ؟ قال المغفور له محمد عبد الغنى حسن : لقد قالهما معاً . قال هذا يوم المهرجان وهذا يوم النيروز ! موسوعية !

لهذا كنت أحرص دائماً على لقائه وكان الله لى أن أذهب إلى كلية الشريعة بالسعودية جاء المغفور له الدكتور طه حسين رئيساً للجنة الثقافية المنبثقة من الجامعة العربية وعقدوا اجتماعاً بمكة المكرمة . وقمت لتكريم الدكتور طه حسين . وكان معه المغفور له الأستاذ أمين الخولى وكان لى شرف أن أُؤدى كلمة المصريين فى تحيتهم وقد آثرت أن تكون شعراً . فلما وصلت إلى الكلام عن طه حسين قلت له فى القصيدة :

لك فى العلم مبدأ طحسنىّ
سار فى العالمين مسرى ذكاء

جعل العلم للرعية جمعا
ء فشاع كالماء بل والهواء

وقلت بالنسبة لوجود أمين الخولى وبالنسبة لوجود طه حسين
يا عميد البيان لا تحرم الأز
هار عوناً من صائب الآراء

وأناديك يا أمين وهـــذا
بعض ما يرتجى من الأمناء

قد غُذيتم من دَرِّه فاذكروهُ
ذاك بر الأَبناء بالآباء

واصرفوا الناس عن مسار جبال
فى مزايا شكلية الأَزياء

فكأن النهوض لا يترقى
بين حَدَّىْ عمامة وقباء

شغلوا بالإِناء والبحث أولى
ياحماة العلا بما فى الإِناء

فلما وقف المغفور له الدكتور طه حسين ليعلق على القصيدة استهل تعليقه بقوله :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ثم تكلم طويلا فلما جئت إلى هنا أخبرت المغفور له محمد عبد الغنى حسن ، وقلت له : ما عنده أكثر من ذلك ، وأستاذنا الأُستاذ أمين الخولى ، فكان الأُستاذ أمين الخولى قد كتب مذكرة طويلة أعطاها للأَخ الدكتور الزيات زوج كريمة المغفور له طه حسين ، وكتب كثيراً منها فى مجلة المصور لهذا . فلما جئت له بهذا وأننى قلت : طحسى وماذا قال طه حسين ، وماذا قال أمين الخولى ، قال : هى إذن بنت [تَلْفَنَتِى] فقلت له : نعم . وبعد ذلك عُقِدَتْ وحدة عسكرية بين مصر وسوريا والسعودية ، وكان ذلك فى مكة ، وأقيمت حفلة تكريم ؛ لأَن رئيس الوفد كان المغفور له عبد الحكيم عامر ، وكان رئيس الوزارة إذ ذاك هو الدكتور محمود فوزى ، فلما وقفنا لنحييهم أيضاً تكلمنا أيضا فى قصيدة إلى أن وصلنا إلى مسأَلة فلسطين فلما سمعوا منى :

يا بنت بلفور جاءت من سِفاح هوًى
من بين أُمَّيْنِ لم ترزق كريم أَب

ثم عرضت ببريطانيا وأمريكا فقلت :

فقل لساسة إمريطانيا انتبهوا
فقد عرفنا خبئ المكر فى (؟؟)

قام المغفور له الدكتور محمود فوزى وتكلم عن هذا البحث ، وأفاض فى الكلام عنه ، ونشرت ذلك جريدة الأَهرام ، التى غطت هذا الاحتفال فجئتُ أيضاً وأخبرته فقال : لا تزال أيضاً تأْخذ من تلفنتى ، فقلت وبارك الله فيك

وآخذ منك الكثير ! إذن فالمغفور له — سلفى — كانت له موهبة مجمعية من قديم قبل أن يُرَسَّمَ فى المجمع ، إذن فالذين رشحوه كانوا أصحاب فراسة إيمانية ، والذين رجحوه كانوا أصحاب فراسة إيمانية .

وإذا كان الشيء الذى يتميز به سلفى غفر الله له ورحمه — إنما هو الأدب الإنشائى والأدب الوصفى ، لأنه له فى الأدب والنقد كثير ، وله فى التراجم والسير كثير وله فى التاريخ كثير ، وله فى الإسلاميات كثير ، وله فى الترجمة إلى العربية كثير ، ولكن القمة التى كانت له إنما هى القمة الأدبية الشعرية التى تتعرض للأدب الإنشائى . ومن السهل أن يجلس الشاعر ليُحَبِّر قصيدة فى أى معنى ، يعيش فيها مدة بخواطره ثم يحبر فيها ويحذف ويثبت ، ولكن الأعجب من هذا أن يكون مرتجلا للمعانى كنا نجلس أنا وهو والمغفور له الأستاذ عوضى الوكيل والدكتور حسن جاد والأستاذ عبد المنعم خفاجى والأستاذ مهدى مصطفى ، فمرت فتاة ونحن جالسون ، فقال المغفور له الأستاذ محمد عبد الغنى حسن : أنا سأقول ، ومن يُجيز؟ ... أكون على طريقة جديدة . لا الإجازة كنا نعرفها أن يقول الشاعر شطرًا من بيت . ثم يجيز الآخر الشطر الثانى . فقال : لا . أنا أُريد إجازة جُمَل ؛ لأننى شبعت من إجازة الشطر ، وشبعت من المطارحة مع أُستاذى المغفور له الدكتور الحوفى . ولكنى أُريد إجازة جُمَل : فإن استطاع كل واحد منكم أن يأْتى بجملة تتسق مع البيت معنى ونظما .. فقال له الأَخ عبد العظيم الشناوى : قل . فقال — أى للفتاة التى مضت — :

« فضفضى الثوب » .

لأن الثوب كان ضيقا محبوكاً .

فقال الأَخ العوضى الوكيل رحمه الله :

« بل وزيديه طولًا »

فقال المغفور له : لا تقل : بل وزيديه طولًا ؛ لأنك لا تعلم أخياطة هى تخيط ثوبها أم تخيط عند أُخرى . فقل : واستزيديه طولًا

« واستزيديه طولًا »

دقة لغوية متناهية .

فقال الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم

خفاجي الجملة التي بعدها ، قال بيده هكذا وقال :

« وارحمينا »

فقال الدكتور حسن جاد :

« فالجسم بان فصولاً

إذن ، بيت واحد من الشعر استهله المغفورله بقوله : فضفضى الثوب ، ثم ثنى عليه العوضى بقوله : بل وزيديه ، وعدلها : واستزيديه طولاً ثم أكمله خفاجى وقال : وارحمينا ، وبعد ذلك قال حسن جاد : فالجسم بان فصولا .

بيت واحد قاله أربعة شعراء ! . وكنا نعرف قديماً أن قصيدة قالها خمسة شعراء . إنما بيت واحد يقوله أربعة شعراء فهذه لم تكن إلا فى مدرسة : محمد عبد الغنى حسن فقط !

كان صديقنا المهدى مصطفى إنساناً له دعابة وله نكتة ، ولا تمر حاجة إلا علق عليها بما يضحك فقال : وانسبينا يعنى أنه يريد أن ينتسب إلى هذه الفصول ، وقال كلاماً لست أذكره آخره « ولو فى سنة أولى » !!

فقال المغفور له . لا تكتبوا هذا ! ثم أعيدوا :

فقال الغفورله : « ما احتملنا سهام عينيكِ حتى .. » ووقف ! فبالله عليك من يستطيع أن يصنع هذا .

فقال الدكتورحسن جاد أطال الله عمره : « تجعلى الجسم كُلَّهُ مسلولاً ! شىء من أعجب ما يمكن ! شىء رائع ؛ فقال لى : فماذا تقول أنت ؟

فقلت أنا والله إن قلت غير الذى سأقوله ، فإن والدى سيضربنى لأنه فاهم أننى أزهرى وابن طريقة وكذا .

فقال : قل ، ولن يضربك !

فقلت : واسترى الحُسْن للذى .

يطلب الحسن جهاراً . . .

وسَكَتُّ ! فقال : سهلة !! قل : « إيجابه والقبولا » . وهكذا .

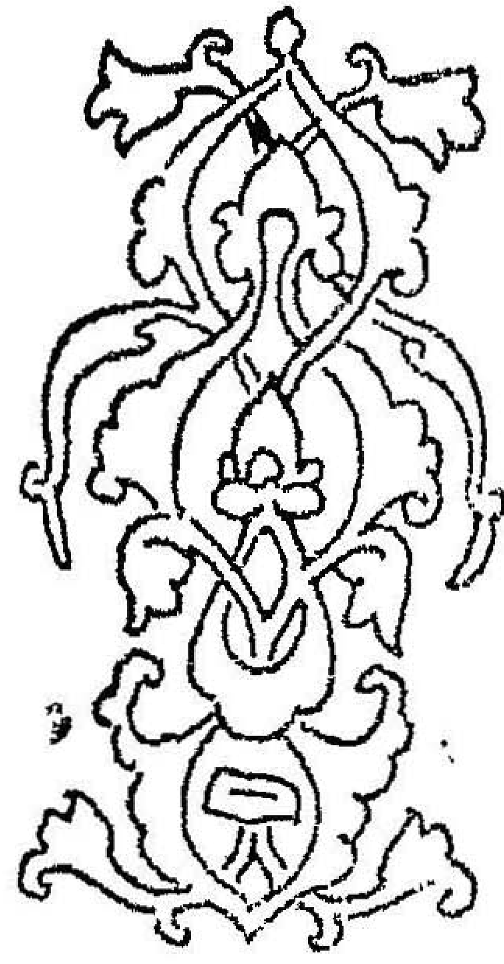
ذلك هو سلفى محمد عبد الغنى حسن ، الذى اتسع صدره لكثير من الأوسمة والنياشين والتقديرات ، وسيتسع إن شاء الله ذكره إلى أكثر من هذه الأوسمة مع كل من يقرأ له . أو من يسمع عنه .

وإنى أسأل الله للجميع الرحمة والمغفرة وأسأل بقاء عمر أستاذنا أستاذ جيلنا ، الدكتور إبراهيم مدكور ، وأستاذنا الدكتور مهدى علام وأستاذنا الأستاذ عبد السلام هارون وحضرات الأعضاء إلى أن نرى من هذا المجمع آثاراً كما قال واضعها الأول – تعصرم الحياة وتحدث العربية وتمجد أساليب القرآن .

ولكنى حينما علمت أنى رشحت لمجمع الخالدين ، قال لى أحد : أقبلت أن تكون فى مجمع الخالدين . وهل كتب الخلود لأحد حتى سمى هذا المجمع بمجمع الخالدين ؟ ! فقلت يا أخى : الخلود نسبى ، ولكنى أيضاً أقول لك : هذا المجمع مهمته اللغة العربية واللغة العربية ما أُلِّفتْ ولا صُنِّفَ فيها إلا خدمة للقرآن والمجمع للُّغة واللغة للقرآن ، فالمجمع للقرآن . وسيخلد المجمع واللغة بخلود القرآن .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد متولى الشعراوى
عضو المجمع



كلمة المجمع فى
تأبين المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان
للدكتور حسن على ابراهيم

أيتها السيدات، أيها السادة .

هو الدهر لم تبدع على حروفه
ولم يأت شيئاً لم أكن أتخيله
وما راعنى المكروه إذ هو عادتى
لديه ولكن راع قلبى تعجله

وقد تعجل المكروه بموت زميلى وصديقى المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان ربما كانت النهاية أمامى أراها عن بعد ولم أكن أتوقع أن تجىء بهذه السرعة فقد راعنى موته وهالنى وأحزننى فمنذ عام ونصف تقريبا قال لى : ألا تعلم أنى أصبت بهبوط فى القلب وأنا فى الأردن وظللت طريح الفراش مدة . فسألته وما سبب الهبوط ؟ هل عندك داء فى صمامات القلب؟ قال لا قلت أتشكو من ارتفاع فى ضغط الدم فنفى ذلك قلت إذن لماذا حدث هذا الهبوط فقال لست أدرى ولكنه كان يعرف كما عرفت أنا أن تصلب الشرايين قد زحف إلى عضلة قلبه فأوهها وكان عندنا اجتماع لمجلس المجمع فصمم أن يصعد الدرج معى ورأيته يلهث عند آخر السلّم فقلت له يا سليمان إنك لم تأخذ قسطاً كافياً من الراحة وعليك أن تستريح » فرفع يده كمن لا يبالى .. وعرفت بعد ذلك أن حالته تحسنت وجاء إلى المجلس فى أواخر العام الماضى وكان يبدو فى تمام الصحة والعافية وكنت فى انتظار حضوره هذه السنة وعندما تصفحت الجريدة صباح يوم قريب فوجدت صورته ونبأ موته المفاجىء لم أكن أصدق نفسى فهو صديق الصبا وحبيب العمر فقد عرفته منذ أن التحقنا باعدادى كلية الطب فى عام واحد وثلاثين أى منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان . كنت فى الرابعة عشرة من عمرى وكان يصغرنى بعام كامل وكنا ككلّ الشباب مملئين حيوية متعلقين بآمال المستقبل الواسعة .

« إذا العيش غضٌّ والزمان غلام »

وكان سليمان منطوياً على نفسه حيّا جمّ الأدب قليلَ الكلام لايحب ولا يستمع إلى فاحش القول الذى تعودنا أن نقوله فى هذه السن وكان متدينا فقد كانت لاتفوته

صلاة الظهر أبداً إذ كان يؤديها فى مصلى الكلية ومع أنه لم يكن يمارس الرياضة فى ذلك الوقت فقد كان قوياً جداً وكان يقهرنى دائماً فى لعبه « الذراع الحديدية » مع أنى كنت أمارس الكثير من أنواع الرياضة وكنت معروفاً بقوة ذراعى وكان يعيرنى أحياناً مازحاً عندما نتكلم عن الأصول ويقول ، إن جدك كان فلاحاً فى قرية مطوبس أما جدى فقد كان عمدة جزيرة النجدى » وهذا صحيح تدرجاً بعد ذلك فى كلية الطب وكان معى صفا بصف حتى تخرجنا سوياً وكان طالب مجداً تقياً عارفاً بدينه لا تفوته صلاة أو صيام ويحفظ معظم القرآن دراسة الفاهم المفسر .

كان رحمه الله من أكبر المتحمسين لى فى الرياضة. وعندما حصلت على بطولة الجامعة فى التنس عام ثلاثة وثلاثين كان حافزا ومشجعا ولما أقامت لى لجنة الرياضة بالكلية حفلا لتكريمى بهذه المناسبة كان أول المدعوين وألقى كلمة قصيرة لا تخلو من فصاحته فقد كان مولعا باللغة العربية منذ صغره وظل يدرسها ويتبحر فيها حتى انتخب عضوا بالمجمع تخرجنا فى كلية الطب فى ديسمبر عام سبعة وثلاثين فتفرقت بنا السبل وأصبحت لا أراه إلا قليلا إذا اندمجت فى المستشفيات واهتم هو بالطب الشرعى حيث عمل وقد حصل على دبلوم التخصص فى الطب الشرعى عام واحد وأربعين ثم على الدكتوراه فى نفس العلم عام ثلاثة وأربعين وعمل بالتدريس فى الكلية حتى أصبح أستاذا للطب الشرعى فكان خير مدرس وباحث وكان أب للطلبة جميعاً وقد أعجبنى فيه أنه مع دماثة خلقه كان صلباً عنيداً ولكن فى الحق فعندما كنت عميدا لكلية الطب لاحظت التغيير الشديد فى ميزانية الكلية بل ميزانية الجامعة عموماً ولم أكن أعلم فى ذلك الوقت أننا كنا نعد لحرب أكتوبر لعبور القناة وكان سرادق الامتحانات الذى يقام بالكلية يتكلف كثيرا من المال ففكرت مع الأستاذ الدكتور حسن حمدى أن نخلى متاحف الكلية موقتاً ليقام فيها الامتحان واتصلت بالدكتور محمد أحمد سليمان فأبى وجاء إلى مكتبى

غاضباً وقال ، أنت عميد الكلية ويمكنك أن تصدر قرارا بإخلاء متحفى ولكن اعتبرنى مستقيلا من الكلية » فعدلت عن الفكرة وأقمنا السرادق على مضض ولكن عرفت بعد ذلك أنه كان على حق ففى مرة سابقة أخلى متحفه فكانت النتيجة أن تكسرت وضاعت منه بعض العينات الثمينة التى لا تعوض .

عين الدكتور سليمان بعد ذلك وكيلا لجامعة الأزهر كما شغل منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للجامعات ثم نقل إلى منصب وكيل جامعة القاهرة فى عام ١٩٦٥ ولولا الظروف السياسية السائدة فى ذلك الوقت والتى تعرفونها جميعاً لكان رئيسا لجامعة القاهرة فقد اتصل به وزير التعليم وأخبره أنه لن يكون رئيسا للجامعة فآثر أن يعود استاذا للطب الشرعى بكلية الطب كما كان .

وكان للدكتور سليمان نشاط كبير خارج الكلية فهو عضو مؤسس بالأكاديمية الدولية للطب الشرعى والطب الاجتماعى منذ نشأتها عام ١٩٥٠ وقد نشرت له بحوث كثيرة بالمجلات الطبية المصرية والانجليزية والأمريكية كانت تحوى دائماً الجديد ، كما ألف كتابين كبيرين فى الطب الشرعى أحدهما باللغة الإنجليزية والآخر باللغة العربية فكانا خيرا من كتاب « سمث » المشهور ، كما دعى إلى عدة بلاد عربية لإلقاء المحاضرات بها ، وعمل أستاذا ، بالمملكة العربية السعودية ، والأردن

وكان الدكتور سليمان خبيراً بلجنة المصطلحات الطبية منذ عام ١٩٥٥ كما كان عضوا بلجنة الكيمياء والصيدلة ، ثم انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٢ ، وكان يشرف معى وزملائى على إخراج المعجم الطبى ومن أفضاله أنه أخرج مع عرب آخرين المعجم الطبى الموحد . الذى انتشر فى البلاد العربية وأخذ به ، ولاحظت أنه لا يتمسك بآرائه ما دام الرأى المقابل صواباً ، ففى المعجم الطبى الذى نقوم باعداده لم نأخذ بكلمات كثيرة جاءت فى المعجم الموحد وكان يوافق على التغيير وكنت أسأله : لماذا وضعت هذه الكلمة اذن ؟ فيقول :

لم أكن موافقاً عليها منذ البداية ولكن الرأى للأغلبية .

لقد ترك الدكتور سليمان الكلمة : ولكنه لم يترك العلم منذ سافر للسعودية أستاذاً للطب الشرعى حيث أسس قسما لذلك فى جامعة الرياض ، ثم من المملكة العربية إلى الأردن ، وهناك أيضاً أنشأ قسما للطب الشرعى ، وكان شهيراً كثير السفر بين البلاد العربية حاملاً العلم والمعرفة ، وكان يخفف من وقع المصاب أنه ترك بعده أولادا يفتخر بهم .

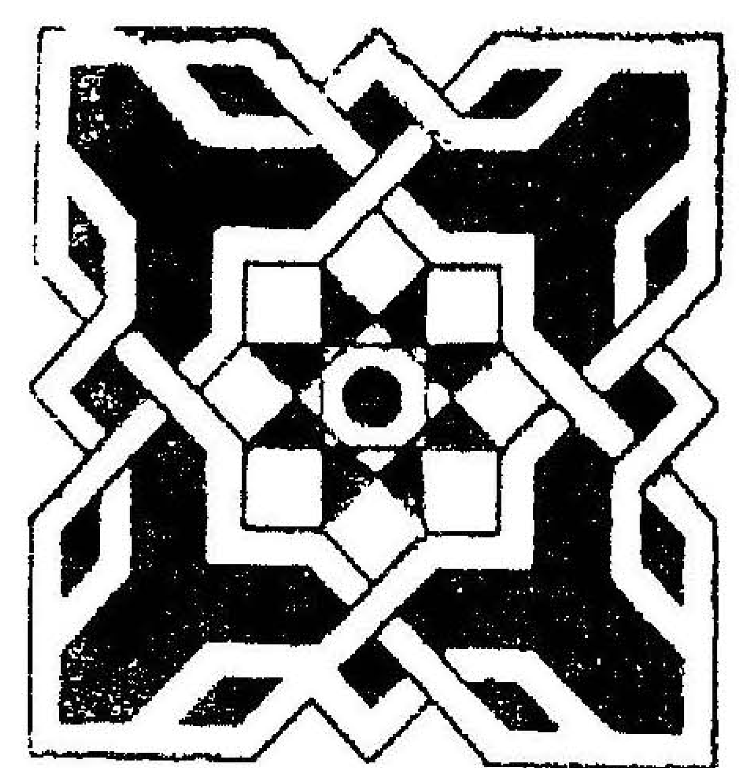
هذه ثانى مرة أقف فى المجمع لتأبين صديق عزيز . وإنى إذ أبكيه أبكى فيه الصديق الحميم والخلق القويم والقلب السليم ، وإننا لن ننساه أبدا .

وهو فوق كل ماقلت دائماً يذكرنى بشبابى وسأستعير بيتين من أبى تمام مع بعض التحوير :

درجنا على درب الشبيبة والصبا
ولبست ثوب الدهر وهو جديد
فإذا تمثـل فى الضمير رأيتـه
وعليه أغصـان الشباب تميـد

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته بما قدم لآخرته ودينه ودنياه

حسن على ابراهيم
عضو المجمع



في رثاء
المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان

للدكتور ابراهيم الدمرداش

قابلته في « روضة » العشاق ... وصحبته في « كعبة » الأشواق
فوجدت فيه فصاحة وتدينا ... ولمست فيه مكارم الأخلاق
وسمعته « بالضاد » يفصح دائما ... لا يقبل العجمى على الإطلاق
في الجامعات وفي المجامع كلها ... دوّى بصوت الحق كالعملاق
قد كان رائد فرعه في طبّه ... آثاره ضمن التراث الباقى
ملك الزمام فصاحة وبلاغة ... وبراعة في فنّه الترياق
قد غاب عنّا مدة متنقلا ... يسعى لنشر العلم في الآفاق
ما دام بين العُرب فهو أخ لهم ... وهمو الأُخوّة في حمى الرزاق
تجرى العروبة في الدماء وفي اللّمى ... عبر اللسان ونبضه الدقاق
والروح ملك الله وهى وديعة ... معلومة الميقات في الميثاق
لكن هذا الصك ليس أمامنا ... بل لوحه في الغيب عند الباقى
ولذا فإن الروح لاتفنى إذا ... ما شيع الموتى على الأعناق
بالأمس قد سبق الرفاق « محمد » ... واليوم يسبقهم إلى الخلاّق
إنى سألت الصفح منه ومنهمو ... عمّا بدا من هفوة الأشداق
والصفح من شيم الكرام فسارعوا ... للصفح إن الخير للسبّاق
والله أسأل رحمة لفقيدنا ... وفقيد مصر ونيلها الدفاق

ابراهيم أدهم الدمرداش
عضو المجمع

تليت في حفل تأبين الفقيد بمبنى مجمع اللغة العربية في صباح الأربعاء ٩ ربيع الثانى سنة ١٤٠٧ الموافق ١٠ ديسمبر سنة ١٩٨٦ م .

كلمة الأسرة للدكتور أسامة محمد أحمد سليمان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

(صدق الله العظيم)

الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

الأستاذ حسن إبراهيم المتفضلُ بكلمة التأبين

الأستاذ الدكتور إبراهيم الدمرداش صاحبُ المرثية

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع

السادةُ الفضلاء الحاضرون

حينما تلفت نبأ عقد جلسة المجمع لتأبين والدى العزيز – رحمه الله عليه – أحسست برهبة بالغة داهمتنى وأنا ما زلت أعانى من لوعة الفراق وعذاب الرحيل .

فمجمع اللغة العربية منبرٌ لم يدر بخلدى قط أن أقف عليه مخاطبا أساطين الأدب وفطاحل اللغة ووالدى واستاذى وحبيبى الدكتور مُحمد سليمْان كان – رحمه الله – عملاقاً فى علمه ولغته وأدبه وذلك مما يزيدنى إحساسا بضآلتى وعدم كفاءتى وقلة درايتى أن أقف بينكم محدثا .

وواجبى الذى يحتم على أن أنوب عن أسرتنا بصفتى كبيرهَا من بعده فى إلقاء كلمة شكر فى هذا الحفل تليق بذاكره العطرة وتؤهلنى لهذا الشرف الذى اتيح لى بانتمائى إليه .

واجبى جعلنى أحس بجلال الموقف وعظم المسئولية وأشعر بالتهيُّب فى موقفى هذا بمجمع الخالدين . . تهيبا لم يقابلنى طوال سنوات عمرى برغم

اللحظات الحرجة المهيبة التى تمر علىّ فى كل عملية جراحية أقوم بها وأقدم على تحمل مسئوليتها .

أيها السادة :

إسمحو لى أن أزجى إليكم باسم أسرتنا الخاصة بالغ التقدير وعظيم الامتنان لما أسبغتموه على الفقيد من تكريم وعـرفان وإذا كانت صلتنا بالفقيـد قرابة ونسب وصهر فإنه يَمُت إليكم بقرابة معنى وروح ، وهى والشهادة لله قرابةُ اعمقُ أثرا وأعلى شأنا وأبقى زمنا .

وصدقونى إذا صارحتكُم من منطلق صلتنا بالفقيـد ومعاشرتنا له بأنه على تعدد إسهامه فى المجامع والهيئات والمنظمات عربية وغير عربية ، لم يسعد بشىء قدر سعادته بانتمائه إلى مجمعكم الموقر ، ولم يعتَز بجمع مبلغ إعتـزازه بصحبة المجمعين وإشتراكه معهم فيما يزاولونه من أعمال . ذلك لأن أهداف المجمع ومجالات نشاطه كانت تنزلُ منزلة الشَغَاف من قلبه وتستقر فى مكان العقيدة من فكره — ولا شك أن ذلك كان وراء إختياره وهو على رأس الأربعين من عمره خبيرا مجمعيا ثم انتخابه بعد ذلك بسنوات قلائل عضوا عاملا يأنس بمجلسه بين شيوخ المجمعين خبـراء أو أعضاء .

أيها السادة :

كان الفقيد يؤمن بأساسين وأولهمُا أن اللغة التى آثر الله أن ينزل خاتمة شرائعه بها خليقة بأن تكون لغةَ العلم والمعرفة على مدى الأحقاب والأساسُ الآخر أن الحضارة الإسلامية تسجلُ قدرة اللغةِ العربية على أن تواكبَ كلَّ ما يتمخض عن العقل والتطبيق من معلومات وحقائق وعلى هذين الأساسيين كان يرى أن اللغة العربية خليقة بالاستمساك بها لكى تفى بمطالب العلوم والفنون والآداب وكان يرى أن العربية بطاقاتها الصرفية واللغوية لا تعيا بالتعبير عن الجديد فى كل مجال. ومن ثم كان جهدُه موصولا لمحاولة التغلب على مشكلات تعريب العلم وله فى ذلك ما أسهم به فى المجمع من وقت وجُهْد أنتم شُهُودُه

وعارفُوه وما كان له من أنشطة في مختلف الجامعات العربية التي كان سعيه فيها سفارةً مجمعيًّن إليها ، وأقوى ما كان يحرص عله فقيدنا هو ألا يكون تعريبُ العلم في مختلف المواطن العربية سبيلا إلى تعدد المصطلح العلمي العربي ويحضرني في هذه المناسبة أنه كان يضيقُ بالثنائية في تسمية العلم الذي هو من اختصاصه اذ كان المصطلح في مصر الطب الشرعي وفي بعض الدول العربية الطب العدلي

أيها السادة :

شكرَ الله للمجمع الموقر هذا الوفاء النبيل وشكر الله لكم أن سَعيتُم إلى هذا الحفل الكريم وكان سعيكم شكورا « إن العين لتدمع وإن القلب ليجزع وانا لِفراقك يا والدي الحبيب لمحزونون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

